سيرة ومناقب

عمر بن عبدالعزيز ﵁

j

محمد حامد محمد

مُقَـدِّمَة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتىٰ ترضىٰ، ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضىٰ.

أما بعد...

فهذا هو الكتاب الخامس في سلسلة الخلفاء الراشدين، وقد خصصته لسيرة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

إن سيرة عمر بن عبد العزيز تمدنا بالمفهوم الصحيح لكلمة الإصلاح للمفهوم القرآني الأصيل الذي فهمه علماؤنا المصلحون فهمًا صحيحًا وطبّقوه تطبيقًا، سليمًا، لا المفهوم الغربي الحديث الذي تسرَّب إلىٰ أذهان بعض المفكرين السياسيين المقلدين للغرب في حقّه وباطله حتىٰ أصبح من المسلم به عند كثير من أبنائنا اليوم أن الثورة أعمّ وأشمل وأعمق من الإصلاح الذي

يرادف في الغرب معنىٰ التغيير الخفيف الذي يحدث بتدرج ومن دون عنف، بينما الثورة هي عندهم انقلاب جذري دون تدرّج، عنيف ومفاجيء، وما دروا أن الإصلاح بالمفهوم القرآني الصحيح له معنىٰ أشمل وأعمّ وأكبر من الثورة، فهو دائمًا نحو الأحسن والأكمل، بينما الثورة قد تكون من الصالح إلىٰ الفاسد أصلًا، ويتم ذلك بتغيير سلطة بسلطة وحاكم بحاكم.

وأسأل الله تعالىٰ أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصًا ولعباده نافعًا، وأن يثيبني وأخواني الذين ساعدوا علىٰ نشره بمنه وكرمه وجوده ونرجو من كل مسلم يطلع علىٰ هذا الكتاب أن لا ينسىٰ العبد الفقير إلىٰ عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل:١٩]، قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر:٢]. وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وكتبـه

محمد حامد محمد

+ !

التعريف بأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

▪ اسمه ولقبه وكنيته وأسرته:

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد، السيد أمير المؤمنين حقًّا أبو حفص القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الزاهد الراشد أشج بني أمية(١)، كان من أئمة الاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين(٢)، وكان حسن الأخلاق والخُلق، كامل العقل، حسن السمت، جيِّد السياسة حريصًا علىٰ العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، طاهر الذكاء والفهم، أوّاها منيبًا، قانتًا لله حنيفًا، زاهدًا مع الخلافة ناطقًا بالحق مع قلة المعين، وكثرة الأمراء الظلمة الذين ملُّوهُ وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أُعطياتهم، وأخذه كثيرًا مما في أيديهم، مما أخذوه بغير حقٍّ، فمازالوا به حتىٰ سقوه السم فحصلت له الشهادة والسعادة، وعُد عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين والعلماء العاملين(٣)، وكان رحمه الله فصيحًا مُفوَّهًا(٤).

١- والــده:

هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وكان من خيار أمراء بني أمية، شجاعًا

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٤٤).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ١١٤).

(٣) المصدر نفسه (٥/ ١٢٠).

(٤) المصدر نفسه (٥/ ١٣٦).

كريمًا بقي أمير لمصر أكثر من عشرين سنة، وكان من تمام ورعه وصلاحه أنه لما أراد الزواج قال لقيمه: اجمع لي أربعمائة دينارًا من طيب مالي، فإني أريد أن أتزوج إلىٰ أهل بيت لهم صلاح[(١)]، فتزوج أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي حفيده أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وقيل اسمها ليلىٰ[(٢)]، كما أن زواجه من آل الخطاب ما كان ليتم لولا علمهم بحاله وحسن سيرته وخلقه، فقد كان حسن السيرة في شبابه، فضلًا عن التزامه وحرصه علىٰ تحصيل العلم واهتمامه بالحديث النبوي الشريف فقد جلس إلىٰ أبي هريرة وغيره من الصحابة وسمع منهم، وقد واصل اهتمامه بالحديث بعد ولايته مصر، فطلب من كثير بن مرة في الشام أن يبعث إليه ما سمعه من حديث رسول الله ﷺ إلا ما كان من طريق أبي هريرة فإنه عنده[(٣)]، وقد كان والد عمر بن عبد العزيز ذا نفس تواقة إلىٰ معالي الأمور سواء قبل ولايته مصر أو بعدها فحين دخل مصر أيام شبابه تاقت نفسه إليها وتمنىٰ ولايته فنالها، ثم تاقت إلىٰ الجود فصار أجود أمراء بني أمية وأسخاهم، فكانت له ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره وكانت له مائة جفنة يطاف بها علىٰ القبائل تحمل علىٰ العجل، ومن جوده كان يقول: إذا أمكنني الرجل من نفسه حتىٰ أضع معروفي عنده فيده عندي أعظم من يدي عنده[(٤)].

٢- أمه:

أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووالدها، عاصم بن عمر بن الخطاب، الفقيه، الشريف أبو عمرو القرشي العدوي ولد في أيام النبوة

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٥/ ٣٣١)

(٢) عبد العزيز بن مروان وسيرته وأثره في أحداث العصر الأموي (ص٥٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧).

(٤) عبد العزيز بن مروان (ص٥٥).

وحدّث عن أبيه وأمه هي جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريّة، وكان طويلًا جسيمًا وكان من نبلاء الرجال، ديّنا، خيِّرًا، صالحًا، وكان بليغًا، فصيحًا، شاعرًا، وهو جد الخليفة عمر بن عبد العزيز لأُمِّه، مات سنة سبعين، فرثاه ابن عمر أخوه فليت المنايا كُنَّ خلَّفن عاصمًا فعشنا جميعًا أو ذهبنا بنا معًا[١].

وأما جدته لأمه فقد كان لها موقف مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعن عبد الله بن الزبير بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال: بينما أنا وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يَعُسُّ، بالمدينة إذ أعيا فاتكأ علىٰ جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومي إلىٰ ذلك اللبن فامذقيه بالماء فقالت لها: يا أمتاه أو ما علمت ما كان من أمير المؤمنين اليوم قال: وما كان من عزمته يا بنية؟ قالت: إنه أمر مناديًا، فنادىٰ أن لا يشاب اللبن بالماء، فقالت: لها يا بنتاه قومي إلىٰ اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء، وعمر يسمع كل ذلك، فقال: يا أسلم عَلِّم الباب وأعرف الموضع، ثم مضىٰ في عسه، فلما أصبحا قال: يا أسلم أمض إلىٰ الموضع فانظر من القائلة، ومن المقول لها وهل لهم من بعل؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيِّم لا بعل لها وإذا تيك أمها وإذا ليس بها رجل، فأتيت عمر أخبرته، فدعا عمر ولده، فجمعهم، فقال: هل فيكم من يحتاج إلىٰ امرأة أزوجه.. فقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني، فبعث إلىٰ الجارية، فزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتًا وولدت البنت عمر بن عبد العزيز[٢]، ويذكر أن عمر بن الخطاب رأىٰ ذات ليلة رؤيا، ويقول: ليت شعري من ذو الشين من ولدي الذي يملؤها عدلًا، كما ملئت جورًا، وكان عبد الله بن عمر يقول أن آل الخطاب يرون أن بلال بن عبد الله بوجهه شامة فحسبوه المبشر

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٩٧).

(٢) سيرة عمر لابن الحكم (ص١٩– ٢٠)، سيرة عمر لابن الجوزية (ص١٠).

الموعود حتىٰ جاء الله بعمر بن عبد العزيز[(١)].

٣- ولادته ومكانها:

اختلف المؤرخون في سنة ولادته والراجح أنه ولد عام ٦١هـ وهو قول أكثر المؤرخين ولأنه يؤيد ما يذكر أنه توفي وعمره أربعون سنة حيث توفي عام ١٠١هـ[(٢)]، وتذكر بعض المصادر أنه ولد بمصر وهذا القول ضعيف لأن أباه عبد العزيز بن مروان بن الحكم إنما تولىٰ مصر سنة خمس وستين للهجرة، بعد استيلاء مروان بن الحكم عليها من يد عامل عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فولّىٰ عليها ابنه عبد العزيز ولم يعرف لعبد العزيز بن مروان إقامة بمصر قبل ذلك، وإنما كانت إقامته وبني مروان في المدينة[(٣)]، وذكر الذهبي أنه ولد بالمدينة زمن يزيد[(٤)].

٤- أشج بني أمية:

كان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يلقب بالأشج، وكان يقال له أشج بني مروان، وذلك أن عمر بن عبد العزيز عندما كان صغيرًا دخل إلىٰ اصطبل أبيه عندما كان واليًا علىٰ مصر ليرىٰ الخيل فضربه فرس في وجهه فشجه، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول: إن كنت أشج بني أمية إنك إذًا لسعيد[(٥)]، ولما رأىٰ أخوه الأصبغ الأثر قال: الله أكبر! هذا أشج بني مروان الذي يملك، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إن من ولدي رجلًا بوجهه أثر يملأ الأرض عدلًا[(٦)]. وكان الفاروق قد رأىٰ رؤيا تشير إلىٰ ذلك وقد تكررت هذه الرؤيا لغير الفاروق حتىٰ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢٢).
(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٦٧٦).
(٣) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة (١/ ٥٤).
(٤) تذكرة الحفاظ (١/ ١١٨- ١٢٠).
(٥) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٢٠).
(٦) المعارف لابن قتيبة (ص٣٦٢).

أصبح الأمر مشهورًا عند الناس بدليل ما قاله أبوه عندما رأىٰ الدم في وجهه وما قاله أخوه عندما رأىٰ الشج في وجهه كلاهما تفاءل لعله أن يكون ذلك الأشج الذي يملأ الأرض عدلًا(1).

٥- إخوته:

كان لعبد العزيز بن مروان والد عمر بن عبد العزيز عشرة من الولد وهم: عمر وأبو بكر ومحمد وعاصم وهؤلاء أمهم ليلىٰ بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وله من غيرها ستة وهم: الأصبغ وسهل وسهيل وأم الحكم وزبّان وأم البنين(2)، وعاصم هو من تكنىٰ به والدته ليلىٰ بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فكنيتها أم عاصم(3).

٦- أولاده:

كان لعمر بن عبد العزيز رحمه الله أربعة عشرة ذكرًا منهم: عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وبكر والوليد وموسىٰ وعاصم ويزيد وزبان وعبد الله(4) وبنات ثلاثة أمينة وأم عمار وأم عبد الله وقد اختلفت الروايات عن عدد أولاد وبنات عمر بن عبد العزيز فبعض الروايات تذكر أنهم أربعة عشر ذكرًا كما ذكره ابن قتيبة وبعض الروايات تذكر أن عدد الذكور اثنا عشر وعدد الإناث ست كما ذكره ابن الجوزي(5) والمتفق عليه من الذكور اثنا عشر، وحينما توفي عمر بن عبد العزيز لم يترك لأولاده مالًا إلا الشيء اليسير أنه أصاب الذكر من أولاده من التركة تسعة عشر درهمًا فقط، بينما أصاب الذكر

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٢٠) د. محمد شقير.
(٢) المعارف لابن قتيبة (ص٣٦٢).
(٣) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٢٢).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٣).
(٥) سيرة عمرة بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٣٣٨)، فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٢٤).

من أولاد هشام بن عبد الملك ألف ألف (مليون) وما هي إلا سنوات قليلة حتىٰ كان أحد أبناء عمر بن عبد العزيز يحمل علىٰ مائة فرس في سبيل الله في يوم واحد، وقد رأىٰ بعض الناس رجلًا من أولاد هشام يتصدق عليه[١]. فسبحان الله رب العالمين.

٧- زوجاته:

نشأ عمر بالمدينة وتخلق بأخلاق أهلها، وتأثر بعلمائها وأكب علىٰ أخذ العلم من شيوخها، وكان يقعد مع مشايخ قريش ويتجنب شبابهم، ومازال ذلك دأبه حتىٰ اشتهر، فلما مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولده، وقدمه علىٰ كثير منهم، وزوجه، ابنته فاطمة بنت عبد الملك[٢]، وهي امرأة صالحة تأثرت بعمر بن عبد العزيز وآثرت ما عند الله علىٰ متاع الدنيا وهي التي قال فيها الشاعر:

بنت الخليفة والخليفة جدها ... أخت الخلائف والخليفة زوجها

ومعنىٰ هذا البيت أنها بنت الخليفة عبد الملك بن مروان والخليفة جدها مروان بن الحكم، وأخت الخلائف فهي أخت الخلفاء الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك ويزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك، والخليفة زوجها فهو عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتىٰ قيل عنها: لا نعرف امرأة بهذه الصفة إلىٰ يومنا هذا سواها[٣]. وقد ولدت لعمر بن عبد العزيز إسحاق ويعقوب وموسىٰ، ومن زوجاته لميس بنت علي بن الحارث وقد ولدت له عبد الله وبكر وأم عمار، ومن زوجاته أم عثمان بنت شعيب بن زيان، وقد ولدت له إبراهيم.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٣٣٨).
(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٦٨٠).
(٣) المصدر نفسه (١٢/ ٦٨٠).

وأما أولاده: عبد الملك والوليد وعاصم ويزيد وعبد الله وعبد العزيز وزيان وأمينة وأم عبد الله فأمهم: أم ولد[(١)].

٨- صفاته الخلقية:

كان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ أسمر رقيق الوجه أحسنه، نحيف الجسم حسن اللحية، غائر العينين بجبهته أثر نفحة دابة وقد خطه الشيب[(٢)]، وقيل في صفته: أنه كان رجلًا أبيض دقيق الوجه، جميلًا، نحيف، وقيل في صفته: أنه كان رجلًا أبيض دقيق الوجه، جميلًا، نحيف الجسم، حسن اللحية[(٣)].

٩- تربية أبنائه:

وردت نصوص من الكتاب والسنة تحث علىٰ تربية الأبناء وتنشِئتهم النشأة الصالحة ليكونوا طائعين لله في كل ما أمرهم به، وقد اهتم عمر بن عبد العزيز بتربية أولاده التربية الصحيحة، فلم يرغب عمر أن ينشأ أولاده في ترف ونعيم، فيجرفهم تيار المجون، والدعة عن اكتساب العلوم، فيروي ابن عساكر عن رجاء بن جميل الإيلي أنه قال: «وكان عمر بن عبد العزيز يَبْدئ[(٤)] ولده عندنا بالمدينة، وكان يأمر قيِّمه عليهم يكسوهم الكرابيس[(٥)]، والبتوت[(٦)]، وإذا حملهم من منزلهم إلىٰ منزل حملهم علىٰ الحمر الأعرابية»[(٧)].

وكان هذا بعد ما أخذوا حظهم من التربية المستقيمة في بيته ثم جعل يتعاهدهم ويكتب إلىٰ مؤدبهم رسائل، ومنها هذه الرسالة الآتية:

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٣١٤- ٣١٥).
(٢) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة (١/ ٥٨).
(٣) السابق نفسه.
(٤) يبدئ من البداوة وهو خلاف الحضر.
(٥) **الكرباس**: بالكسر ثوب من القطن الأبيض
(٦) **البت**: هو الطيلسان من خز ونحوه.
(٧) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة (١/ ٦٠).

«من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ مولاه، أما بعد: فإني اخترتك علىٰ علم مني بك لتأديب ولدي، فصرفتهم إليك عن غيرك من موالي، وذي الخاصة بي، فحدثهم بالجفاء فهو أمعن لإقدامهم، وترك الصبحة[١] فإن عادتها تكسب الغفلة، وقلة الضحك، فإن الضحك كثرته يميت القلب، وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم: أن حضور المعازف واستماع الأغاني، واللهج بها ينبت النفاق في القلب، كما ينبت العشب الماء، ولعمري لتوقي ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر علىٰ ذي الذهن من الثبوت علىٰ النفاق في قلبه. وهو حين يفارقها لا يعتقد بما سمعت أذناه علىٰ شيء مما ينتفع به، وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يثبت في قراءته. فإذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج إلىٰ الغرض[٢]، حافيا فرمىٰ سبعة أرشاق[٣]، ثم انصرف إلىٰ القائلة فإن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول: يابني قيلوا[٤] فإن الشياطين لا تقيل»[٥].

▪ سيرته العلمية:

أ- إمامته ورفعة مكانته في العلم:

أما رفعة مكانته في العلم فقد اتفقت كلمة المترجمين له علىٰ أنه أحد أئمة زمانه المليء بأئمة التابعين، فقد أطلق عليه كلٌّ من الإمامين: مالك، وسفيان بن عيينة - وهما هما- وصف «إمام»: وقال فيه مجاهد -وحسبك به-: «أتيناه نُعلِّمه فما برحنا حتىٰ تعلَّمنا منه»[٦].

---

(١) **الصبحة**: بضم الصاد وفتحها الضحىٰ وتصبَّح نام بالغداة.
(٢) **الغرض**: الهدف الذي يرمىٰ إليه والجمع أغراض.
(٣) **الرشق**: الرمي والقوم إذا رموا بأجمعهم.
(٤) **القيلولة والقائلة**: نوم نصف النهار.
(٥) **ابن أبي الدنيا**: كتاب ذم الملاهي (ص٥٠-٥١)، و ابن الجوزي سيرة عمر (ص٣١٦).
(٦) تاريخ دمشق (٤٥/ ١٤٧- ١٤٨)، وابن حجر: تهذيب التهذيب (٧/ ٤٠٥).

وقال ميمون بن مِهْران - وهو ممن خبَرَ عمر بن عبد العزيز-: «ما كانت العلماء عند عمر إلا تلامذة». وقال فيه أيضًا: «كان عمر بن عبد العزيز معلِّمَ العلماء»(١).

وذكر الحافظ ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» حِجاجَ عمر لبعض خوارج الجزيرة، وأَخْذَه الغلبة عليهم، ثم قال فيه: «كان أحد الراسخين في العلم رَحِمَهُ اللهُ»(٢).

وقال الحافظ الذهبي: «كان إمامًا فقيهًا مجتهدًا، عارفًا بالسنن، كبيرَ الشأن، ثبتًا، حافظًا، قانتًا لله أوَّاهًا منيبا يُعَدُّ في حسن السيرة والقيام بالقسط مع جده لأمه عمر، وفي الزهد مع الحسن البصري، وفي العلم مع الزهري، ولكن موته قُرُب من موت شيوخه، فلم ينتشر علمه»(٣).

وكان طلبُه للعلم في مُقْتبل شبابه علىٰ شيوخ المدينة النبوية الزاخرة بالأئمة من عيون التابعين، فنهّل من علمهم وأدبهم..

وكان الذي تولَّىٰ تأديبه من رجالات المدينة النبوية هو صالحَ بن كيسان أحد الثقات الأجلَّة، فرأىٰ صالحٌ من عمر كل خير، حتىٰ قال فيه: «ما خبرت أحدًا اللهُ أعظمُ في صدره من هذا الغلام». ورأىٰ عمر من صالح كلَّ رعاية وتأديب رفيع، فاختاره فيما بعد مؤدّبًا لأولاده(٤).وكان شيوخه في العلم والرواية مشاهيرَ علماء المدينة آنذاك، إلا أنه أكثر التَّردد والأخذَ عن أحد فقهائها السبعة الأعلام، وهو عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود، ولكثرة تردده إليه واستفادته منه، وصفه العجلي بقوله: «وهو معلِّمُ عمرَ بنِ عبد العزيز»(٥).

---

(١) تاريخ أبىٰ زرعة (ص٢٥٥)، وابن عساكر (٤٥/ ١٤٨).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٦٧).
(٣) تذكرة الحفاظ (ص١١٨-١١٩).
(٤) تهذيب التهذيب (٧/ ٤٠٣).
(٥) المصدر السابق (٧/ ٢٢).

ولقد عبَّر عمر بن عبد العزيز عن إعجابه الكبير بمجلس عبيد الله - وكان أعمىٰ- وكثرة فوائده المنثورة فيه فقال: «لمجلسُ من الأعمىٰ: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحبُّ إليّ من ألف دينار»(١).

ولمعرفة عمر بما عند عبيد الله من علم ورأي، كان يقول أيام خلافته: «لو كان عبيد الله حيًا ما صدرتُ إلا عن رأيه»(٢). ومن شيوخه أنس بن مالك وسمع منه، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن جعفر ابن أبي طالب، وعمر بن أبي سلمة المخزومي، والسائب بن يزيد.

وروىٰ عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن المسيب، وسالم بن عبد الله بن عمر، وابن شهاب وخلق سواهم(٣).

وأمدُ إقامة عمر في المدينة النبوية غير معلوم، إلا أنه من الواضح أنه كان أمدًا مديدًا، يسَّر لعمر بن عبد العزيز - إلىٰ جانب ذكائه وحافظته - الاستفادة العظيمة من الأئمة الذين لقيهم، ولقد وصف حاله التي خرج عليها من المدينة بقوله: «خرجت من المدينة وما من رجل أعلم مني»(٤)، مع أنه ترك فيها سعيد بن المسيب ونظراءه.

وبيّنة هذه الشهادات والأخبار قائمة في كتب العلم، فما من كتاب من كتب السنة، أو الفقه الاستدلالي إلا ويجد القارئ فيها ذكرًا لعمر، من حديث، أو رأي، أو أمر، أو قضاء، ونحوها، وليسهل الأمر علىٰ المتتبع فلينظر من هذه الكتب الأبواب التي لها صلة بالخليفة والسلطان، كالزكوات، والصدقات، والمعاقل، والديات، والجهاد، والسّير، ونحوها فإنه واجد فيها الكثير الوفير.

---

(١) العلل ومعرفة الرجال (٢/ ١٢٦)، وابن الجوزي سيرة عمر (ص١٤).
(٢) تهذيب التهذيب (٧/ ٢٣)، وابن الجوزي: سيرة عمر (ص٢٤).
(٣) أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٥٩)، سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤-١١٥)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٠٣).
(٤) البداية والنهاية (٥/ ١٩٥).

بل لو رجعنا إلىٰ الكتب الصغيرة لأئمة العلم الأقدمين لوجدنا فيها ذكر عمر بن عبد العزيز متكررًا، علىٰ سبيل الاحتجاج لرأيهم بقوله وفعله.

من ذلك رسالة الإمام الليث بن سعد إلىٰ الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهي رسالة قصيرة لا تتجاوز صفحاتها عددَ أصابع اليد، وفيها يحتج الليث - مرارًا- لصحة قوله، بقول عمر بن عبد العزيز، علىٰ مالك فيما ذهب إليه في بعض مسائله(١).

ويردُ ذِكر عمر بن عبد العزيز في كتب الفقه للمذاهب الأربعة المتبوعة، علىٰ سبيل الاحتجاج بمذهبه:

فيستدلُّ الحنفية بصنيعه في كثير من المسائل، حتىٰ لقد جعلوا له وصفًا يتميَّز به عن جدّه لأمه: عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأحيانا يُدرجون ذكره معه.

قال الحافظ القرشي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجواهر المضية»: «فائدة: يقول أصحابنا في كتبهم في مسائل الخلاف: «وهو قول عمر الصغير» يريدون به عمر بن عبد العزيز الإمام الخليفة المشهور»(٢).

وقال الحافظ الزيلعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يوجد في بعض نسخ «الهداية»: «وبذلك قضىٰ العمران» فيحتمل أنه أراد أبا بكر، وعمر، ويؤيده التصريح بهما في النسخة الأخرىٰ، ويحتمل أنه أراد عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، وكثيرًا ما يفعل أصحابنا ذلك»»(٣).

ويُكثر الشافعية من ذكره في كتبهم، ولذلك ترجم له الإمام النووي ترجمة حافلة في «تهذيب الأسماء واللغات». وقال في أولها: «تكرر في «المختصر» و«المهذب»...»»(٤).

---

(١) انظر الرسالة الفسوي: في المعرفة والتاريخ (١/ ٦٨٧-٦٩٥).

(٢) الجواهر المضية (٤/ ٥٥٢).

(٣) نصب الراية (٥/ ٩٦٩).

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٧-٢٤).

وأما المالكية فيكثرون من ذكره في كتبهم أكثر من غيرهم، ومالك إمام المذهب ذكر عمر بن عبد العزيز في «الموطأ» محتجًا بفتواه وقوله في مواضع عديدة في موطئه[(١)].

وأما الحنابلة فكذلك، يذكرونه كثيرًا، وعمر هو الذي قال فيه الإمام أحمد: «لا أدري قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز». وكفاه هذا[(٢)].

وكفانا قولُ الإمام أحمد أيضًا: «إذا رأيتَ الرجل يحبُّ عمر بن عبد العزيز ويذكر محاسنه وينشرها فاعلم أن من وراء ذلك خيرا إن شاء الله»[(٣)].

▪ إشكال وجوابه:

قد يقول قائل: إذا كان عمر بن عبد العزيز بهذه المثابة في سعة العلم والإمامة فيه، ويُعْدَل بابن شهاب الزهري، فلم لمْ يشتهر بالعلم هذه الشهرة، ولم يُنقل عنه من العلم ما نُقل عن غيره من الأئمة: كالزهري، ومالك، وابن عيينة وأمثالهم؟!

والجواب عنه: أن العلم تحمُّل وأداء: والتحمُّل هو الأخذ والاستماع، والأداء هو التحديث والإسماع.

وقد يسّر الله تعالىٰ لعمر بن عبد العزيز الجانبَ الأول من العلم، وهو تحملُه وتلقّيه له، ولم يتيسر له الجانب الثاني إلا قليلا. فلما بعث به أبوه إلىٰ المدينة، توفّر علىٰ استماع العلم وتحمله، إلىٰ أن خرج من المدينة النبوية ولم يترك فيها أحدًا أعلم منه كما تقدم. ثم شغل بإمارة المدينة، ثم جُمع إليه معها

---

(١) انظر الموطأ الأرقام الآتية: (٣٠٥، ٥٩٢، ٥٩٤، ٦١٤، ٧٥٩، ٨٥٠، ١١٠٧، ١١٧٠، ١٣٨٣، ١٤٢٩).

(٢) البداية والنهاية (٥/ ٢١٤).

(٣) سيرة عمر (ص٦١).

إمارة مكة المكرمة، ثم ألقيت عليه الخلافة بثقلها وأعبائها، فلم يتفرغ لأداء ما تحمّل إلا قليلًا.

وعذره في هذا عذر غيره من أئمة السلف فأبو بكر الصديق رضي الله عنه: كان أطولَ الصحابة صحبة لرسول الله ﷺ وأكثرهم ملازمة له، ولم ينقل عنه من الرواية إلا القليل، وعذره تعجُّل وفاته، وانهماكه في حروب الردة، وأمور الخلافة.

وهكذا كان عمر بن عبد العزيز: كثير التحمل قليل الأداء، ولولا ما شُغل به من أمور المسلمين لنُقل عنه من العلم ما نُقل عن أقرانه الأئمة يضاف إليه: انقضاء أجله في الأربعين من عمره رحمه الله، والتنصيص علىٰ هذا العذر صريح في قول الحافظ الذهبي السابق: «...وفي العلم مع الزهري ولكن موته قرب من موت شيوخه، فلم ينتشر علمه».

ب- نشره العلم في الأمصار والبوادي:

وأما نشره العلم في الأمصار والبوادي فذلك في إرساله العلماء إليها ليعلّموا أهلها شرع الله ويفقهوهم فيه.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في «**تذكرة الحفاظ**»، ترجمة نافع مولىٰ ابن عمر: قال عبيد الله بن عمر: «بعث عمر بن عبد العزيز نافعا إلىٰ أهل مصر يعلمهم السنن»(١).

وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة بكر بن سوادة المصري: «أرسله عمر بن عبد العزيز إلىٰ أهل أفريقية ليفقههم»(٢).

ومن الذين أرسلهم كذلك: عبد الرحمن بن رافع التنوخي، قال الدباغ: كان أحد الفقهاء العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز ليفقهوا أهل أفريقيا(٣).

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٠)، تاريخ أبي زرعة (ص٣٢٢)، تهذيب التهذيب (١/ ٤٤٢).
(٢) تهذيب التهذيب (٦/ ١٥٥).
(٣) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (١/ ١٩٨).

ومنهم: عبد الله بن يزيد الحبلىٰ، قال الدباغ: بعثه عمر بن عبد العزيز إلىٰ أفريقية ليفقههم فبث فيهم علمًا كثيرًا[(١)].

ومنهم: طلق بن جعبان «**أوجابان**» الفارسي، قال الدباغ: كان أحد النفر الذين بعث بهم عمر ابن عبد العزيز من فقهاء مصر إلىٰ المغرب[(٢)].

ومنهم: سعد بن مسعود التجيبي ذكره الدباغ وقال: سكن القيروان، وبث فيها علمًا كثيرًا[(٣)].

ومنهم: إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري ولاءً، سكن القيروان وانتفع به خلق كثير من أهلها وغيرهم[(٤)].

ومنهم: كذلك إسماعيل بن عبيد الله بن المهاجر المخزومي أسلم عامة البربر علىٰ يديه، وكان حريصًا علىٰ إسلامهم، وكان عمر بن عبد العزيز قد أرسله إليهم ليحكم بينهم ويفقههم في الدين[(٥)].

وعبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني كان قاضيًا لعمر بن عبد العزيز في القيروان[(٦)].

ويحتمل أن من هؤلاء العشرة أبا سعيد جعثل بن عاهان بن عمير الرعيني ثم القتباني. قال الدباغ: وهو أحد العشرة التابعين[(٧)]، وكذلك حبان بن أبي جبلة القرشي مولىٰ بني عبد الدار. قال الدباغ: وهو أحد العشرة التابعين[(٨)].

---

(١) السابق (١/ ١٨٠).
(٢) المصدر السابق (١/ ٢١٥).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٨٤).
(٤) المصدر السابق (١/ ١٩٢).
(٥) المصدر السابق (١/ ٢٠٣)، تهذيب التهذيب (١/ ٢٨٦).
(٦) معالم الإيمان (١/ ٢١٠).
(٧) معالم الإيمان (١/ ٢٠٢).
(٨) المصدر السابق (١/ ٢٠٩).

ومن أخبار إرساله العلماء إلىٰ البوادي من أجل نشر العلم وتعليم الناس السنة ما رواه أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن عبد الحكم، وابن الجوزي، أن عمر بن عبد العزيز بعث يزيد بن أبي مالك الدمشقي، والحارث بن «يمجد» وقيل: ابن محمد الأشعري يفقهان الناس في البادية وأجرىٰ عليهما رزقا، فأما يزيد فقبل، وأما الحارث فأبىٰ أن يقبل وقال: ما كنت لآخذ علىٰ علم علمنيه الله أجرا، فكتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز بذلك، فكتب عمر: إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأسا، وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد[1].

وكان يُردفُ إرساله العلماء بكتب يُرسلها هو إلىٰ الأمصار يعلّمهم فيها السنن والفقه، ويمكن الوقوف علىٰ كثير منها في كتابي ابن عبد الحكم، وابن الجوزي في سيرته فلا حاجة إلىٰ الإطالة بذكر بعضها، إنما المفيدُ ذكر كلام الإمام مالك في بيان منهج عمر بن عبد العزيز في هذه الكتب (التعليمية) لعماله ورعيته.

روىٰ ابن عبد البر في «**التمهيد**» عن ابن وهب قال: «سمعت مالكا يقول: كان عمر بن عبد العزيز يكتب إلىٰ الأمصار يُعلمهم السنن والفقه، ويكتب إلىٰ المدينة يسألهم عما مضىٰ، وأن يعملوا بما عندهم...»[2].

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يستمدُّ علمه - فوق ما اغترفه أول أمره - من معين المدينة النبوية، ويرسل بذلك إلىٰ سائر أمصار الإسلام، فتكون كتبه بمثابة رُسُل توجِّه الرعية.

ومما زاد في نشره العلم أمران:

أ- فرْضُه العطاءَ والمرتبات لمن نصب نفسه للعلم وحبسها عليه، كي لا

---

(١) أبو عبيد: الأموال (ص٢٧٥- ٢٧٦)، ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص١٤١)، وابن الجوزي سيرة عمر (ص٧٤).

(٢) التمهيد (١/ ٨٠-٨١).

يهتمُّوا بدنياهم أو يشتغلوا بها عن هذه المهمة.

فروىٰ أبو زرعة الدمشقي عن أبي بكر بن أبي مريم قال: «كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ والي حمص: «مُرْ لأهل الصلاح من بيت المال بما يُغْنيهم، لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث»»(١).

وذكر له ابن الجوزي كتابا آخر إلىٰ والي حمص كذلك، قال له فيه: «انظر إلىٰ القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فأعط كلَّ رجل منهم مائة دينار يستعينون بها علىٰ ما هم عليه، من بيت مال المسلمين حين يأتيك كتابي هذا، وإن خيرَ الخير أعجلُه، والسلام عليك»(٢).

ب- حضُّه العلماء علىٰ «علنيَّة العلم» وأمره إياهم أن يتخذوا المساجد مراكز لتعليم الناس أمور دينهم، وكتب بذلك: «أما بعد: فأمُرْ أهلَ العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم، فإن السنة كانت قد أميتت»(٣).

جـ- تدوينه العلم وتثبيته خشية اندراسه بموت حملته: أما تدوينه العلم وتثبيته فذلك في إرشاداته وأوامره الخاصة والعامة بتدوين السنة عامة، وروايات بعض الصحابة والتابعين خاصة.

فمن إرشاداته: قوله رحمه الله: «قيّدوا العلم بالكتاب»(٤)، وهذا يدل علىٰ ذهابه إلىٰ ما استقر عليه الأمر من جواز كتابة العلم.

ولم يقف الأمر منه عند حدِّ الإرشاد العام، إنما تعداه إلىٰ الأوامر الخاصة والعامة: فروىٰ البخاري في «صحيحه» كتاب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: «انظُر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني

(١) تاريخ أبي زرعة (ص٣٢٦).
(٢) ابن الجوزي سيرة عمر (ص٩٥).
(٣) المحدث الفاصل (ص٦٠٣)، سيرة عمر (ص٩٤).
(٤) البداية والنهاية (٥/ ٢٠٩).

خِفْتُ دروسَ العلم - أي: اندراسه وذهاب العلماء»[١].

وروىٰ الخطيب في «تقييد العلم» بسنده قال: «كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم: أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، أو سنة ماضية، أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن فاكتُبه، فإني قد خِفْتُ دروس العلم وذهاب أهله»[٢].

وكذلك وجَّه كتابًا إلىٰ الإمام ابن شهاب الزهري - وغيره - بكتابة السنن.

فروىٰ الحافظ ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» عن ابن شهاب قال: «أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترًا دفترًا، فبعث إلىٰ كلّ أرض له عليه سلطانٌ دفترًا»[٣].

وروىٰ الإمام أبو عبيد في «الأموال الشرعية وبيان جهاتها ومصارفها» أن عمر بن عبد العزيز أمر ابن شهاب أن يكتب مصارف الزكاة الثمانية، وكيف يكون تفريقها فيهم، فكتب له كتابًا مطوَّلًا ذكر أبو عبيد جزءًا منه في كتابه الأموال[٤].

وروىٰ الخطيب في «تقييد العلم» عن عبد الله بن دينار البَهْراني قال: «كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أهل المدينة: أن انظروا حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه، فإني قد خِفْتُ دروس العلم وذهاب أهله»[٥].

وأعم الروايات في هذا الصدد عن عمر بن عبد العزيز: رواية أبي نعيم في «تاريخ أصبهان»: عن عبد الله بن دينار أيضًا قال: «كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ

---

(١) البخاري مع الفتح (١/ ١٩٤).
(٢) تقييد العلم (ص١٠٦).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٣١).
(٤) الأموال (ص٥٧٣-٥٧٤).
(٥) تقييد العلم (١٠٦).

الآفاق: انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه واحفظوه، فإني أخاف دروس العلم وذهاب العلماء»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه في شرحه قول عمر بن عبد العزيز لأبي بكر بن حزم «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه»: «يُستفاد منه ابتداء تدوين الحديث النبوي، وكانوا قبل ذلك يعتمدون علىٰ الحفظ، فلما خاف عمر بن عبد العزيز - وكان علىٰ رأس المائة الأولىٰ- من ذهاب العلم بموت العلماء، رأىٰ أن في تدوينه ضبطًا له وإبقاء»[(٢)].

ويلاحظ قول الحافظ: «تدوين الحديث النبوي» و«أول من دوَّن الحديث» فهذا هو تاريخ تدوينه، أما مجرد كتابته فقد حصلت في عهد النبي ﷺ فمن بعده، فكان أحدُهم يكتب لنفسه مسموعاته ليُتْقن حفظها، ويرجع إليها عند الحاجة، ولا تتعدّىٰ كتابتُه خاصة مروياته.

ومما تجدُر ملاحظته في تدوين عمر بن عبد العزيز للسنة عدة أمور:

١- حُسْن اختياره لمن يقوم بهذه المهمة العظيمة، وسمت الروايات منهم الزهريَّ وأبا بكر ابن حزم.

أما الزهري: فإمام زمانه، ومرجع علماء عصره، وأشهر من أن يعرَّف.

وأما أبو بكر بن حزم: فهو الذي شهد له الإمام مالك بقوله: «لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم» كما في «التهذيب»[(٣)].

٢- أمره بتدوين أحاديث أناس مخصوصين لما امتازوا به وكذلك تدوين أحاديث خاصة لأهميتها.

---

(١) أخبار أصبهان (١/ ٣١٢).

(٢) تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٤).

(٣) تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٤).

وتقدم أن بعض المصادر روت أن عمر بن عبد العزيز طلب من ابن حزم تدوين حديث عمر، وحينئذ فيكون قد طلب منه تدوين مرويات عمر بن الخطاب، لما يقصده من تتبعه سيرته وأحواله وأقضيته، وقد روىٰ أبو نعيم في الحلية وغيره خبرًا طويلًا يطلب فيه عمر بن عبد العزيز من سالم بن عبد الله بن عمر أن يكتب إليه بسيرة جده عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

٣- تنبيهه من يكتبُ له السنة ويدونها، أن يلتزم الثابت الصحيح منها، كما جاء هذا في رواية الإمام أحمد لهذا الخبر حيث قال: أكتب إلي من الحديث بما ثبت عندك عن رسول الله ﷺ وحديث عمرة[(٢)]، وهذا تنبيه مهم في حد ذاته، ويزداد أهمية حينما تلاحظ أن هذه هي أولىٰ مراحلِ التدوين، فإذا لم يُرسم هذا المنهج، كانت المراحل اللاحقة أشدَّ اضطرابا وخَللًا فيما تجمعه من السنة النبوية.

وبهذا يتبين أن عمر بن عبد العزيز انتقىٰ الرجال القائمين بهذا العمل العظيم، فأحسن الانتقاء، ورسم لهم بعض النقاط المهمة جدًا، فخصَّ أناسًا يتبعون أحاديثهم، وخصَّ أحاديثَ معينة ذات أهمية خاصة بالنسبة له، وأن يكتبوا ما ثبت عندهم من الحديث الشريف فقط، ولا يكون همُّهم الجمع والإكثار.

وهذا كله يدلُّ علىٰ بُعد نظره، ودقة تفكيره، وحسن توفيقه في العلم رَحِمَهُ اللَّهُ، وجزاه الله عن الإسلام والسنة النبوية عظيم الأجر ووافر الثواب.

د- تلاميذه: رأينا فيما سبق جهود عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ في خدمة السّنة ولا شك أنها تحمّل وأداء، وقد سبق أنه ممن تحمل العلم فأكثر ثم أشغل بالخلافة، ولم يتمكن من الأداء كغيره، ومع ذلك فقد كانت له تلامذة كثيرون

---

(١) أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز (٧١- ٧٣)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٨٥).

(٢) العلل ومعرفة الرجال (١/ ٤٩).

لأنه رحمه الله كان جوادًا بالخير، ولم يبخل بما عنده من علم اكتسبه على تلاميذه أو حتى على جلسائه وعامة رعيته. فروى عنه عدد كثير، وجم غفير، كما أثبتته المصادر من بينهم عدد من شيوخه في حين كتب إليه البعض يستفتونه فأجابهم(١).

■ أما شيوخه الذين رووا عنه فهم:

١- أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، المدني، الزهري، أحد فقهاء المدينة (ت٩٤هـ)(٢).

٢- وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي، أعلم أهل زمانه بالقضاء (ت١٢٠هـ)(٣).

٣- ومحمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري القرشي المدني حافظ زمانه (ت١٢٤هـ)(٤).

كما روى عنه جم غفير من علماء عصره من بينهم:

٤- أيوب بن أبي تميمة السختياني العنزي مولاهم الثقة الصدوق الثبت الحجة العدل (١٣٩هـ)(٥).

٥- وإبراهيم بن أبي عبلة شمر بن يقظان بن عبد الله المرتحل الشامي المقدسي الثقة الصدوق (ت١٥٢هـ).

٦- وعمير بن هانئ العنسي الداراني الإمام التابعي الثقة (ت ١٢٧هـ)(٦).

---

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ٤٠٣).
(٢) تذكرة الحفاظ (١/ ٦٣)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٠٣).
(٣) تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٥-٣٦)، تذكرة الحفاظ (ص١١٨، و١٠٨-١١٣).
(٤) الجرح والتعديل (٨/ ٧١)، والذهبي: تذكرة الحفاظ (١/ ١١٨).
(٥) تهذيب التهذيب (١/ ١٢٨-١٢٩)، والذهبي: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٣- ٣٢٥)، وتذكرة الحفاظ (ص١١٨).
(٦) الجرح والتعديل (٦/ ٣٧٨)، تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٨).

٧- ويعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي المدني الثقة العالم الورع أحد علماء السيرة (ت١٢٨هـ)[١].

٨- ومحمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزىٰ التيمىٰ القرشي، المدني، الإمام، الحافظ، القدوة (ت١٣٠هـ)[٢].

٩- وحميد بن أبي حميد الطويل أبو عبيدة البصري مولىٰ طلحة الطلحات الإمام، الحافظ، الثقة (١٤٣هـ)[٣].

١٠- وعمرو بن مهاجر بن أبي مسلم واسمه دينار الأنصاري وهو مولىٰ أسماء بنت زيد (ت١٣٩هـ)[٤].

١١- وعمرو بن ميمون بن مهران الجزري الرقي عامل عمر بن عبد العزيز علىٰ خراج الجزيرة كان ثقة صدوقا (١٤٥هـ)[٥].

١٢- والنضر بن عربي أبو روح الباهلي مولاهم الجرزي الحراني، الإمام، الثقة، العالم، المحدث (ت١٦٨هـ)[٦].

كما روىٰ عنه أبناؤه الذين تقدم ذكرهم وزوجته فاطمة بنت عبد الملك بن مروان[٧].وبما سبق ذكره يظهر جليا أن عمر قد أصبح في زمانه مهوىٰ أفئدة طلاب العلم. روىٰ الحديث فأكثر ونظر في النصوص فاجتهد واستنبط فأخذ عنه الفقهاء، واعتبروا رأيه حجة.

---

(١) الجرح والتعديل (٩/ ٢١١-٢١٢)، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٤١).
(٢) الجرح والتعديل (٨/ ٩٧-٩٨)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٠٧-٤٠٩).
(٣) الجرح والتعديل (٣/ ٢٢١)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٥٢).
(٤) تهذيب التهذيب (٨/ ٩٠).
(٥) تهذيب التهذيب (٨/ ٩٠-٩١).
(٦) المصدر السابق (١٠/ ٣٩٦).
(٧) تذكرة الحفاظ (١/ ١١٨)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٠٣).

هـ- مرويات عمر بن عبد العزيز:

لعمر بن عبد العزيز رحمه الله مرويات كثيرة في مسائل متعددة فقد ذكر ابن الجوزي عددا من مروياته، وكذلك روىٰ له أصحاب السنن، وأفرد له الحافظ أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندي مسندا يحوي واحدا وستين حديثا والكتاب مطبوع ومتداول ولله الحمد[(١)].

ومن مروياته حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت -والإمام يخطب- فقد لغو**» رواه مسلم[(٢)]، وحديث: «سجدنا مع رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾» رواه النسائي[(٣)].

وحديث عائشة أن رسول الله ﷺ «كان يقبلها وهو صائم» رواه مسلم[(٤)].

وحديث أن رسول الله ﷺ نهىٰ عن المتعة وقال: «**ألا إنها حرام من يومكم هذا إلىٰ يوم القيامة، ومن أعطىٰ شيئا فلا يأخذه**» رواه مسلم[(٥)].

نماذج من فقهه وما أفتى به:

لعمر بن عبد العزيز رحمه الله فتاوىٰ فقهية بحكم تضلعه من العلم، فقد كانت تعترضه مسائل فقهية يعمل فيها فكره، بالإضافة إلىٰ استشارته العلماء من حوله وتلك المسائل كثيرة ونأخذ منها بعض الأمثلة التي تدل علىٰ مدىٰ سعة علمه، فمنها:

١- نهيه عن الطلاء وهو النبيذ المسكر والمتخذ من غير العنب، قال ابن

---

(١) مسند أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز طبعة مكتبة الدعوة الطبعة الأولىٰ في (١٥/ ٥/ ١٣٩٧) هـ تحقيق محمد عوامة.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٤٥٣) رقم (٨٥١).

(٣) سنن النسائي (١/ ١٦١).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ١٧٧)، برقم (١١٠٦).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٥٣٥)، رقم (١٤٠٦).

عون: كان ابن سيرين إذا سئل عن الطلاء قال: نهىٰ عنه إمام هدىٰ يعني عمر بن عبد العزيز[(١)].

٢- عظم الميتة نجس، فعن أم ولد عمر بن عبد العزيز قالت: «سألني عمر دهنا فأتيته به وبمشط من عظام الفيل، فرده، وقال: «هذه ميتة» قلت: وما جعله ميتة؟ قال: ويحك! من ذبح الفيل»»[(٢)].

٣- ليس في العسل زكاة، كتب عمر إلىٰ ابن حزم «ألا تأخذ من الخيل ولا من العسل صدقة»[(٣)].

٤- إسقاط الجزية عن الذمي إذا أسلم قبل استحقاقها، فعن عمر بن مهاجر، عن عمر بن عبد العزيز في الذي يسلم قبل السنة بيوم قال: «لا تؤخذ منه الجزية»[(٤)].

وعن سويد بن حصين، عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب: «إذا أسلم والجزية في كفة الميزان فلا تؤخذ منه»[(٥)].

وهذه الأمثلة هي محل خلاف بين العلماء وقد رأينا من يستند فيها منعا وإباحة إلىٰ ما قرره عمر بن عبد العزيز رحمه الله لوثوقهم به وبمعرفته لترجيح الروايات والجمع بين أقوال العلماء وهناك روايات كثيرة لم نذكرها هنا إذ الغرض الإشارة إلىٰ فقه عمر.

▪ أخلاقه ؟ :

أ- الزهد:

إن عمر بن عبد العزيز رحمه الله رجل توّاق لا ينال شيئًا إلا تاق إلىٰ ما هو

---

(١) الحلية (٥/ ٢٥٧)، وابن الجوزي سيرة عمر (ص٧٤).
(٢) الطبقات (٥/ ٤٠١).
(٣) الأموال (ص١٩١).
(٤) الطبقات (٥/ ٣٥٦).
(٥) المصدر السابق (٥/ ٣٥٦)، وأبو عبيد: الأموال (ص٢٨).

أشرف وأعلىٰ مما ناله، فلما وصل إلىٰ الخلافة وهي أعلىٰ منصب دنيوي علىٰ الإطلاق تاقت نفسه إلىٰ الآخرة، والعمل بالعدل، فوظَّف الخلافة لنيل سعادة الآخرة، ولا شك أن سلعة الله تبارك وتعالىٰ سلعة غالية لا تنال بالتمني وإنما تنال بالأعمال الصالحة الموافقة لما جاء به نبينا محمد ﷺ فالتزم أخلاقا فاضلة منها: الزهد، والورع، والتواضع.

والزهد في الدنيا هي الصفة التي اشتهر بها نظرا للمحيط الذي كان يعيش فيه، والأشخاص الذين عاصرهم، ولا شك أن الزهد المبني علىٰ الكتاب والسنة زهد مشروع مرغب فيه، وهو ترك ما لا ينفع في الآخرة[1]، ومن المعلوم أن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد بذل ما بوسعه لترك كل أمر لا ينفعه في آخرته فلم يفرح بموجود وهي الخلافة، ولم يحزن علىٰ مفقود كما في وفاة ابنه البار عبد الملك أحب الناس إليه، وهذا هو تطبيق نص الآية الكريمة قال تعالىٰ: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد:٢٣]، ولقد شهد له غيره بالزهد في الدنيا، لأن خير الزهد المشروع أن يترك الإنسان ما هو قادر علىٰ تحصيله من متاع الدنيا انشغالا بما هو خير في الآخرة ورغبة فيما عند الله ﷻ.

قال مالك بن دينار: «الناس يقولون: مالك بن دينار زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها»[2].

ولقد وصف أحد الذين كتبوا عن عمر في العصر الحديث حاله تلك فقال: «إن عمر بن عبد العزيز قد عفّ عن مال المسلمين مع قدرته علىٰ استغلاله وإنفاقه كما يشاء، ولم يكن هناك من يستطيع أن يقول له: لم فعلت ذلك؟ وقد منع نفسه عن التمتع بلذائذ الحياة من عيشة هنية رضية، ومتاع دنيوي، وشهوات مباحة، أو غير مباحة لو أرادها لسعت إليه دون أن يسعىٰ لها، ولأكل أطيب

---

(١) الفوائد لابن القيم (١١٨)، ومدارج السالكين (٢/ ١٢).
(٢) حلية الأولياء (٥/ ٢٥٧)، وابن الجوزي سيرة عمر (ص١٥٥).

الطعام، ولشرب أفضل الشراب، وللبس ألين وأثمن الثياب، ولركب أفره الدواب، ولتزوج وتسرىٰ أجمل وأحلىٰ، وأشرف النساء والجواري، وكل ذلك تحت يديه ورهن إشارته لو أراد[(١)]، وقد كان قبل خلافته يأخذ حظه من متاع الدنيا المباح، ولكن لما تولىٰ الخلافة كتب إلىٰ عماله أما بعد: فإن هذا الأمر الذي ولاني الله لو كنت إنما أصبحت ورغبتي فيه مطعم، أو ملبس، أو مركب، أو اتخاذ أزواج، أو اعتقاد أموال لكنت قد بلغ الله بي من ذلك قبل ما ولاني من أفضل ما بلغ بعباده. ولكن أصبحت له خائفا، أعلم أن فيه أمرا عظيما وحسابا شديدا، ومسألة لطيفة عند مجاهدة الخصوم بين يدي الله إلا ما عافىٰ الله ورحم ودفع...»[(٢)].

قال ابن عبد الحكم: «ولما ولي عمر بن عبد العزيز زهد في الدنيا، ورفض ما كان فيه وترك ألوان الطعام فكان إذا صنع له طعام هيئ علىٰ شيء، وغطي، حتىٰ إذا دخل اجتذبه فأكل»[(٣)].

فإذا لا يهمه من الأكل إلا أنه يسد جوعه ويقيم صلبه، ولكن كم كانت نفقته وعياله في اليوم؟ قال سلم بن زياد: «كان عمر ينفق علىٰ أهله في غدائه وعشائه كل يوم درهمين»[(٤)].

فلعله رَحِمَهُ اللَّهُ كان يتأول ما ورد عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت تقول: «ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البُرِّ ثلاث ليال تباعا»[(٥)].

والواقع أن الزهد الشرعي لا يذم صاحبه، وهذا بخلاف الزهد الذي ابتدعه

---

(١) قدوة الحكام والمصلحين عمر بن عبد العزيز (ص١٤٥)، د: محمد صدقي البورنو.

(٢) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٨١-٨٢)، الطبقات (٥/ ٣٨٠)، والطبري في التاريخ (٥/ ٣١٩)، الحلية (٥/ ٣١٢).

(٣) سيرة عمر (ص٤٣).

(٤) المصدر السابق (ص٣٨).

(٥) رواه البخاري برقم (٥٤١٦)، ومسلم برقم (٢٩٧٢).

غلاة الصوفية وغيرهم بحيث لم يلتزموا بحدود الزهد المرغب فيه وهو التوسط في تناول المباحات التي أحلها الله، وأما ما يصل إلىٰ حد الإسراف فهذا منهي عنه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾ [الفرقان:٦٧]، فمن أسرف في تناول كل ما يحلو له فقد جانب الزهد المرغب فيه، ومن بالغ في تقتيره علىٰ نفسه بحيث امتنع عن تناول الطيبات، والمباحات بقصد الزهد فقد جانب الصواب أيضًا، فإن الرسول الله ﷺ قال في رده علىٰ الثلاثة الذين سألوا عن عمله فتقالوها، فأوجب كل واحد منهم علىٰ نفسه تحريم شيء من المباحات، فلما علم ﷺ بقولهم غضب، وأخبر بأنه يتزوج النساء، ويصوم ويفطر، ويأكل اللحم. ونصوص أخرىٰ كلها تدل علىٰ أن الشخص ينبغي عليه أن يكون معتدلا وسطا في مطعمه وملبسه، وكل شئونه، وما روىٰ عن عمر رَحِمَهُ اللَّهُ من الزهد فإنه يحمل علىٰ الزهد المرغب فيه الذي لا إفراط ولا تفريط فيه. فلم يزد في مأكله ما يكفيه لقوته فكان غداؤه وعشاؤه صفحة غليظة فيها خبز قد كسر وصب عليه ماء وملح وزيت، هذا في وقت الصباح. أما في العشاء فنفس القصعة فيها ثريد عدس وبصل، وقد اعتذر خادم عمر من خشونة هذا الطعام، فقال: «**لو كان لعمر عشاء غيره لعشاكم منه وما فطره إلا علىٰ مثل هذا**»[(١)].

وكما زهد عمر في طعامه فكذلك زهد في لباسه فاقتصر علىٰ ما يدفع الحر والبرد، ويستر العورة، ولم يكن لباسه لباس شهرة، وقد كان ﷺ يلبس الخشن من الثياب وقد روىٰ عن أبي بردة، قال: أخرجت إلينا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كساء ملبد أو إزارًا غليظا وقالت: «قبض رسول الله ﷺ في هذين»[(٢)].

وقد ذُكر أن عمر بن عبد العزيز - بعد خلافته - كان لا يلبس إلا الخشن

(١) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص١٣٥).
(٢) مسلم (٥/ ٢٤٧-٢٤٨) برقم (٢٠٨٠). الملبد الذي ثخن وسطه.

من الثياب، يحكىٰ رياح بن عبيدة – وكان تاجرا – قال: كنت أتَّجِر فقال لي عمر بن عبد العزيز: «يا رياح اتخذ لي كساءين خزا أتخذ أحدهما محبسا، والآخر شعارًا». قال: ففعلت فصنعتهما بالبصرة فلم آل ثم قدمت بهما، فأمر بقبضهما فلما أصبح غدوت عليه فقال لي: «يا رياح ما أجود ثوبيك لولا خشونة فيهما». وكان هذا قبل أن يلي الخلافة، فلما وُلّي قال لي: «يا رياح اتخذ لي من هذه الجباب الهروية عامل قطن فيهن صفر. قال: فاشتريت له ثلاث شقق فقطعت من الثلاث جبتين خشنتين ثم أتيت بهما إليه فقبضهما، فقال لي: «يا رياح ما أجود ثوبيك لولا لين فيهما». فقال رياح: فذكرت قوله الأول وقوله الآخر»»[(١)].

ويُحكىٰ كذلك أنه أخّر الجمعة يوما عن وقتها الذي كان يصلىٰ فيه فيقال له: أخرت الجمعة اليوم عن وقتها؟ فيقول: «إن الغلام ذهب بالثوب يغسلها فحبس بها». فعرفنا أنه ليس له غيرها.

ويحكىٰ أيضًا أنه لم يعد يلبس من الثياب إلا المرقوع حسب ما يرويه سعيد بن سويد: أن عمر بن عبد العزيز صلىٰ بهم الجمعة، وعليه قميص مرقوع الجيب، من بين يديه ومن خلفه فلما فرغ جلس وجلسنا معه، قال: فقال له رجل من القوم، يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست وصنعت. فنكس مليًا حتىٰ عرفنا أن ذلك قد ساءه ثم رفع رأسه فقال: إن أفضل القصد عند الجدة، وأفضل العفو عند المقدرة[(٢)].

فعمر رَحِمَهُ اللَّهُ كان زاهدا عن الدنيا حسب الروايات التي سبقت، رغبة فيما عند الله واستهانة بأمر الدنيا لأنها زائلة، وربما يريد من وراء ذلك حثَّ غيره من أهل بيته وعماله علىٰ الرغبة عن الدنيا، لأن الرغبة الشديدة فيها قد تؤدي إلىٰ قسوة القلوب، وتبعدها عن تذكر الفقراء والمحتاجين، ولا حرج علىٰ المسلم

---

(١) الحلية (٥/ ٣٢٥)، العقد الفريد (٤/ ٤٣٤)، وابن الجوزي سيرة عمر (ص١٤٨).
(٢) الطبقات (٥/ ٤٢).

أن يلبس أيّ لباس شاء مما يتناسب معه وهو ما أمر به الرسول ﷺ وفعله، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ فرآني سيء الهيئة فقال: «**هل لك من شيء**» قال: نعم من كلٍّ قد آتاني الله. فقال: «**إذا كان لك مال فليُرَ عليك**»[(١)].

وكان عليه الصلاة والسلام يلبس الحلة الجميلة، فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما رأيت أحدًا من الناس أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ ...»[(٢)].

ولم يسكن رَحِمَهُ اللَّهُ القصور الشاهقة المفروشة بأنواع المفارش الوثيرة، وإنما كان قدوته وقائده سيد الخلق أجمعين محمد ﷺ الذي لم يضع لبنة علىٰ لبنة حتىٰ خرج من الدنيا، وهكذا كان عمر في خلافته رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد كانت لعمر مرقاتان يرقىٰ من صحن داره إلىٰ مقر بيته عليهما، فانقلعت إحدىٰ المرقاتين، فأتاها رجل من أهل بيته فأصلحها كراهية أن يشق علىٰ عمر، فلما جاء عمر ونظر إليها قال: «من صنع هذا؟ قالوا: فلان. قال: علي به. فلما جاء قال: «ويحك يا فلان أنفست علىٰ عمر أن يخرج من الدنيا ولم يضع لبنة علىٰ لبنة؟ والله لولا أن يكون فساد بعد إصلاح لغيرتها إلىٰ ما كانت عليه»»[(٣)].

وحتىٰ هذه الدار المذكورة إنما ورثها عن والده عبد العزيز بن مروان، وهي الملاصقة للجامع الأموي، ويبدو أنها كانت دارا متواضعة بدليل أن المصادر لم تذكر وصفا لها لكونها كباقي بيوت العامة في ذلك الوقت، ولو أنها كانت أكثر من ذلك لحظيت بوصف المؤرخين لها.

وقد ظل عمر في منزله هذا بعد أن أفضت الخلافة إليه إلا أنه بدلا من زيادة

---

(١) سنن النسائي (٤/ ١٩٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/ ١٠٧٢).
(٢) الشمائل المحمدية للترمذي (ص٣٦).
(٣) ابن عبد الحكم سيرة عمر (١٣٦).

طنافسه وستوره، ورياشه جرده من كل ما فيه منها وحتىٰ ثيابه وعطره باعها، ووضع ثمنها في بيت المال[١].

ومن زهده رَحِمَهُ اللَّهُ ترك مظاهر البذْخ والإسراف التي سادت قبله، فكان أول ما أنكره الناس منه أنه لما غُسل سليمان بن عبد الملك وكُفن، وصلي عليه ودُفن، أتي بمراكب الخلافة وهي البراذين، والخيل، وكان لكل دابة سائس فقال عمر: ما هذه؟ فقالوا له: مراكب الخلافة لم تركب من قبل، يركبها الخليفة عند ما يلي، فقال عمر: «ما لي ولها نَحُّوها عني، بغلتي أوفق لي». فأتوه بدابته فركبها، وقفل راجعا بعد ما أمر مزاحما مولاه بضم تلك المراكب والسرادقات والحجر التي لم يجلس فيها أحد قط، والتي جرت العادة أن تضرب للخليفة - أول ما يولَّىٰ - إلىٰ بيت المال[٢].

ثم أمر بستور دار الخلافة فهتكت وبالبسط فرفعت وأمر ببيعها وأدخل أثمانها في بيت مال المسلمين[٣]، وهكذا فعل بالجواري والعبيد حيث رد الجواري إلىٰ أصحابهن إن كن من اللاتي أخذن بغير حق، ووزع العبيد علىٰ العميان وذوي العاهات، وحارب كل مظاهر الترف والبذخ، والإسراف.

ولم يكن عمر رَحِمَهُ اللَّهُ يسعىٰ هذا السعي الحثيث طلبا للجاه والمنزلة والشهرة وإنما كان يطلب من وراء ذلك كله مرضاة الله آ فقد زهد في الخلافة، فحينما بويع قام علىٰ الناس خطيبا فقال: «أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم[٤].

(١) تهذيب الاسماء واللغات (١/ ٣٠٧)، وابن عبد الحكم (ص١٢٤).
(٢) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٣٣)، وابن كثير البداية والنهاية (٥/ ١٩٨).
(٣) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص١٢٤)، وابن سعد الطبقات (٥/ ٣٤١-٣٤٢).
(٤) **الآجري**: أخبار أبي حفص (ص٥٦).

فصاح الناس صيحة واحدة، قد اخترناك يا أمير المؤمنين فَلِ أمرنا باليمن والبركة»[(١)].

وأما ما قيل عن زهده بالنسبة للنكاح فقد روىٰ ابن عبد الحكم فقال: «وقالت فاطمة زوجته ما اغتسل من جنابة منذ ولي حتىٰ لقي الله غير ثلاث مرات، ويقال: ما اغتسل من جنابة حتىٰ مات»[(٢)]. فعلىٰ فرض صحة هذه الرواية عن فاطمة زوجته فإنها تتحدث عما حدث لها معه بعد الخلافة وقد كان لعمر زوجات ثلاث غيرها ذكرناهن فيما سبق، فتَوُجَّهُ هذه الرواية علىٰ ما علمته فاطمة عنه رَحِمَهُ اللَّهُ، ولاشك أن الزواج مرغب فيه فإن الرسول ﷺ حث القادرين علىٰ الزواج بالتزوج فقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»[(٣)]، وقال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج...»[(٤)]، وعاب ﷺ الذين يتركون النكاح وهم قادرون عليه وبين أن ذلك من الرهبانية المذمومة التي نهينا عنها[(٥)]، وعلاوة علىٰ هذا فإنه قد ورد عن فاطمة نفسها رواية أخرىٰ ذكرها الفسوي بسنده عن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع القرشي: أنه دخل علىٰ فاطمة بنت عبد الملك وقال لها: ألا تخبريني عن عمر؟ فقالت: ما أعلم أنه اغتسل من جنابة، ولا من احتلام منذ استخلفه الله حتىٰ قبضه[(٦)]، فصرحت في هذه الرواية علىٰ ما علمته منه، فقط ولا يمنعه من أن يتمتع بغيرها

---

(١) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٥٠)، وابن الجوزي سيرة عمر (ص٥٨)، البداية والنهاية (٥/ ٢٠٢).

(٢) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٥٠).

(٣) سنن النسائي (٣/ ٦٦)، ط. دار الفكر عام (١٩٣٠)م وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٣٨٦)، وقال حسن صحيح.

(٤) البخاري مع الفتح (٩/ ١٠٦) رقم (٥١٦٥).

(٥) البخاري مع الفتح ٩/ ١٠٤رقم (٥١٦٣).

(٦) الفسوي المعرفة والتاريخ (١/ ٥٨٤).

من نسائه البواقي، بل قد صرحت بأنه قد اغتسل ثلاث مرات حسب علمها، ومن المعلوم أن عمر بن عبد العزيز من أشد الناس حبا للسنة وتطبيقا لها، والزواج من سنة النبي ﷺ، فيستبعد منه رحمه الله أن يترك السنة ويمنع نفسه من المباح الذي أحله الله له، ولا داعي في رأيي لما قام به بعض الباحثين[1] من دفاع عن عمر فيما يخص الرواية السابقة، فإن ترك الزواج وتحريم ذلك لا علاقة له بالزهد الإسلامي الذي جاء به رسولنا محمد ﷺ، وهو دخيل علىٰ المجتمع المسلم، وهو مما تفتخر به بعض الفرق المنحرفة عن الإسلام وتدعي أنه من الزهد الإسلامي، ولهم في ذلك حكايات لا يشك من تأملها أنها لا تمت إلىٰ الإسلام بصلة، فمن ذلك أن أحدهم تزوج امرأة فبقيت عنده علىٰ الزهد ثلاثين سنة وهي بكر[2]، كما أن آخر منهم تزوج أربعمائة امرأة ولم يجامع واحدة منهن[3]، وآخر تزوج ابنة شيخه فمكثت عنده ثماني عشرة سنة لا يقربها حياءً من والدها، ومات عنها وهي بكر[4].

ولهم في ذلك وصايا عجيبة، وتوجيهات غريبة، فمن أقوالهم:

- من ترك النساء والطعام فلا بد له من ظهور كرامة.
- من تزوج فقد أدخل الدنيا بيته... فاحذروا من التزويج.
- لا يبلغ الرجل إلىٰ منازل الصديقين حتىٰ يترك زوجته كأنها أرملة، وأولاده كأنهم أيتام، ويأوي إلىٰ منازل الكلاب.
- من تعود أفخاذ النساء لا يفلح.

---

(١) قدوة الحكام المصلحين عمر بن عبد العزيز (ص١٣٨).
(٢) اللمع (ص٢٦٤) لأبي نصر السراج.
(٣) تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار (ص٢٤١).
(٤) الأخلاق المتبولية للشعراني (٣/ ٩٧٩).

- من تزوج فقد ركن إلىٰ الدنيا[١] .

إلىٰ غير ذلك كثير.

وهذا المفهوم أيضًا يخالف الإسلام ومثله باعتباره دين توسط واعتدال، فقد قال النبي ﷺ لمن أراد التبتل وترك الزواج: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**». وجملة القول أن هذا الزهد الذي تحدث عنه هذه الفرقة المنحرفة بعيد كل البعد عن الزهد الذي عرفه السلف الصالح ومن سار علىٰ نهجهم.

ب - الورع:

ومن أخلاق أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أيضًا «الورع»، والورع هو الإمساك عما قد يضر، فتدخل المحرمات، والشبهات لأنها قد تضر، فإنه من اتقىٰ الشبهات استبرأ لعرضه، ودينه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمىٰ يوشك أن يواقعه[٢] .

فالورع المشروع من نوع التقوىٰ الشرعية، وهو اتقاء ما يكون سببًا للذم والعذاب، وهو فعل الواجب وترك المحرم، وما اشتبه تحريمه أمن المحرم أم ليس منه[٣]؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الأصل في الورع المشتبه قول النبي ﷺ : «**الحلال بَيِّن، والحرام بَيِّن، وبين ذلك أمور مشتبهات، لا يعلمها كثير من الناس، فمن ترك الشبهات استبرأ عرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يواقعه**»[٤] ، وقوله ﷺ : «دع ما

---

(١) الطبقات للشعراني (١ / ٣٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٦١٥).

(٣) المصدر السابق (٢٠/ ١٣٧- ١٣٨).

(٤) البخاري مع الفتح (٤/ ٢٩٠)، برقم (٢٠٥١)، ومسلم (٤/ ٢٠٧-٢٠٨)، برقم (١٥٩٩).

يريبك إلىٰ ما لا يريبك»[١]، وقوله ﷺ في «صحيح مسلم» في رواية: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وإن أفتاك الناس»**[٢]، وأنه ﷺ رأىٰ علىٰ فراشه تمرة فقال: «**لولا أني أخاف أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها»**[٣].

وهذه الأدلة كلها تدل علىٰ أن علىٰ المسلم أن يتورع عن الشبهات قدر استطاعته، وهذا ما فعله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ لا سيما بعد تسلمه الخلافة لأنه رأىٰ أن هذه المشتبهات تشبه الحرام، فقد تكون سببا للوقوع في المحذور المقتضي للعذاب الأليم في الآخرة فتورع عنها.

ومن أمثلة ذلك: أنه رَحِمَهُ اللَّهُ ما كان يقبل أي هدية من عماله أو من أهل الذمة خوفا من أن يكون ذلك من باب الرشوة، فروىٰ ابن الجوزي عن عمرو بن مهاجر قال: اشتهىٰ عمر بن عبد العزيز تفاحا فقال: لو كانت لنا - أو عندنا - شيء من التفاح، فإنه طيب الريح طيب الطعم. فقام رجل من أهل بيته فأهدىٰ إليه تفاحًا.

فلما جاء به الرسول، قال عمر: ما أطيب ريحه وأحسنه، ارفعه يا غلام، فأقرئ فلانا السلام وقل له: إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث تحب. فقلت يا أمير المؤمنين، ابن عمك ورجل من أهل بيتك وقد بلغك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة. قال: ويحك؟ إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية وهي لنا اليوم رشوة[٤].

وعن ميمون بن مهران قال: أهدي إلىٰ عمر بن عبد العزيز تفاحًا وفاكهة فردها وقال: «لا أعلم أنكم بعثتم إلىٰ أحد من أهل عملي شيئًا».

---

(١) ذكره البخاري تعليقا بصيغة الجزم (٤/ ٢٩١) باب تفسير المشبهات.

(٢) مسلم بشرح النووي (٦/ ٨٦-٨٧)، رقم (٢٥٥٣).

(٣) البخاري مع الفتح (٤/ ٢٩٣)، رقم (٢٠٥٥).

(٤) ابن الجوزي سيرة عمر (ص١٩٧).

قيل له: ألم يكن رسول الله ﷺ يقبل الهدية؟ قال: بلىٰ، ولكنها لنا ولمن بعدنا رشوة[(١)].

وعن فرات بن مسلم قال: اشتهىٰ عمر بن عبد العزيز تفاحا فطلب له فلم يوجد فركب وركبنا معه، فتلقاه غلمان من الديارنة بأطباق منها تفاح فوقف علىٰ طبق منها فتناول منه تفاحة فشمها ثم أعادها في الطبق، ثم قال: ادخلوا ديركم، لا أعلم أنكم بعثتم إلىٰ أحد من أصحابي بشيء. قال: فحركت بغلتي فلحقته، فقلت: يا أمير المؤمنين: اشتهيت التفاح، وطلب لك فلم يوجد، ثم أهدي إليك فرددته، ألم يكن رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر ﵄ يقبلون الهدية؟ قال: إنها كانت لرسول الله ﷺ ولأبي بكر، وعمر ﵄ هدية، وللعمال بعدهم رشوة[(٢)].

ويبلغ بعمر الورع أنه لا يرىٰ لنفسه أن تشم رائحة مسك أتته من أموال المسلمين، فروىٰ ابن الجوزي قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن رياح بن عبيدة، وأبي سنان، عن عمر بن عبد العزيز أنه وضعت بين يديه مِسْكة عظمية فأخذ بأنفه، فقيل: يا أمير المؤمنين إنما هو ريح، قال: وهل ينتفع منها إلا بريحها[(٣)].

وكما تورع في طعامه وشهوته وحتىٰ حواسه التي لا يقدر علىٰ دفع ما يدخل فيها إلا بشق الأنفس، تورع أن يرىٰ لنفسه حقا في دواب المسلمين التابعة لبيت مالهم أن يستعملها وإن استعملها أهله بدون معرفة منه دفع الثمن إلىٰ بيت المال، فروىٰ ابن الجوزي، عن رياح بن عبيدة كان عمر بن عبد العزيز يعجبه أن يتأدم بالعسل، فطلب من أهله يوما عسلا، فلم يكن عندهم، فأتوه بعد ذلك بعسل فأكل منه فأعجبه فقال لأهله: من أين لكم هذا؟ قالت امرأته: بعثت

---

(١) نفس المصدر (ص١٩٧).
(٢) ابن الجوزي سيرة عمر (ص١٩٨).
(٣) ابن الجوزي سيرة عمر (ص٢٠٠)، وابن أبي الدنيا كتاب الورع (ص٧٤).

مولاي بدينارين علىٰ بغل البريد فاشتراه لي فقال: أقسمت عليك لما أتيتني به فأتته بعُكَّة[(١)] فيها عسل، فباعها بثمن يزيد ورد عليها رأس المال وألقىٰ بقيته في بيت مال المسلمين، وقال: أنصبتِ دواب المسلمين في شهوة عمر؟[(٢)].

وللمسلم أن يأخذ بالرخص التي أباحها الشرع للحاجة والضرورة، ولكن عمر رَحِمَهُ اللهُ لا يأخذ علىٰ نفسه إلا بالعزائم، ففي الشتاء البارد والبرد القارس، احتاج عمر إلىٰ من يسخن له الماء ليوم الجمعة قيل له ياأمير المؤمنين ما عندنا عود حطب. قال: فذهبوا بالقمقم[(٣)] إلىٰ مطبخ المسلمين. قال: ثم جاءوا بالقمقم فقالوا: هذا القمقم يا أمير المؤمنين وهو يفور فقال: ألم تخبروني أنه ليس عندكم حطب؟ لعلكم ذهبتم به إلىٰ مطبخ المسلمين؟ قالوا: نعم. قال: ادعوا لي صاحب المطبخ. فلما جاء قال له: قيل لك هذا قمقم أمير المؤمنين فأوقدت تحته؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أوقدت تحته عودًا واحدًا، وإن هو إلا جمر لو تركته لخمد حتىٰ يصير رمادًا. قال: بكم أخذت الحطب؟ قال: بكذا. قال: أدوا إليه ثمنه[(٤)].

واحترز عن استعمال أموال المسلمين العامة فكان يسرج السراج من بيت المال إذا كان في حاجة المسلمين، فإذا فرغ من حوائجهم أطفأها ثم أسرج عليه سراجه الخاص به من ماله الخاص[(٥)].

ويحترز عمر ويتورع عن كل شيء مهما قل إذا كان من حق غيره، يتبين لنا ذلك في القصة التالية، فروىٰ الفسوي عن فرات بن مسلم قال: كنت أعرض

---

(١) **الْعُكَّة**: بالضم آنية السمن، أصغر من القربة.
(٢) ابن الجوزي سيرة عمر (ص١٩٦)، وانظر ابن أبي الدنيا كتاب الورع (ص١٢٤).
(٣) **القمقم**: إناء من نحاس أو فخار يستقىٰ به ويستعمل للوضوء وغيره.
(٤) ابن الجوزي سيرة عمر (ص١٩٩)، وانظر ابن أبي الدنيا كتاب الورع (ص١٢٤).
(٥) المعرفة والتاريخ (ص٥٧٩).

علىٰ عمر بن عبد العزيز كتبي في كل جمعة، فعرضتها عليه فأخذ منها قرطاسا قدر شبر أو أربع أصابع بقي، فكتب فيه حاجة له. فقلت: غفل أمير المؤمنين. فلما كان من الغد بعث إلي أن تعال وجئ بكتبك، فجئته بها، فبعثني في حاجة، فلما جئت قال: ما آن لنا أن ننظر كتبك بعد. قلت: لا، إنما نظرت فيها أمس. قال: خذها حتىٰ أبعث إليك. فلما فتحت كتبي وجدت قرطاسًا قدر قرطاسي الذي أخذ[1].

واشتهىٰ يومًا اللحم فأرسل غلامه بقطعة يشويها ليأكل فيقيم بذلك أوده، فرجع الغلام بها سريعًا، فقال له عمر: «أسرعت بها؟ قال شويتها في نار المطبخ وكان للمسلمين مطبخ يغديهم فيه ويعشيهم. فقال لغلامه: كلها يا بني فإنك زرقتها ولم أرزقها»[2]. فتورع عن أكلها لأنها شويت في مطبخ المسلمين، وتركها لغلامه ليأكلها، وهو واحد من الرعية، له حق في مطبخ العامة رحمه الله.

وهناك أمثلة أخرىٰ يذكرها المؤرخون لورع عمر بن عبد العزيز رحمه الله كلها تدل علىٰ مدىٰ اتصاف هذا الخليفة الراشد بصفة الورع، وحبه له، أملًا فيما عند الله حيث اعتبر أن البعد عن أموال المسلمين حتىٰ في الأشياء اليسيرة القليلة هو من باب الابتعاد عن الشبهة، فكان بعيدا عن الشبهات احتياطا لدينه. وذلك أن الأمور ثلاثة كما قال هو بنفسه:

١- أمر استبان رشده فاتبعه.

٢- وأمر تبين خطؤه فاجتنبه.

٣- وأمر أشكل عليك فتوقف عنه[3].

---

(١) الطبقات (٥/ ٣٧٧).

(٢) ابن الجوزي سيرة عمر (ص١٩٩-٢٠٠).

(٣) ابن عبد ربه العقد الفريد (٤/ ٣٩٧).

ومن المهم الإشارة إلىٰ أن شيخ الإسلام قد بين أن الغلط يقع في الورع من ثلاث جهات:

١- أحدها: اعتقاد كثير من الناس أن الورع من باب الترك، فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام، لا في أداء الواجب، وهذا يبتلي به كثير من المتدينة المتورعة، ترىٰ أحدهم يتورع عن الدرهم فيه شبهة: لكونه من مال ظالم أو معاملة فاسدة، ويتورع عن الركون إلىٰ الظلمة من أجل البدع في الدين، وذوي الفجور في الدنيا، ومع هذا يترك أمورًا واجبة عليه إما عينًا وإما كفاية وقد تعينت عليه من صلة رحم، وحق جار، ومسكين، وصاحب، ويتيم، وابن سبيل، وحق مسلم وذي سلطان، وذي علم، وعن أمر بمعروف ونهي عن منكر، وعن الجهاد في سبيل الله، إلىٰ غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم مما وجب عليه، أو يفعل ذلك لا علىٰ وجه العبادة لله تعالىٰ بل جهة التكليف ونحو ذلك.

وهذا الورع قد يوقع صاحبه في البدع الكبار، فإن ورع الخوارج، والروافض والمعتزلة[(١)]، ونحوهم من هذا الجنس، تورعوا عن الظلم، وعن ما اعتقدوه ظلما من مخالطة الظلمة في زعمهم، حتىٰ تركوا الواجبات الكبار من الجمعة والجماعة، والحج والجهاد، ونصيحة المسلمين، والرحمة لهم، وأهل هذا الورع ممن أنكر عليهم الأئمة، كالأئمة الأربعة، وصار حالهم يذكر في اعتقاد أهل السنة والجماعة.

٢- الجهة الثانية: من الاعتقاد الفاسد أنه إذا فعل الواجب، والمشتبه، وترك المحرم، والمشتبه فينبغي أن يكون اعتقاد الوجوب والتحريم بأدلة الكتاب والسنة، وبالعلم، لا بالهوىٰ، وإلا فكثير من الناس تنفر نفسه عن أشياء لعادة ونحوها، فيكون ذلك مما يقوىٰ تحريمها واشتباهها عنده، ويكون بعضهم في أوهام وظنون كاذبة، فتكون تلك الظنون مبناها علىٰ الورع الفاسد، فيكون

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ١٤٠).

صاحبه ممن قال الله تعالىٰ فيه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى﴾ [النجم:٢٣]. وهذا حال أهل الوسوسة في النجاسات: فإنهم من أهل الورع الفاسد المركب من نوع دين، وضعف عقل وعلم، وكذلك ورع قوم يعدون غالب أموال الناس محرمة أو مشتبهة أو كلها، وآل الأمر ببعضهم إلىٰ إحلالها لذي سلطان، لأنه مستحق لها، وإلىٰ أنه لا يقطع بها يد السارق ولا يحكم فيها بالأموال المغصوبة.

وقد أنكر حال هؤلاء الأئمة كأحمد بن حنبل وغيره، وذم المتنطعين في الورع(١)، روىٰ مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا(٢).

وورع أهل البدع كثير منه من هذا الباب:...

فيحتاج المتدين المتورع إلىٰ علم كثير بالكتاب والسنة، والفقه في الدين، وإلا فقد يفسد تورعه الفاسد أكثر مما يصلحه، كما فعله أهل البدع من الخوارج والروافض، وغيرهم.

٣- **الجهة الثالثة**: جهة المعارض الراجح:

هذا من الذي قبله، فإن الشيء قد يكون جهة فساده يقتضي تركه فيلحظه المتورع، ولا يلحظ ما يعارضه من الصلاح الراجح، وبالعكس. فهذا هذا وقد تبين أن من جعل الورع الترك فقط، وأدخل في هذا الورع أفعال قوم ذوي مقاصد صالحة بلا بصيرة من دينهم، وأعرض عما فوّتوه بورعهم من الحسنات الراجحة، فإن الذي فاته من دين الإسلام أعظم مما أدركه فإنه قد يعيب أقواما هم إلىٰ النجاة والسعادة أقرب(٣).

وقد نقلنا بيان هذه الجهات الثلاث بطولها لأهميتها، ولكون أكثر المتورعين

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ١٤٠-١٤١).
(٢) مسلم بشرح النووي (٦/ ١٦٨)، برقم (٢٦٧٠).
(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ١٤١-١٤٢).

الذين عندهم قلة علم، وفقه بالكتاب والسنة، يقعون فيها كلها، أو في بعضها بدون قصد أحيانًا، أو سوء فهم أو غير ذلك من المعوقات.

ج- تواضعه:

من صفات أمير المؤمنين عمر رَحِمَهُ اللهُ عند تولِّيه الخلافة خلق «التواضع»، ولا شك أن التواضع صفة حميدة، تحبب المرء الذي يتخلق بها إلىٰ الناس، وتعظمه في نفوسهم، وتجعل منه ملء العيون والقلوب، والناس يعشقون قرب المتواضع ويتمنون لقاءه، ويستأنسون بحديثه، ويتفانون في خدمته، ولذا كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز محببا إلىٰ النفوس، وقد حث القرآن الكريم والسنة علىٰ التواضع فقال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «أي يمشون بسكينة ووقار متواضعين...»[(١)].

ومن السنة قوله ﷺ: **«إن الله أوحىٰ إليَّ: أن تواضعوا حتىٰ لا يفخر أحد علىٰ أحد ولا يبغي أحد علىٰ أحد»**[(٢)].

وكان السلف الصالح متواضعين لله تعالىٰ أذلة علىٰ المؤمنين، أعزة علىٰ الكافرين، وقد كان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ متخلقا بخلق التواضع، ولين الجانب، حسب الروايات التي نقلت هذه الخصلة الحميدة عنه فمنها:

١- **ما رواه ابن سعد بسنده**: أن عمر بن عبد العزيز كان إذا سمر في أمر العامة أسرج من بيت مال المسلمين وإذا سمر في أمر نفسه أسرج من مال نفسه. قال: فبينما هو ذات ليلة إذ نعس السراج فقام إليه ليصلحه فقيل له: يا أمير المؤمنين إنا نكفيك. فقال: «أنا عمر حين قمت وأنا عمر حين جلست»[(٣)].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٠).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٣٢٣)، برقم (٢٨٦٥) [٦٤].

(٣) الطبقات (٥/ ٣٩٩)، والفسوىٰ المعرفة والتاريخ (١/ ٥٧٧-٥٧٨)، وابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٤٤).

ومنها: ما رواه الفسوي: قال حدثني حرملة، أخبرني وهب، قال: حدثني الليث أن أبا النضر حدثه. قال: «دسست إلىٰ عمر بن عبد العزيز بعض أهله، أن قل له، إن فيك كبرًا، وأنه يتكبر. فقيل ذلك، فقال عمر: قل له لبئست ما ظننت إن كنت تراني أتوقىٰ الدينار والدرهم مراقبة الله فأنطلق إلىٰ أعظم الذنوب فأركبه، الكبرياء إنما هو رداء الرحمن، فأنازعه إياه ؟!»(١).

ومن تواضعه: أنه يخدم نفسه، بل يخدم جميع المسلمين عبيدهم وإمائهم، بل يصل تواضعه إلىٰ أن يخدم جاريته، روىٰ ابن الجوزي قال: حدثنا النضر بن سهيل، عن أبيه، قال: قال عمر بن عبد العزيز لجارية له: ياجارية روِّحيني، فأقبلت تروِّحه، فغلبتها عيناها فنامت، فأخذ المروحة وأقبل يروِّحها، فانتبهت فصاحت، فقال لها عمر: إنما أنت بشر مثلي أصابك من الحرِّ ما أصابني، وأحببت أن أروحك مثل الذي روَّحتني(٢).

وكان عمر إذا دخل بيته يخدم أهله كما كان رسول الله ﷺ يفعل، «جاءت امرأة من العراق فدخلت علىٰ زوجته فاطمة، فجاء عمر فأقبل حتىٰ دخل الدار، فمال إلىٰ بئر في ناحية الدار، فانتزع منها دلاء صبَّها علىٰ طين، كان بحضرة البيت، وكان يكثر النظر إلىٰ فاطمة فقالت لها المرأة استتري من هذا الطيان فإني أراه يديم النظر إليك فقالت: ليس هو بطيان هو أمير المؤمنين... »(٣).

ولم يكن رحمه الله يحب مظاهر التكبر والاحترام الزائد، والغلو في الأمور، وإنما كان أموره كلها متوسطة، لا إفراط فيها ولا تفريط. ولذلك كان ينهىٰ حراسه أن يقوموا إجلالًا له وأن يبدأوه بالسلام، فروىٰ ابن عبد الحكم قال: وكان عمر ابن عبد العزيز يتقدم إلىٰ الحرس إذا خرج عليهم أن لا يقوموا إليه

---

(١) المعرفة والتاريخ (١/ ٥٨١-٥٨٢).
(٢) ابن الجوزي سيرة عمر (ص٢١٣).
(٣) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص١٤٩).

ويقول لهم: لا تبتدأوني بالسلام إنما السلام علينا لكم[١]. كما أذن عمر في إباحة دخول المظلومين عليه بغير إذن[٢]، ولا طلب، وإنما يكفي المظلوم أن يقوم بالدخول متىٰ وجد فرصة ليتظلم، وليأخذ حقه فالضَّعيف عنده قوي حتىٰ يأخذ حقه، والقوي ضعيف حتىٰ يؤخذ الحق منه.

ولتواضعه لم يكن يستنكف أن يجلس إليه أحد من عبيده، ولا يريد من أحد منهم أن يتهيَّب في الجلوس إليه، يجلس علىٰ الأرض، ويأبىٰ أن يتميز علىٰ الناس بمركب أو مأكل أو مشرب، أو ملبس، وكان ينكر ذاته، دخل عليه رجل فقال له يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زينا وأنت زين الخلافة وإنما مثلك كما قال الشاعر:

وإذا الـــدر زان حـــسن وجـــوه ... كـــان للـــدر حـــسن وجهـــك زينـــا

فأعرض عنه عمر[٣].

وقال له رجل: جزاك الله عن الإسلام خيرًا فقال: لا بل جزىٰ الله الإسلام عني خيرا. ودخل عليه رجل وهو في ملإ من الناس، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: عم بسلامك[٤].

■ فضائله ؟ :

الخليفة عمر بن عبد العزيز صاحب فضائل مأثورة ومناقب جمة، ولا شك أنه من فضلاء التابعين الذين نص الحديث الصحيح بأنهم خير القرون بعد الصحابة حيث قال عليه الصلاة والسلام: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم،**

(١) المصدر السابق (ص٤٠).
(٢) المصدر السابق (ص٤١).
(٣) الحلية (٥/ ٣٢٩).
(٤) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص١٠٦).

ثم الذين يلونهم[١]...» الحديث، علاوة علىٰ هذا فقد انفرد بفضائل من أهمها ما يلي:

١- كونه من الخلفاء العدول، والعدل أساس الملك، وقد مدحه الله في عدة آيات منها ما يأتي:

قال ـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ ﴾ [الممتحنة:٨]، وقال آ : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الأعراف:٢٩].. وقال عليه الصلاة والسلام: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل**»[٢].

فهذه النصوص تبين لنا أهمية العدل، وبعضها نصت علىٰ فضيلة الإمام العادل وقد كان عمر بن عبد العزيز متصفًا بالعدل في الرعية حتىٰ مع أهل الملل الأخرىٰ، كما حدث له مع نصارىٰ دمشق بشأن الجامع الأموي[٣]، ولم يقتصر عدله بين رعيته من الناس. فقد كان رحيمًا محبًا للعدل حتىٰ مع الدواب، فقد روىٰ أبو نعيم أنه كان لعمر بن عبد العزيز غلام يعمل علىٰ بغلة له، وكان يأتيه كل يوم بدرهم، فجاءه يومًا بدرهم ونصف، فقال: من أين لك هذا؟ قال الغلام: نفقت السوق قال لا، ولكنك أتعبت البغل أرحه ثلاثة أيام[٤].

ولحرصه علىٰ العدل وتطبيق نصوص الكتاب والسنة، والاقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم بدأ بنفسه وبأهله فأخرج كل ما بيده من الأموال، وردها إلىٰ بيت المال. وكذلك فعل مع قرابته من بني أمية، ثم رد المظالم التي كانت قد أخذت، حتىٰ إنه كان يرد المظلمة بدون شهود إذا تأكد من وجودها، كما تنازل عن فدك لأهل بيت النبي ﷺ، وخرج عن كل الإقطاعات والصفايا وردها إلىٰ

(١) البخاري مع الفتح (٧/ ٣)، رقم (٣٦٥١).
(٢) البخاري (٢/ ١٤٣)، رقم (٦٦٠)، ومسلم (٣/ ٩٩)، رقم (١٠٣١).
(٣)البداية والنهاية (٥/ ١٦٩).
(٤) الحلية (٥/ ٢٦٠)، وابن الجوزي سيرة عمر (ص١٠١).

بيت المال، وكان يتدرج في هذه الأمور كلها فقد سأله ابنه البار «عبد الملك»: لماذا لا يمضىٰ لما يريد من العدل؟ فأجابه عمر: يا بني إنما أُروِّض الناس رياضة الصعب، إني لأريد أن أحيي الأمور من العدل، فأوخر ذلك حتىٰ أخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فينفروا لهذه ويسكنوا لهذه.

وكان يؤلف الناس بالعطايا حتىٰ يقبلوا الحق الذي يريده منهم، فعن هشام بن عبد الملك قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما طاوعني الناس علىٰ ما أردت من الحق حتىٰ بسطت لهم من الدنيا شيئًا(١).

والتدرج في الأمور من سنن الله تعالىٰ ثم إنه من سنن رسله عليهم الصلاة والسلام واستعماله هذا التدرج يُعَدُّ من عمق فقهه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وحسن خلقه وإخلاصه رحمه الله.

٢- ومن فضائله رحمه الله ما ذكره بعض أهل العلم من أنه هو المجدد للقرن الأول، وهو المقصود بحديث رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة علىٰ رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها**»(٢).

ولا شك أن عمر بن عبد العزيز خليق بأن يحمل عليه هذا الحديث، فقد كان عالما عاملا، همه كله وعزمه، وهمته، آناء الليل والنهار إحياء السنن، ونصر صاحبها، وإماتة البدع، ومحدثات الأمور ومحوها، وكسر أهلها باللسان، والسنان، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ولم يسلم بتوفر جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يدعىٰ ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم بالأمر علىٰ رأس المائة الأولىٰ باتصافه بجميع صفات الخير، وتقدمه فيها، ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده فالشافعي،

---

(١) ابن الجوزي سيرة عمر (ص١٣٦- ١٣٧).

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٤٨٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٢-٥٢٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

وإن كان متصفا بالصفات الجميلة إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد، والحكم بالعدل...[(١)].

٣- ومن فضائله رحمه الله ما ذكره ابن عبد الحكم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأىٰ رؤيا ثم استيقظ وقال: «إن من ولدي رجلا بوجهه أثر يملأ الأرض عدلًا»[(٢)].

ولا شك عمر بن الخطاب قد خص بالذكر في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر...**»[(٣)].

قال الحافظ ابن حجر: «والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقًا لها ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات»[(٤)].

ولعل هذه الرؤيا مما وقع له من إصابات بعد النبي ﷺ وقد وردت هذه الرؤيا عند ابن سعد في الطبقات، فروىٰ بسنده قال: أخبرنا عبيد الله بن محمد بن عائشة التيمي ثم القرشي، حدثنا محمد بن عمر بن أبي شميلة عن جويرية بن أسماء، عن نافع، قال: قال عمر بن الخطاب: ليت شعري من ذو الشين من ولدي الذي يملؤها عدلا كما ملئت جورًا[(٥)].

وقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان يحدث بهذا كثيرا، ولعله مما حفظه عن أبيه عمر فقال ابن سعد: أخبرنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا المبارك

---

(١) البخاري مع الفتح (١٣/ ٢٩٥).
(٢) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٢٠).
(٣) البخاري مع الفتح (٧/ ٤٢)، برقم (٣٦٨٩).
(٤) البخاري مع الفتح (٧/ ٥١).
(٥) الطبقات (٥/ ٣٣٠).

ابن فضالة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر: قال: كنت أسمع ابن عمر كثيرًا يقول: ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلًا(١).

وقال: أخبرنا يزيد بن هارون عن الماجشون عن عبد الله بن دينار، قال: قال ابن عمر: إنا كنا نتحدث أن هذا الأمر لا ينقضي حتىٰ يلي هذه الأمة رجل من ولد عمر يسير بسيرة عمر فيها بوجهه شامة قال: فكنا نقول هو بلال بن عبد الله بن عمر، وكانت بوجهه شامة. قال: حتىٰ جاء الله بعمر بن عبد العزيز وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب(٢).

فيستأنس بما سبق من الآثار أنه رَحِمَهُ اللَّهُ كان مجددًا لما توفر فيه من صفات تجعله خليقًا بهذا الوصف.

وتوجد نصوص وآثار عن عدة من فضلاء التابعين تجعل عمر بن عبد العزيز هو المهدي المنتظر، فروىٰ ابن سعد قال: أخبرنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي، قال: أخبرنا عبد الجبار بن أبي معن، قال: سمعت سعيد ابن المسيب، وسأله رجل فقال: يا أبا محمد من المهدي؟ فقال له سعيد: أدخلت دار مروان؟ قال: لا. قال: فادخل دار مروان تر المهدي! قال: فأذن عمر بن عبد العزيز للناس، فانطلق الرجل حتىٰ دخل دار مروان فرأىٰ الأمير، والناس مجتمعين، ثم رجع إلىٰ سعيد بن المسيب فقال: يا أبا محمد دخلت دار مروان فلم أر أحدًا أقول هذا المهدي. فقال له سعيد بن المسيب - وأنا أسمع-: هل رأيت الأشج عمر بن عبد العزيز القاعد علىٰ السرير؟ قال: نعم. قال: فهو المهدي(٣).

قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: حدثني مسلمة أبو سعيد،

---

(١) الطبقات (٥/ ٣٣١).
(٢) الطبقات (٥/ ٣٣١).
(٣)الطبقات (٥/ ٣٣٣).

قال: سمعت العزرمي يقول: سمعت محمد بن علي يقول: النبي منا، والمهدي من بني عبد شمس، ولا نعلمه إلا عمر بن عبد العزيز، قال: وهذا في خلافة عمر بن عبد العزيز[١].

قال: أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثني أبو بكر بن الفضل بن المؤتمر العتكي، قال: حدثني أبو يعفور، عن مولىٰ لهند بنت أسماء قال: قلت لمحمد بن علي: إن الناس يزعمون أن فيكم مهديا فقال: إن ذاك كذاك، ولكنه من بنىٰ عبد شمس. قال: كأنه عني عمر بن عبد العزيز[٢].

فلو صحت هذه الآثار عن هؤلاء الفضلاء لأمكن حملها علىٰ أن مقصودهم بذلك أن عمر بن عبد العزيز من ضمن الأئمة المهديين الذين جاء الحديث الصحيح بذكرهم، وهو قوله ﷺ: «**لا يزال هذا الأمر قائما حتىٰ يلي أمر هذه الأمة اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**»[٣].

أما أن يكون المقصود بها أن عمر بن عبد العزيز هو المهدي المنتظر الذي يأتي في آخر الزمان، فهذا مردود، لأن المهدي المنتظر يكون خروجه قريبا مع نزول عيسىٰ عليه السلام، وهو من ذرية الرسول ﷺ ويكون اسمه موافقا لاسم الرسول ﷺ واسم أبيه، وكذلك أنه يأتي في **وقت**، والمسلمون بدون حاكم إلىٰ آخر صفاته التي لا تنطبق علىٰ عمر بن عبد العزيز اللهم إلا إذا أريد بالمهدي بمعنىٰ المجدد، فهذا لا حرج فيه. والله أعلم.

٤- ومن فضائله رَحِمَهُ اللهُ أنه كان مستجاب الدعاء، فروىٰ ابن عبد الحكم أن ابن الريان كان سيافًا للوليد بن عبد الملك، فلما ولي عمر الخلافة قال: «إني أذكر بأوه، وتيهه، ثم قال: اللهم إني قد وضعته لك فلا ترفعه» فما رئي شريف

---

(١) الطبقات (٥/ ٣٣٣).

(٢) الطبقات (٥/ ٣٣٣).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ٥٢٠- ٥٢١).

قد خمد ذكره مثله حتىٰ لا يذكر(١).

وعمر رحمه الله لم يدع عليه هنا لأمر شخصي أو خلافي كان قد نشأ بينهما فيما سبق وإنما دعا عليه لتيهه، وتكبره علىٰ الخلق، وظلمه، وغشمه، واعتدائه علىٰ الناس، وعمر العادل تكره نفسه مثل هذه النفوس فأجاب الله دعاءه. وقد دعا عمر رحمه الله حين حج فأخبر قبل دخوله إلىٰ مكة بقلة الماء فيها، فدعا عند ذلك فأجاب الله دعاءه. فسقوا وهذا حين كان أميرًا علىٰ المدينة(٢)، كما دعا علىٰ غيلان القدري حين ناظره فقال: اللهم إن كان عبدك غيلان صادقًا، وإلا فاصلبه، فصلب بعد في خلافة هشام بن عبد الملك(٣).

٥- ومن فضائله رحمه الله ما روي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنكم في النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء، ثم يكون خلافة علىٰ منهاج النبوة تكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء، ثم تكون جبرية تكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة»**.

قال: فقدم عمر يعني ابن عبد العزيز ومعه يزيد بن النعمان فكتبت إليه أذكره الحديث وكتبت إليه - الكاتب هو حبيب بن سالم أو داود الواسطي - إني أرجوا أن يكون أمير المؤمنين بعد الجبرية قال: فأخذ يزيد الكتاب فأدخله علىٰ عمر فسُرَّ به وأعجبه(٤).

وكذلك من فضائله كثرة الخيرات في خلافته فكانت مدة ولايته ثلاثين شهرًا تقريبًا وما مات حتىٰ جعل الرجل يأتي بالمال العظيم فيقول:

(١) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٣٠).
(٢) ابن كثير البداية والنهاية (٥/ ٨٣).
(٣) الآجرىٰ الشريعة (١/ ٤٣٨).
(٤) البيهقىٰ دلائل النبوة (٦/ ٤٩٢).

اجعلوا هذا المال حيث ترون في الفقراء فما يبرح حتىٰ يرجع بماله يتذكر من يضعه فيهم فلا يجده، فيرجع بماله وقد أغنىٰ عمر الناس[(١)].

وهناك فضائل ذكرها العلماء لعمر بن عبد العزيز وهي مبالغ فيها جدا فلا فائدة في ذكرها لظهور ضعفها وكون أكثرها من الإسرائيليات والمنامات.

وعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ كما ظهر مما سبق من المشهود لهم بالفضل والخير وقد ورد في الحديث: «**إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض...**»[(٢)].

وقد روىٰ الإمام مسلم بسنده عن سهيل بن أبي صالح أنه كان في عرفة مع أبيه فمر عمر بن عبد العزيز وهو علىٰ الموسم، فقام الناس ينظرون إليه. قال: فقلت لأبي: يا أبت إني أرىٰ الله يحب عمر بن عبد العزيز قال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس، فقال: بأبيك أنت سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ ثم ذكر الحديث المتقدم[(٣)].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «... **أنتم شهداء الله في الأرض...**»[(٤)]، فمن هذين النصين وغيرهما من النصوص نرجو إن شاء الله أن يكون عمر ابن عبد العزيز ممن سبقت لهم الحسنىٰ والله أعلم.

---

(١) البيهقي دلائل النبوة (٦/ ٤٩٢)، وانظر أبو عبيد الأموال (ص٥٥٢).
(٢) مسلم بشرح النووي (٦/ ١٤٠) رقم (٢٦٣٧).
(٣) مسلم بشرح النووي (٦/ ١٤١).
(٤) البخاري مع الفتح (٣/ ٢٢٨-٢٢٩)، ومسلم برقم (٩٤٩).

@ +

خلافة عمر بن عبد العزيز

أ- ولاية عمر بن عبد العزيز على خناصرة[1]:

من المعلوم أن التدرب علىٰ أي عمل من الأعمال مما يؤدي إلىٰ إتقانه، والإلمام بجوانبه، ومعرفة دقائقه، وهذا ما وفق فيه عمر بن عبد العزيز فقد كان عبد الملك ابن مروان يحبه ويؤثره أحيانًا علىٰ أولاده فبعد وفاة عبد العزيز بن مروان والد عمر ولاَّه[2] عبد الملك بن مروان خناصرة تطييبًا لخاطره ولما أراد الله له من التدرب علىٰ الأعمال القيادية منذ وقت مبكر من عمره. وقد قيل: إن سليمان بن عبد الملك هو الذي ولاه علىٰ خناصرة، لكن الراجح هو القول الأول لأن المؤرخين ذكروا أن عمر بن عبد العزيز كان يلازم سليمان بن عبد الملك ملازمة تامة قال سعيد بن عبد العزيز: «كانت خلافة سليمان بن عبد الملك كأنها خلافة عمر بن عبد العزيز كان إذا أراد شيئًا قال له: ما تقول يا أبا حفص؟»[3] ولم تشر المصادر التي اعتنت بترجمته وذكر أحواله تاريخ ولايته علىٰ خناصرة، ولا المدة التي مكث فيها ولعلها مدة قصيرة، حيث لم تحظ بعناية الذين أرخوا لعمر بن عبد العزيز وأرخوا لذلك العهد من صدر الدولة الأموية.

ولايته على المدينة النبوية:

لا يخفىٰ أن كل وال من الولاة يحب أن يضع الرجل المناسب في المكان

---

(١) **خناصرة**: بليدة من أعمال حلب تحاذي قِنِّسرين نحو البادية.

(٢) الحلية (٥/ ٢٩٩).

(٣) المصدر السابق (٥/ ٣٠١)، وتاريخ أبي زرعة (ص٤٥).

المناسب، وهذا ما فعله الوليد بن عبد الملك حين ولىٰ عمر بن عبد العزيز علىٰ المدينة النبوية، وولاية عمر بن عبد العزيز علىٰ المدينة من أهم أعماله قبل أن يلي الخلافة العظمىٰ، ولأهمية الموقع الذي تمتاز به المدينة النبوية حيث كانت عاصمة الدولة الإسلامية أيام الرسول ﷺ وعهد الخلافة الراشدة فقد حرص عمر بن عبد العزيز أن يؤدي للمدينة ما تستحقه من قدسية وما يستحقها أهلها من معاملة طيبة وإيثار، وما يستحقه من أساء إلىٰ أهلها من تأديب وهجران، وقد وُفِّق في ذلك، وسجل له أعمال فيها تذكر علىٰ مر الدهور والأزمان.

ذكر ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز قدم واليًا علىٰ المدينة في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين للهجرة، وهو ابن خمس وعشرين سنة...[١]. ودخل دار جده مروان، ثم بعد ما صلىٰ الظهر دعا عشرة من الفقهاء وهم كما روىٰ ابن سعد في الطبقات قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: «لما قدم عمر بن عبد العزيز المدينة واليا عليها كتب حاجبه الناس، ثم دخلوا فسلموا عليه، فلما صلىٰ الظهر دعا عشرة نفر من فقهاء البلد: عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حيثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وعبد الله بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد بن ثابت، فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو أهله، ثم قال: إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا علىٰ الحق، ما أريد أن أقطع أمرًا إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدًا يتعدىٰ أو بلغكم عن عامل لي ظلامة فأحرج بالله علىٰ أحد بلغه ذلك إلا بلغني. فجزوه خيرًا، وافترقوا»[٢].

---

(١) الطبقات (٥/ ٣٣١).

(٢) المصدر السابق (٥/ ٣٣٤).

وكان حريصًا علىٰ تتبع سنن رسول الله ﷺ في صلاته وفي خطبه في المواسم. روىٰ ابن سعد بسنده أن عمر بن عبد العزيز سأل أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن خطب النبي ﷺ فقال أنس: خطب رسول الله ﷺ بمكة قبل يوم التروية بيوم، وخطب بعرفة يوم عرفة، وخطب بمنىٰ الغد من يوم النحر والغد من يوم النفر[(١)]. وكان عمر في صلاته حينما كان علىٰ المدينة يصلي الظهر فيطيل الأوليين منها ويخفف الآخرتين، ويخفف العصر، ويقرأ في المغرب بقصار المفصل، ويقرأ في العشاء بوسط المفصل ويقرأ في الصبح بطوال المفصل حتىٰ قال أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتىٰ -يعني عمر بن عبد العزيز-[(٢)].

وكان عابدًا تقيًا يصوم الاثنين والخميس[(٣)]، وكان أهم أعماله بالمدينة توسيع المسجد النبوي، وإدخال حجرة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في المسجد بأمر الوليد بن عبد الملك، وقد حرص عمر رَحِمَهُ اللهُ أن يمنع العوام من اتخاذ قبر الرسول ﷺ قبلة لهم في صلاتهم، فبنىٰ الحجرة الشريفة بناء هندسيا محكما.

قال ابن أبي زيد القيرواني: «وعمر بن عبد العزيز هو الذي جعل مؤخر القبر محددا بركن، لئلا يستقبل قبر النبي ﷺ فيصلي إليه، جعل ذلك حين انهدم جدار البيت فصار للبيت خمسة أركان»[(٤)].

وقال الحافظ ابن حجر: «... لما وسع المسجد جعلت حجرتها - يعني عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - مثلثة الشكل محددة حتىٰ لا يتأتىٰ لأحد أن يصلي إلىٰ جهة القبر مع استقبال القبلة»[(٥)].

---

(١) المصدر نفسه (٥/ ٣٣١- ٣٣٢).
(٢) الطبقات (٥/ ٣٣٢).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٣٣٣).
(٤) ابن أبي زيد القيرواني: كتاب الجامع (ص١٤١).
(٥) البخاري مع الفتح (٣/ ٢٠٠).

واتفق المؤرخون علىٰ أن نهاية مدة ولايته علىٰ المدينة كانت عام ثلاثة وتسعين(١)، وقد ذكروا لعزله عن المدينة روايتين.

أحدهما: أن الوليد بن عبد الملك كتب إلىٰ عمر بأن يضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير، ومن المهم إيراد نبذة يسيرة عن خبيب هذا، فهو خبيب بن عبد الله بن الزبير بن العوام، القرشي، الأسدي، المدني(٢)، روىٰ عن أبيه وكعب الأحبار، وعائشة أم المؤمنين، وروىٰ عنه ابنه الزبير بن خبيب، وسليمان بن عطاء، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وكان من أهل العلم والنسك. قال الزبير بن بكار: كان خبيب قد لقي كعب الأحبار ولقي العلماء وقرأ الكتب وكان من النساك(٣).

قال الزبير: وأدركت من أصحابنا وغيرهم يذكرون أنه كان يعلم علما كثيرًا لا يعرفون وجهه ولا مذهبه فيه، يشبه ما يدعىٰ الناس من علم النجوم.

قال عمي مصعب بن عبد الله: وحدثت عن مولىٰ لخالته أم هاشم بنت منظور يقال له: يعلىٰ بن عقيبة. قال: كنت أمشي معه وهو يحدث نفسه إذ وقف، ثم قال: سأل قليلا فأعطي كثيرا وسأل كثيرا فأعطي قليلا، فطعنه فأذراه فقتله ثم أقبل عليَّ فقال: قتل عمرو بن سعيد الساعة ثم مضىٰ، فوجد ذلك اليوم الذي قتل فيه عمرو بن سعيد. وله أشباه هذا يذكرونها فالله أعلم ما هي. وكان مع ذلك عالمًا بقريش، وكان طويل الصلاة قليل الكلام(٤)، قال ابن سعد في الطبقات(٥): وكان خبيب عالمًا. فبلغ الوليد بن عبد الملك عنه أحاديث كرهها فكتب إلىٰ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٧)، وتاريخ خليفة بن خياط (ص١٩٨).
(٢) تهذيب الكمال (٨/ ٢٢٣).
(٣) المصدر السابق (٨/ ٢٢٤).
(٤) المصدر السابق (٨/ ٢٢٤).
(٥) القسم المتمم لتابعي أهل المدينة تحقيق زياد محمد منصور (ص١٠٧).

عامله بالمدينة أن يضربه مائة سوط فضربه مائة سوط وصب عليه قربة من ماء بارد بيتت بالليل، فمكث أياما ثم مات، والأحاديث التي كرهها الخليفة منها ما رواه خبيب، من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنه ﷺ قال: «**إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثون رجلًا اتخذوا عباد الله خولًا، ومال الله دولًا**»(١).

ولا شك أنه حديث ضعيف، فبعد هذه الوقعة استعفىٰ عمر من ولاية المدينة وامتنع من الولاية.

أما الرواية الثانية: فهي تذكر أن عمر بن عبد العزيز كان يكره أعمال الحجاج، ويؤوي من يهرب إليه منه، فكتب الحجاج إلىٰ الوليد يخبره بما يلقاه المخالفون له الذين يلجئون إلىٰ عمر من إيوائه لهم، وعدم تمكين الحجاج من عقابهم، ومن هنا نجد أن الوليد بدأ يأمر عمر بأوامر يشدد عليه فيها، بقصد تجربته وطاعته، وحزمه في تنفيذ الأوامر فطلب إليه أولًا أن يرسل بعثًا من المدينة للجهاد فنفذ عمر هذا الطلب، ثم طلب إليه مرة أخرىٰ أن يضرب خبيب بن عبد الله لروايته المتقدمة، ونفذ أيضًا هذا الأمر ولكن يبدو أن الحجاج كان يتابع الأمر بدقة وإصرار علىٰ إزالة عمر عن المدينة فما كان من الوليد إلا أن طلبه أخيرا ليأتي إلىٰ الشام فذهب عمر إلىٰ الشام(٢).

وقد ندم عمر علىٰ ما صدر منه من ضرب خبيب، وأعتق ثلاثين عبدًا، وتصدق بصدقة كثيرة، وفرق في آل خبيب مالا عظيما، وأسف علىٰ موت خبيب أسفًا منعه من العيش سبعين ليلة حتىٰ أشفىٰ(٣) علىٰ التلف(٤).

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥٠٧)، عن أبي سعيد، وأبي هريرة قال ابن كثير ؟ بعد ذكر طرق أخرىٰ ورد بها هذا الحديث، وهذه الطرق كلها ضعيفة، انظر ابن كثير البداية والنهاية (٤/ ٢٧٩).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٢٥٦)، وابن الجوزي سيرة عمر (ص٤٤).

(٣) أشفىٰ علىٰ الشيء: اقترب منه.

(٤) ابن الجوز ي سيرة عمر (ص٤٤).

ب- توليه الخلافة:

كان لتولية عمر بن عبد العزيز علىٰ بعض الأماكن في الشام مثل الولاية علىٰ خناصرة ثم الولاية علىٰ المدينة ومكة بمثابة مقدمات نافعة له لما يريده الله له من حمل الخلافة فقد جعلته هذه المقدمات السابقة متمرسًا لحمل الخلافة العظمىٰ، وحتىٰ بعد تركه للولايات لم يكن بعيدًا عنها حيث كان مع سليمان بن عبد الملك كالوزير(١)، فكان لا يصدر إلا عن رأيه ووجد عند سليمان بن عبد الملك ميل إلىٰ العدل وحين حضره الوفاة أشار عليه رجاء بن حيوة، بأن يستخلف عمر بعده فقبل ذلك لكنه رأىٰ أنه لابد أن يجعل بعد عمر يزيد بن عبد الملك حتىٰ لا تقع فتنة(٢).

١- منهج عمر في إدارة الدولة من خلال خطبته الأولى:

صعد عمر المنبر وقال في أول لقاء مع الأمة بعد استخلافه: أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم. فصاح الناس صيحة واحدة. قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فوّل أمرنا باليمن والبركة وهنا شعر أنه لا مفر من تحمل مسؤولية الخلافة فأضاف قائلًا يحدد منهجه وطريقته في سياسة الأمة المسلمة(٣): أما بعد فإنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب، ألا إن ما أحل الله حلال إلىٰ يوم القيامة، ألا إني لست بقاض، ولكني منفذ، ألا وإني لست بمبتدع ولكني متبع، ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله، ألا إني لست بخيركم، ولكني رجل منكم غير

---

(١) تاريخ أبي زرعة (ص٤٥).

(٢) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٣٥)، وابن الجوزي سيرة عمر (ص٦٤)، والطبقات (٥/ ٣٣٤- ٣٣٥).

(٣) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم، ماجدة فيصل (ص١٠٢).

أن الله جعلني أثقلكم حملًا. أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس، وإلا فلا يقربنا: يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا علىٰ الخير بجهده ويدلنا من الخير علىٰ ما نهتدي إليه، ولا يغتابن عندنا الرعية ولا يعترض فيما لا يعنيه. أوصيكم بتقوىٰ الله، فإن تقوىٰ الله خلف من كل شيء وليس من تقوىٰ الله آ خلف، واعملوا الآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالىٰ أمر ديناه، وأصلحوا سرائركم، يصلح الله الكريم علانيتكم، وأكثروا من ذكر الموت، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنه هادم اللذات... وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها آ ، ولا في نبيها ه ، ولا في كتابها وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإني والله لا أعطي أحدًا باطلًا، ولا أمنع أحدًا حقًا. ثم رفع صوته حتىٰ أسمع الناس فقال: يا أيها الناس، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصىٰ الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم. وإن من حولكم من الأمصار والمدن فإن هم أطاعوا كما أطعتم فأنا وليكم، وإن هم نقموا فلست لكم بوال[(١)]، ثم نزل.

وهكذا عقدت الخلافة لعمر بن عبد العزيز في ذلك اليوم، وهو يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين[(٢)].

٢- الحرص على العمل بالكتاب والسنة:

من أهم ما يميز منهج عمر في سياسته، حرصه علىٰ العمل بالكتاب والسنة ونشر العلم بين رعيته وتفقيههم في الدين وتعريفهم بالسنة، ومنطلق عمر في ذلك فهمه لمهمة الخلافة، فهي حفظ الدين وسياسة الدنيا به[(٣)]، فهو يرىٰ أن من أهم واجباته تعريف رعيته بمبادئ دينهم وحملهم علىٰ العمل بها، فورد

(١) الطبقات (٥/ ٣٤٠)، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحكم (ص٣٥، ٣٦).
(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٦٥٧).
(٣) الأحكام السلطانية والوليات الدينية (ص٥).

عنه أنه قال: في إحدىٰ خطبه: إن للإسلام حدودًا وشرائع وسننًا فمن عمل بها استكمل الإيمان، ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان، فلأن أعش أعلمكموها وأحملكم عليها، وإن أمت فما أنا علىٰ صحبتكم بحريص[(١)].

وقال أيضًا: فلو كان كل بدعة يميتها الله علىٰ يدي وكل سنة يعيشها الله علىٰ يدي ببضعة من لحمي حتىٰ يأتي آخر ذلك علىٰ نفسي كان في الله يسيرًا. وفي موضع آخر قال: والله لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقًا[(٢)]، لهذا بادر عمر في تنفيذ هذه المسئولية المهمة، فبعث العلماء في تعليم الناس وتفقيههم إلىٰ مختلف أقاليم الدولة وفي حواضرها وبواديها، وأمر عماله علىٰ الأقاليم بحث العلماء علىٰ نشر العلم، فقد جاء في كتابه الذي بعث إلىٰ عماله: ومر أهل العلم والفقه من جندك فلينشروا ما علمهم الله من ذلك، وليتحدثوا به في مجالسهم[(٣)]، ومما كتب به إلىٰ بعض عماله: أما بعد فأمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم فإن السنة كانت قد أميتت[(٤)]، كما أمر عماله أن يجروا الرواتب علىٰ العلماء ليتفرغوا لنشر العلم، وانتدب العديد من العلماء لتفقيه الناس في الدين، فبعث يزيد بن أبي مالك الدمشقي والحارث بن يمجد الأشعري يفقهان الناس والبدو[(٥)]، وذكر الذهبي أن عمر ندب يزيد بن أبي مالك ليفقه بني نمير ويقرئهم، وبعث نافع مولىٰ ابن عمر إلىٰ أهل مصر ليعلمهم السنن[(٦)]، وكان قد بعث عشرة من الفقهاء إلىٰ إفريقية يفقهون أهلها، ولم

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص٦٠) لابن عبد الحكم.
(٢) **الفواق**: ما بين الحلبتين من الوقت أو ما بين فتح اليد وقبضها علىٰ الضرع.
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص٧٣).
(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٧٦).
(٥) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ١٧٥).
(٦) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٨).

تنحصر مهمة هؤلاء العلماء في التعليم فحسب، بل منهم من أسند إليه بعض الولايات، ومنهم من تولي القضاء وأسهم أكثرهم بالإضافة إلىٰ نشر العلم في مجال الدعوة والجهاد في سبيل الله، وهذا الاهتمام الذي تميز به منهج عمر لتعليم الناس وتفصيلهم لأمور دينهم له أبعاد سياسية وآثار أمنية، ذلك أن نشر الوعي الديني الصحيح والفقه فيه بين أفراد الرعية له أثر في حماية عقول أبناء الأمة من عبث الأفكار التي ينعكس خطرها علىٰ الاستقرار السياسي والأمني، كأفكار الخوارج[1] وغيرهم.

٣- الشورى في دولة عمر بن عبد العزيز:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾[الشورى:٣٨]. وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران:١٥٩]. وقد اهتم عمر بن عبد العزيز بتفعيل مبدأ الشورىٰ في خلافته، ومن أقواله في الشورىٰ: إن المشورة والمناظرة باب رحمة ومفتاح بركة لا يضل معهما رأي، ولا يفقد معهما حزم[2]، وكان أول قرار اتخذه عمر بعدما ولي أمر المدينة للوليد بن عبد الملك، يتعلق بتطبيق مبدأ الشورىٰ، وجعله أساسًا في إمارته، حين دعا من فقهاء المدينة وكبار علمائها، وجعل منهم مجلسًا استشاريًا دائمًا حري بمن جعل الشورىٰ أحد مبادئ إمارته حين كانت مسئوليته جزئية أن يطبقه وقت المسئولية الكاملة، والمهمة العظمىٰ، ألا وهي ولاية أمر المسلمين كافة وقد تبين مبدأ الشورىٰ من أول يوم في خلافته، وقال للناس: أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر، من غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم

(١) أثر العلماء في الحياة السياسية (ص١٨٠).

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص١٨٩).

من بيعتي، (فاختاروا لأنفسكم) فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك فول أمرنا باليمن والبركة(١)، وبذلك خرج عمر من مبدأ توريث الولاية الذي تبناه معظم خلفاء بني أمية إلىٰ مبدأ الشورىٰ والانتخاب، ولم يكتف عمر باختياره ومبايعة الحاضرين، بل يهمه رأي المسلمين في الأمصار الأخرىٰ ومشورتهم، فقال في خطبته الأولىٰ - عقب توليه الخلافة -:.. وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم.،وإن هم أبوا فلست لكم بوال، ثم نزل(٢). وقد كتب إلىٰ الأمصار الإسلامية فبايعت كلها، وممن كتب لهم يزيد بن المهلب يطلب إليه البيعة بعد أن أوضح له أنه في الخلافة ليس براغب، فدعا يزيد الناس إلىٰ البيعة فبايعوا.

٤- العدل في دولة عمر بن عبد العزيز:

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾[النحل:٩٠] وأمر الله بفعل كما هو معلوم يقتضي وجوبه، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء:١٣٥] وللعدل صورتان: صورة سلبية بمنع الظلم وإزالته عن المظلوم، أي بمنع انتهاك حقوق الناس المتعلقة بأنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وإزالة آثار التعدي الذي يقع عليهم وإعادة حقوقهم إليهم ومعاقبة المعتدي عليها فيما يستوجب العقوبة(٣). وصورة إيجابية: وتتعلق أكثر ما تتعلق بالدولة، وقيامها بحق أفراد الشعب في كفالة حرياتهم وحياتهم المعاشية، حتىٰ لا يكون فيهم عاجز متروك، ولا ضعيف مهمل، ولا فقير بائس، ولا خائف مهدد، وهذه

(١) سيرة مناقب عمر بن عبد العزيز (ص٦٥).
(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٦٥٧).
(٣) عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، عبد الستار الشيخ (ص٢٢٢).

الأمور كلها من واجبات الحاكم في الإسلام(١). وقد قام أمير المؤمنين عمر بهذا الركن العظيم والمبدأ الخطير علىٰ أتم وجه وكان يرىٰ أن المسئولية والسلطة في نظر عمر هي القيام بحقوق الناس والخضوع لشروط بيعتهم، وتحقيق مصلحتهم المشروعة، فالخليفة أجير عند الأمة وعليه أن ينفذ مطالبها العادلة حسب شروط البيعة(٢)، وقد أحب الإستزاده من فهم صفات الإمام العادل وما يجب أن يقوم به ليتصف بهذه الخصلة الفريدة الحميدة فكتب إلىٰ الحسن البصري يسأله في ذلك فأجابه الحسن: الإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني علىٰ ولده يسعىٰ لهم صغارًا، ويعلمهم كبارًا، يكتب لهم في حياته ويدخرهم بعد مماته، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البّرة الرفيقة بولدها، حملته كرهًا، ووضعته كرهًا، وربته طفلًا، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرىٰ، وتفرح بعافيته، وتغتمّ بشكايته، والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصيّ اليتامىٰ، وخازن المساكين يربي صغيرهم، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه، وتفسد بفساده والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويُسمعهم، وينظر إلىٰ الله ويريهم وينقاد إلىٰ الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين، فيما ملَّكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله، فبدَّد، وشرَّد العيال، فأفقر أهله وفرَّق ماله(٣).

أ- سياسته في رد المظالم:

- أمير المؤمنين يبدأ بنفسه: تنفيذًا لما أراده عمر من رد المظالم مهما كان صغيرًا أو كبيرًا بدأ بنفسه، روىٰ ابن سعد: أنه لما رد عمر بن عبد العزيز المظالم

(١) المصدر نفسه (ص٢٢٢).
(٢) السابق (ص٢٢٣).
(٣) السابق (ص٢٢٤).

قال: إنه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي[١].

وهذا الفعل جعله قدوة للآخرين، فنظر إلىٰ ما في يديه من أرض، أو متاع، فخرج منه حتىٰ نظر إلىٰ فص خاتم. فقال: هذا مما كان الوليد بن عبد الملك أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب فخرج منه[٢].

وكان ذلك لإصراره علىٰ قطع كل شك بيقين، وحتىٰ يطمئن إلىٰ أن ما في يده لا شبهة فيه لظلم أو مظلمة حتىٰ ولو كان ورثه، خصوصًا وأن القصص والحكايات كانت كثيرة يتناقلها الناس عن مظالم ارتكبت علىٰ عهد خلفاء بني أمية، وعمالهم وقد بلغ به حرصه علىٰ التثبت أنه نزع حلي سيفه من الفضة، وحلاه بالحديد، قال عبد العزيز بن عمر: كان سيف أبي محلىٰ بفضة فنزعها وحلاه حديدًا[٣]، وكان خروجه مما بيده من أرض أو متاع بعدة طرق كالبيع، ذلك أنه حين استخلف نظر إلىٰ مكان له من عبد، وإلىٰ لباسه وعطره وأشياء من الفضول، فباع كل ما كان به عنه غني، فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار، فجعله في السبيل[٤].

أو عن طريق ردها إلىٰ أصحابها الأصليين، وهذا ما فعله بالنسبة للقطائع التي أقطعه إياها قومه، يروي ابن الجوزي عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه قال: كنا عند عمر بن عبد العزيز حتىٰ تفرق الناس ودخل إلىٰ أهله للقائلة فإذا منادٍ ينادي: الصلاة جامعة. قال: ففزعنا فزعًا شديدًا مخافة أن يكون قد جاء فتق من وجه من الوجوه أو حدث. قال جويرية: وإنما كان أنه دعا مزاحمًا فقال يا مزاحم، إن هؤلاء القوم قد أعطونا عطايا والله ما كان لهم أن يعطوناها، وما كان

(١) الطبقات (٥/ ٣٤١).
(٢) المصدر نفسه (٥/ ٣٤١- ٣٤٢).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٣٥٥).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٥).

لنا أن نقبلها، وإن ذلك قد صار إلي ليس علي فيه دون الله محاسب.

فقال له مزاحم: يا أمير المؤمنين، هل تدري كم ولدك؟ هم كذا وكذا، قال: فذرفت عيناه، فجعل يستدمع ويقول: أكِلهم إلىٰ الله؟ قال: ثم انطلق مزاحم من وجهه ذلك حتىٰ استأذن علىٰ عبد الملك، فأذن له - وقد اضطجع للقائه - فقال له عبد الملك: ما جاء بك يا مزاحم هذه الساعة؟ هل حدث حدث؟ قال: نعم أشد الحدث عليك وعلىٰ بني أبيك. قال: وما ذاك؟ قال: دعاني أمير المؤمنين - فذكر له ما قاله عمر - فقال عبد الملك: فما قلت له؟ قال: قلت له يا أمير المؤمنين، تدري كم ولدك؟ هم كذا وكذا قال: فما قال لك؟ قال: جعل يستدمع ويقول أكِلهم إلىٰ الله تعالىٰ. قال عبد الملك بنس وزير الدين أنت يا مزاحم. ثم وثب فانطلق إلىٰ باب أبيه عمر، فاستأذن عليه، فقال له الآذن: أما ترحمونه ليس له من الليل والنهار إلا هذه الوقعة؟ قال عبد الملك: استأذن لي، لا أم لك. فسمع عمر الكلام، فقال من هذا؟ قال: هذا عبد الملك. قال: ائذن له. فدخل عليه -وقد اضطجع عمر للقائلة- فقال: ما حاجتك يا بني هذه الساعة؟ قال: حديث حدثنيه مزاحم. قال: فأين وقع رأيك من ذلك؟ قال: وقع رأيي علىٰ إنفاذه. قال: فرفع عمر يديه. ثم قال: الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني علىٰ أمر ديني. نعم يا بني أصلي الظهر، ثم أصعد المنبر فأردها علانية علىٰ رؤوس الناس. فقال عبد الملك: يا أمير المؤمنين، ومن لك إن بقيت إلىٰ الظهر أن تسلم لك نيتك إلىٰ الظهر. قال عمر: قد تفرق الناس ورجعوا للقائلة، فقال عبد الملك: تأمر مناديك ينادي: الصلاة جامعة، فيجتمع الناس. فنادىٰ المنادي: الصلاة جامعة. قال: فخرجت فأتيت المسجد فجاء عمر فصعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: أما بعد فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا، والله ما كان لهم أن يعطوناها وما كان لنا أن نقبلها.

وإن ذلك قد صار إلي ليس علي فيه دون الله محاسب، ألا وإني قد رددتها،

وبدأت بنفسي وأهل بيتي: اقرأ يا مزاحم، قال -وقد جيء بسفط قبل ذلك، أو قال جرنة- فيها تلك الكتب. قال: فقرأ مزاحم كتابًا منها، فلما فرغ من قراءته ناوله عمر -وهو قاعد علىٰ المنبر وفي يده جلم- قال: فجعل يقصه بالجلم. واستأنف مزاحم كتابًا آخر فجعل يقرؤه، فلما فرغ منه دفعه إلىٰ عمر فقصه ثم استأنف كتابًا آخر فما زال حتىٰ نودي بصلاة الظهر[1] ومن بين مارده عمر مما كان في يده من القطائع جبل الورس باليمن وقطائع باليمامة، إلىٰ جانب فدك وخيبر[2]، والسويداء، فخرج منها جميعًا إلا السويداء، فقد قال عمر فيها: ما من شيء إلا وقد رددته في مال المسلمين إلا العين التي بالسويداء فإني عمدت إلىٰ أرض براح ليس فيها لأحد من المسلمين ضربة سوط، فعملتها من صلب عطائي الذي يجمع لي مع جماعة المسلمين وقد جاءت غلتها مائتا دينار[3].

وأما قرية فدك -التي تقع شمال المدينة- فقد كانت تغل في السنة عشرة آلاف دينار تقريبًا، فلما ولي عمر الخلافة سأل عنها وفحصها، فأخبر بما كان من أمرها في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان... فكتب -بناء علىٰ ذلك- إلىٰ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتابًا قال فيه: أما بعد فإني نظرت في أمر فدك وفحصت عنه، فإذا هو لا يصلح لي، ورأيت أن أردها علىٰ ما كنت عليه في عهد رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان، وأترك ما حدث بعدهم، فإذا جاءك كتابي هذا فاقبضها وولها رجلًا يقوم فيها بالحق والسلام[4].

وأما الكتيبة فهي حصن من حصون خيبر، وعندما تولىٰ عمر بن عبد العزيز كتب علىٰ عامله علىٰ المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يقول:

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص١٠٧- ١٠٨).
(٢) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص٢٠٧).
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص٤٠).
(٤) الطبقات (٥/ ٣٨٩).

إفحص لي عن الكتيبة، أكانت من خمس رسول الله ﷺ، من خيبر أم كانت لرسول الله خاصة؟ قال أبو بكر: فسألت عمرة بنت عبد الرحمن فقالت: إن رسول الله لما صالح بني أبي الحقيق جزأ النطاة والشق خمسة أجزاء فكانت للكتيبة جزءًا منها، وأعادها عمر بن عبد العزيز إلىٰ ما كانت إليه في عهد رسول الله[(١)]، كما أرجع عمر للرجل المصري الذي أرضه بحلوان بعد أن عرف أن والده عبد العزيز قد ظلم المصري فيها، وحتىٰ الدار التي كان والده عبد العزيز بن مروان قد اشترها من الربيع بن خارجه الذي كان يتيمًا في حجره، ردها عليه، لعلمه أنه لا يجوز إشتراء الولي ممن يلي أمره، ثم التفت إلىٰ المال الذي كان يأتيه من جبل الورس باليمن، فرده إلىٰ بيت مال المسلمين رغم شدة حاجة أهله إلىٰ هذا المال، لكنه كان يؤثر الحياة الآخرة علىٰ الحياة الدنيا، كما أمر عمر بن عبد العزيز مولاه مزاحمًا برد المال الذي كان يأتيه من البحرين كل عام إلىٰ مال الله[(٢)].

وهكذا بدأ عمر بنفسه يضرب المثل ويكون الأسوة أمام رعيته حين رد من أملاكه كل ما شابته شائبة الظلم، أو الشك في خلاص حقه فيه، فرد كل ذلك إلىٰ أصحابه، إنطلاقًا من تمسكه بالزهد، وإيمانه برد المظالم إلىٰ أصحابها تقوىٰ الله، ووضعًا للحق في نصابه، بعد أن انتهىٰ من رد كل مال شك بأنه ليس له فيه حق اتجه إلىٰ زوجته فاطمة بنت عبد الملك -وكان لها جوهر- فقال لها عمر: من أين صار هذا المال إليك؟ قالت: أعطانيه أمير المؤمنين، قال: إما أن ترديه إلىٰ بيت المال وإما أن تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت[(٣)]، وقد أوضح عمر لها سبب كرهه له بقوله: قد علمت حال هذا الجوهر

---

(١) عمر بن عبد العزيز سياسته في رد المظالم (ص٢٠٩).

(٢) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص٢١٢).

(٣) المصدر نفسه (ص٢١٢)، الطبقات (٥/ ٢٩٣).

وما صنع فيه أبوك، ومن أصابه، فهل لك أن أجعله في تابوت ثم أطبع عليه وأجلعه في أقصىٰ بيت مال المسلمين وأنفق ما دونه، وإن خلصت إليه أنفقته، وإن مت قبل ذلك فلعمري ليردنه إليك. قالت له: أفعل ما شئت وفعل ذلك: فمات رحمه الله ولم يصل إليه، فرد ذلك عليها أخوها يزيد بن عبد الملك فامتنعت من أخذه، وقالت: ما كنت لأتركه ثم آخذه، وقسمه يزيد بين نسائه ونساء بنيه(١).

- رد مظالم بني أمية: وإذا كان عمر قد بدأ بنفسه في رد المظالم فقد ثنىٰ في ذلك بأهل بيته وبني عمومته وبإخوته من أفراد البيت الأموي، وفور فراغه من دفن بن عمه سليمان بن عبد الملك، فقد رأىٰ ما أذهله وهو أن أبناء عمه من الأمويين أدخلوا الكثير من مظاهر السلطان التي لم تكن موجودة علىٰ عهد النبي ﷺ ، أو خلفائه الراشدين، فأنفقوا الكثير من المال من أجل الظهور بمظاهر العظمة والأبهة أمام رعيتهم ومن تلك المظاهر المراكب الخلافية التي تتألف من براذين وخيول وبغال، ولكل دابة سائس، ومنها أيضًا تلك السرادقات والحجرات والفرش والوطاءات التي تعد من أجل الخليفة الجديد وفوجيء بتلك الثياب الجديدة وقارورات العطر والدهن التي أصبحت له بحجة أن الخليفة الراحل لم يصبها فهي من حقه بصفته الخليفة الجديد، وهذا كله إسراف وتبذير لا مبرر له يتحمله بيت مال المسلمين، وهو بأمس الحاجة لكل درهم فيه لينفق في وجهه الصحيح الذي بينه الله ورسوله، وهنا أمر مولاه مزاحمًا فور تقديم هذه الزينة له ببيعها، وضم ثمنها إلىٰ بيت مال المسلمين(٢).

ولقد كانت لعمر بن عبد العزيز سياسة محددة في رد المظالم من أفراد البيت الأموي تكون لديه خطوطها فور تسلمه زمام الخلافة، حين وفد عليه

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص٥٢، ٥٣).
(٢) عمر بن العزيز وسياسته في رد المظالم (ص٢١٣).

أفراد البيت الأموي عقب انصرافه من دفن سليمان يسألونه ما عودهم الخلفاء الأمويون من قبله، وحين أراد عبد الملك أن يرد أفراد البيت الأموي عن أبيه كشف له أبوه عن سياسته تلك حين قال له: وما تبلغهم؟ قال: أقول أبي يقرئكم السلام ويقول لكم: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر:١٣]، ثم أوضحها له مرة أخرىٰ حين جاءه يطالبه بالإسراع باستخلاص ما بأيدي الأمويين من مظالم، فقال: يا بني، إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعروة عروة، ومتىٰ ما أريد مكايدتهم علىٰ انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليّ فتقًا تكثر فيه الدماء والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يهراق في سببي محجمة من دم أو ما ترضىٰ أن لا يأتي علىٰ أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحي فيه سنة حتىٰ يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين[(١)]؟ ثم زاد في توضيح سياسته تلك حينما قال له ولده عبد الملك: ما يمنعك أن تمضي الذي تريد؟ فوالذي نفسي بيده ما أبالي لو غلت بك وبي القدور، قال وحق هذا منك، قال: نعم والله قال عمر: الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني علىٰ أمر ديني إني لو باهت الناس بالذي تقول لم آمن أن ينكروها، فإذا أنكروها لم أجد بدًا من السيف ولا خير في خير لا يجيء إلا بالسيف، يا بني، إني أروض الناس رياضة الصعبة، فإن بطأ بي عمر أرجو أن ينفذ الله مشيئتي وأن تعدو منيتي فقد علم الله الذي أريده[(٢)].

وهكذا يتبع عمر أسلوب الحكمة والحسنىٰ في تنفيذ سياسته وتطبيقًا لهذه السياسة فإنه قد مهد لهذه الخطوة الحاسمة، والخطيرة بخطوات تسبقها خروجه هو أولًا مما بيده من مظالم وردها إلىٰ أصحابها، أو بيت المال، ثم إتجه إلىٰ أبناء البيت الأموي فجمعهم وطلب إليهم أن يخرجوا مما بأيدهم من أموال

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٢٦٠- ٢٦٣).
(٢) المصدر السابق (ص٢٦٢- ٢٦٣).

وإقطاعات أخذوها بغير حق[(١)]. وشهدت الأيام الأولىٰ من خلافة عمر تجريدًا واسع النطاق لكثير من أموال وأملاك بني أمية، ظلت تنمو في الماضي وتتضخم لكونهم العائلة الحاكمة ليس إلا..

وها هي الآن ترد إلىٰ بيت مال المسلمين لكي يأخذ العدل مجراه، وتعود أموال المسلمين إلىٰ المسلمين، لا يستأثر بها أحد دون أحد، ولا حزب دون حزب.. أموال وأملاك من شتىٰ الصنوف والأنواع، جمعت بمختلف الطرق وسائر الأساليب جرد عمر بني أمية منها ومزق مستنداتها واحدة واحدة، وردها إلىٰ مكانها الصحيح: مظالم وجوائز وهدايا ومخصصات استثنائية وضياع وقطاع، جمعت كلها علىٰ شكل ممتلكات ثابتة ونقود سائلة بلغت في تقدير عمر شطرًا كبيرًا من أموال الأمة جاوزت النصف[(٢)]، ولا تمضي سوىٰ أيام معدودات حتىٰ يجد بنو أمية أنفسهم مجردين إلا من حقهم الطبيعي المشروع، فيضجون ضد سياسة عمر هذه ويعلنون معارضتهم الصارمة لها، فماذا يكون جواب عمر. انظروا: والله لوددت أن ألا تبقىٰ في الأرض مظلمة إلا ورددتها علىٰ شرط ألا أرد مظلمة إلا سقط لها عضو من أعضائي أجد ألمه ثم يعود كما كان حيًا، فإذا لم يبق مظلمة إلا رددتها سألت نفسي عندها[(٣)]، ولكن بني أمية لم ييأسوا من هذا الحزم والعزم إزاء حقوق الأمة، وهم الذين ما خطر ببالهم يومًا أن يجردوا هذا التجريد فاجتمعوا وطلبوا من أحد أولاد الوليد وكان كبيرهم ونصيحهم، أن يكتب إلىٰ عمر، فكتب إليه: أما بعد فإنك أنسيت ممن كان قبلك من الخلفاء وسرت بغير سيرتهم وسميتها المظالم نقصًا لهم لأعمالهم، وشاتمًا لمن كان بعدهم من أولادهم ولم يكن ذلك لك، فقطعت ما أمر الله أن يوصل،

---

(١) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص٢١٥).
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص١١٥).
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص١٤٧- ١٥١).

وعملت بغير الحق في قرابتك وعمدت إلىٰ أموال قريش ومواريثهم وحقوقهم فأدخلتهم بيت مالك ظلمًا وجورًا وعدوانًا فاتق الله يا ابن عبد العزيز وارجعه، فإنك قد أوشكت لم تطمئن علىٰ منبرك إن خصصت ذوي قربتك بالقطيعة والظلم، فوالله الذي خص محمد ﷺ بما خصه من الكرامة لقد ازدادت من الله بعدًا في ولايتك هذه التي تزعم أنها بلاء عليك، وهي كذلك، فاقتصد في بعض ميلك وتحاشيك[١]، ويظهر في هذا الكتاب مآخذ الأمويين علىٰ سياسة عمر وهي:

- خالف سيرة من قبله من الخلفاء وأزرىٰ بهم وعاب أعمالهم.
- أساء إلىٰ أولاد من قبله من الخلفاء.
- لم يكن عمله منسجمًا مع الحق.
- إن قطيعة أهل بيته يهدد مكانه من الخلافة.

ولا ريب أن سياسة عمر بن عبد العزيز تهدد مكانة الأسرة الأموية وتضعف مراكز قوتها، وقد تؤدي إلىٰ دفعها لإتخاذ مواقف مهددة للخليفة القائم، وفي هذا خطر كبير عليه وعلىٰ الخلافة[٢]، وكان رد عمر حمم من نار الحق تتفجر في كل كلمة فيها: .. ويلك وويل أبيك ما أكثر طلابكما وخصمائكما يوم القيامة... رويدك فإنه لو طالت بي حياة ورد الله الحق إلىٰ أهله، تفرغت لك ولأهل بيتك، فأقمت علىٰ المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق وراءكم[٣].

- بنو أمية يلجأون إلى أسلوب الحوار الهادي:

وما أن يأس بنو أمية من صمود عمر إزاء معارضتهم الجماعية الشديدة هذه، لجأوا إلىٰ أسلوب الحوار الهادي، علهم يصلون عن طريقه إلىٰ ما

---

(١) المصدر نفسه (ص١٢٦- ١٢٧)، عمر بن عبد العزيز صالح العلي (ص١٩٤).
(٢) عمر بن عبد العزيز، صالح العلي (ص١٩٥).
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص١٤٧- ١٥١).

يشتهون فيتكلمون معه يومًا مستشيرين فيه نزعة القربىٰ وعاطفة الرحم، فيجيبهم: أن يتسع مالي لكم، وأما هذا المال -أي: المال العام- فحقكم فيه كحق أي رجل من المسلمين. والله أني لا أرىٰ أن الأمور لو استحالت حتىٰ يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم لنزلت بهم بائقة من عذاب الله[(١)] ودخل عليه هشام بن عبد الملك يومًا فقال: يا أمير المؤمنين إني رسول قومك إليك، وإن في أنفسهم ما جئت لأعلمك به أنهم يقولون: استأنف العمل برأيك فيما تحت يدك وخل بين من سبقك وبين ما ولوا بما عليهم ولهم، وببديهة يجيب عمر: أرأيت أن أتيت بسجلين أحدهما من معاوية والآخر من عبد الملك فبأي السجلين آخذ؟ قال هشام: بالأقدم. فأجب عمر: فإني وجدت كتاب الله الأقدم، فأنا حامل عليه من أتاني ممن تحت يدي وفيما سبقني[(٢)].

- بنو أمية يرسلون عمة عمر بن عبد العزيز:

فعندما عجز الرجال من بني أمية عن جعل عمر يخاف أو يلين عن سياسته إزاءهم، لجأوا إلىٰ عمته فاطمة بنت مروان، وكانت عمته هذه لا تحجب عن الخلفاء ولا يرد لها طلب أو حاجة، وكانوا يكرمونها ويعظمونها، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل استخلافه، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها كعادته وألقىٰ لها وسادة لتجلس عليها. فقالت: إن قرابتك يشكونك ويذكرونك أنك أخذت منهم خير غيرك قال: ما منعتهم حقًا أو شيئًا كان لهم، ولا أخذت منهم حقًا أو شيئًا كان لهم فقالت: إني رأيتهم يتكلمون، وإني أخاف أن يهيجوا عليك يومًا عصيبًا. فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شره. قال: فدعا بدينار، وجنب، ومجمرة، فألقىٰ ذلك الدينار بالنار، وجعل ينفخ علىٰ الدينار إذا احمر تناوله بشيء، فألقاه علىٰ الجمر فنشىٰ وقتر فقال: أي عمه أما ترثين

(١) سيرة عمر لابن الجوزي (ص١١٤-١١٥).
(٢) المصدر نفسه (ص١١٨- ١١٩).

لابن أخيك من هذا[(١)]؟

تؤخذ العمة بهذا المشهد المؤثر، وتلتفت إلىٰ عمر طالبة منه أن يستمر في الكلام واسمعوه يقول وكأنه يرسم لوحة فنية رائعة للعدالة الاجتماعية التي جاء بها الإسلام لكي يجعلها تفجر الخير والنعيم علىٰ الجميع قال: إن الله بعث محمدًا ﷺ رحمة ولم يبعثه عذابًا إلىٰ الناس كافة، ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرًا شربهم فيه سواء ثم ولي أبو بكر وترك النهر علىٰ حاله، ثم ولي عمر فعمل عملهما، ثم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك وابنه الوليد وسليمان أبناء عبد الملك حتىٰ أفضىٰ الأمر إلي وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتىٰ يعود إلىٰ ما كان عليه فقالت: حسبك، قد أردت كلامك فأما إذا كانت مقالتك هذه فلا أذكر شيئًا أبدًا. فرجعت إليهم فأخبرتهم كلامه[(٢)] وجاء في رواية: إنها قالت لهم: أنتم فعلتم هذا بأنفسكم، تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده: فسكتوا[(٣)].

- تلاشي المعارضة الجماعية لبني أمية:

وسرعان ما تلاشت السمة الجماعية لمعارضة بني أمية بعد ما رأوا من جد عمر إزاء أموال الأمة وقالوا: ليس بعد هذا شيء[(٤)]. ومن ثم أخذ كل منهم يسعىٰ علىٰ إنفراد ليسترد ما يستطيع استرداده من الأموال، ولكن عمر الذي وقف تجاه رغباتهم مجتمعين، أحرىٰ به الآن أن يتصدىٰ لكل واحد منهم علىٰ انفراد ويعلمه أنّ حق الأمة لا يمكن أن يكون موضع مساومة في يوم من الأيام[(٥)].

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص١١٧).
(٢) الكامل في التاريخ (٣/ ٢٧٠).
(٣) المصدر نفسه (٣/ ٢٧١).
(٤) عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص٥٨، ٥٩).
(٥) ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر (ص١١٩).

ب - رد الحقوق لأصحابها:

لم يقف عمر عند حد استرداد الأموال من بني أمية وردها إلىٰ بيت المال، بل يخطو خطوة أخرىٰ ويعلن لأبناء الأمة الإسلامية أن كل من له حق علىٰ أمير أو جماعة من بني أمية أو لحقته منهم مظلمة، فليتقدم بالبينة لكي يرد عليه حقه.. وتقدم عدد من الناس بظلامتهم وبيّناتهم وراح عمر يردها واحدة بعد الأخرىٰ: أراضٍ ومزارع وأموال وممتلكات[(١)]، ومرة بعث إليه واليه علىٰ البصرة برجل اغتصب أرضه فرد عمر هذه الأرض إليه ثم قال له: كم أنفقت في مجيئك إلي؟ قال: يا أمير المؤمنين تسألني عن نفقتي وأنت قد رددت علي أرضي وهي خير من مائة ألف؟ فأجابه عمر: إنما رددت عليك حقك، ثم ما لبث أن أمر له بستين درهمًا كتعويض له عن نفقات سفره[(٢)]، وقد قال ابن موسىٰ: ما زال عمر بن عبد العزيز يردّ المظالم منذ يوم استخلف إلىٰ يوم مات[(٣)]، وذات يوم قدم عليه نفر من المسلمين وخاصموا روح بن الوليد بن عبد الملك في حوانيت، قد قامت لهم البينة عليه، فأمر عمر روحًا برد الحوانيت إليهم، ولم يلتفت لسجل الوليد، فقام روح فتوعدهم، فردع رجل منهم وأخبر عمر بذلك، فأمر عمر صاحب حرسه أن يتبع روحًا فإن لم يرد الحوانيت إلىٰ اصحابها فليضرب عنقه، فخاف روح علىٰ نفسه وردّ إليهم حوانيتهم[(٤)]، وردّ عمر أرضًا كان قوم من الأعراب أحيوها، ثم انتزعها منهم الوليد بن عبد الملك فأعطاها بعض أهله، فقال عمر: قال رسول الله ﷺ: «... **من أحيا أرضًا ميتة فهي له**»، ولقد أحبّ آل البيت وأعاد إليهم حقوقهم وقال مرة لفاطمة بنت علي

---

(١) المصدر نفسه (ص١٢٠).
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص١٤٦، ١٤٧).
(٣) الطبقات لابن سعد (٥/ ٣٤١).
(٤) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٦٠).

ابن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يا بنت علي والله ما علىٰ ظهر الأرض أهل بيت أحبّ إليَّ منكم ولأنتم أحب إليَّ من أهل بيتي[١].

ج - عزله جميع الولاة والحكام الظالمين:

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة عمد إلىٰ جميع الولاة والحكام المسؤولين الظالمين فعزلهم عن مناصبهم، ومنهم خالد بن الريان وصاحب حرس سليمان بن عبد الملك الذي كان يضرب كل عنق أمره سليمان بضربها، وعين محله عمرو بن مهاجر الأنصاري فقال عمر بن عبد العزيز: يا خالد ضع هذا السيف عنك، اللهم، إني قد وضعت لك خالد بن الريان اللهم لا ترفعه أبدًا، ثم قال لعمرو بن مهاجر: والله؟ إنك لتعلم يا عمرو، إنه ما بيني وبينك قرابة إلا قربة الإسلام ولكني سمعتك تكثر تلاوة القرآن، ورأيتك تصلي في موضع تظن ألا يراك أحد، فرأيتك حسن الصلاة خذ هذا السيف قد وليتك حرسي[٢].

وهكذا يعزل عمر الظالمين وهذا أسلوبه في اختيار الولاة والقضاة والكتاب وغيرهم، إنه يبحث عن أصلح الناس دينًا وأمانة، ولما انتقد أحد ولاته الذين اختارهم نكت بين عينيه بالخيزرانة في سجدته وقال: هذه غرتني منك. يريد سجدته أي أثر السجود في وجهه، فهذه علامة من علامات صلاح الرجل وهي دليل علىٰ كثرة السجود، ومن أجل ذلك اختاره عمر بن عبد العزيز، وعمر لا يكتفي بمظهر الرجل ولكنه يختبره أيضًا، قد رأىٰ رجلًا كثير الصلاة، وأراد أن يمتحنه ليوليه، فأرسل إليه رجلًا من خاصته فقال: يا فلان إنك تعلم مقامي عند أمير المؤمنين فمالي لو جعلته يوليك علىٰ أحد البلدان؟ فقال الرجل: لك عطاء سنة، فرجع الرجل إلىٰ عمر وأخبره بما كان من هذا الرجل، فتركه لأنه سقط في

(١) سيرة ومناقب عمر لابن الجوزي (ص١٣١).
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٥٠).

الاختيار[(١)] وكان من ضمن من عزلهم عمر بن عبد العزيز: أسامة بن زيد التنوخي وكان علىٰ خراج مصر، لأنه كان غاشمًا ظلومًا يعتدي في العقوبات بغير ما أنزل الله آ ، يقطع الأيدي في خلاف - دون تحقق شروط القطع - فأمر به عمر بن عبد العزيز أن يحبس في كل جُنُد سنة ويقيد ويحل عنه القيد عند كل صلاة ثم يرد في القيد، فحبس بمصر سنة، ثم فلسطين سنة ثم مات عمر وولي يزيد بن عبد الملك الخلافة فردّ أسامة علىٰ مصر في عمله[(٢)]، وكتب عمر بن عبد العزيز بعزل يزيد بن أبي مسلم عن إفريقية وكان عامل سوء يظهر التأله والنفاد لمل ما أمر به السلطان مما جل أو صغر من السيرة بالجور، والمخالفة للحق، وكان في هذا يكثر التسبيح والذكر ويأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذبون وهو يقول: سبحان الله والحمد لله شد يا غلام موضع كذا وكذا، لبعض مواضع العذاب وهو يقول: لا إله إلا الله والله أكبر، شد يا غلام شد موضع كذا وكذا، فكانت حالته تلك شر الحالات، فكتب عمر بعزله[(٣)]، وهكذا استمر عمر في عزل الولاة الظلمة وتعيين الصالحين وسيأتي الحديث عن فقه عمر في تعامله مع الولاة في محله بإذن الله تعالىٰ.

د - رفع المظالم عن الموالي:

تعرض الموالي قبل عمر بن عبد العزيز للمظالم فقد فرضت الجزية علىٰ من أسلم منهم، كما منعوا من الهجرة مثلما حدث للموالي في العراق ومصر وخراسان وفي عهد عبد الملك أوقع الحجّاج بالموالي ظلم عظيم، فقد عمل علىٰ إبقاء الجزية علىٰ من أسلم منهم، وحرمهم من الهجرة من قراهم وهذا ما دفعهم للاشتراك في ثورة ابن الأشعث ضد الحجّاج، كما وقع الظلم علىٰ

(١) فقه عمر بن عبد العزيز د. محمد شقير (١/ ٩١).
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص٣٢).
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص٣٢- ٣٣).

الموالي في مصر وخراسان، فلما تولىٰ عمر بن عبد العزيز أزال تلك المظالم التي لحقت بهؤلاء الموالي وكتب إلىٰ عماله يقول: «.. فمن أسلم من نصراني أو يهودي أو مجوسي من أهل الجزيرة اليوم فخالط المسلمين في دارهم، وفارق داره التي كان بها فإن له للمسلمين وعليه ما عليهم، وعليهم أن يخالطوه وأن يواسوه غير أرضه وداره إنما هي من فيء الله علىٰ المسلمين عامة، ولو كانوا أسلموا عليها قبل أن يفتح الله للمسلمين كانت لهم، ولكنها فيء الله علىٰ المسلمين عامة»[(١)]، وكتب إلىٰ عامله علىٰ مصر حيان بن شريح - يقول: «وأن تضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة فإن الله تبارك وتعالىٰ قال: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة:٥]، وقال: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة:٢٩]. إلا إن هذا العامل أرسل إلىٰ عمر يقول: أما بعد، فإن الإسلام قد أضر بالجزية حتىٰ سلفت من الحارث بن نابتة عشرون ألف دينار أتممتها عطاء أهل الديوان، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يأمر بقضائها فعل[(٢)].

وجاء رد عمر: أما بعد، فقد بلغني كتابك وقد وليتك جند مصر وأنا عارف بضعفك، وقد أمرت رسولي يضربك علىٰ رأسك عشرين سوطًا، فضع الجزية عن من أسلم -قبح الله رأيك- فإن الله إنما بعث محمدًا ﷺ هاديًا ولم يبعثه جابيًا، ولعمري ولعمر أشقىٰ من أن يدخل الناس كلهم الإسلام علىٰ دينه[(٣)]. وفي رواية ابن سعد: أما بعد، فإن الله بعث محمدًا داعيًا ولم يبعثه جابيًا، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كان أهل الذمة أسرعوا في الإسلام وكسروا الجزية فاطو

---

(١) المصدر نفسه (ص٧٨- ٧٩).

(٢) الخطط للمقريزي (١/ ٧٨) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص٢٣٣).

(٣) الخطط للمقريزي (١/ ٧٨) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص٢٣٣).

كتابك وأقبل[(١)]. ولم يكن عامل عمر علىٰ مصر هو الوحيد الذي طلب من عمر السماح له في أخذ الجزية ممن أسلم، فها هو عامله علىٰ الكوفة - عبد الحميد بن عبد الرحمن - يسأله أخذ الجزية المتراكمة علىٰ اليهود والنصارىٰ والمجوس الذين أسلموا، فجاءه رد عمر الواضح أيضًا يقول: كتبت إلي تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارىٰ والمجوس وعليهم جزية عظيمة، وتستأذنني في أخذ الجزية منهم، وإن الله جل ثناؤه بعث محمدًا ﷺ داعيًا إلىٰ الإسلام ولم يبعثه جابيًا، فمن أسلم من أهل تلك الملل فعليه في ماله الصدقة ولا جزية عليه، وميراثه ذوي رحمه إذا كان منهم يتوارثون أهل الإسلام، وإن لم يكن له وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يقسم بين المسلمين، وما أحدث من حدث ففي مال الله الذي يقسم بين المسلمين يعقل عنه منه والسلام[(٢)].

كما كتب إليه عامله علىٰ البصرة -عدي بن أرطأة- يقول:

أما بعد، فإن الناس كثروا في الإسلام وخفت أن يقل الخراج. فكتب إليه عمر: فهمت كتابك، والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتىٰ نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا[(٣)].

هذا إلىٰ جانب إبطاله لمظلمة المنع من الهجرة التي أوقعها الحجّاج بالموالي في العراق، وهكذا أبطل عمر تلك المظالم التي أصابت الموالي، فترتب علىٰ ذلك أن أعاد إليهم حقوقهم المسلوبة والهدوء والطمأنينة إلىٰ نفوسهم، وباتوا ينعمون بالمساواة والعدل مع غيرهم من أبناء الأمة الإسلامية[(٤)].

---

(١) الطبقات (٥/ ٣٨٤).
(٢) الخراج لأبي يوسف (ص١٤٢) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص٢٣٤).
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص٩٩- ١٠٠) لابن الجوزي.
(٤) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص٢٣٤).

هـ – رفع المظالم عن أهل الذمة:

زاد عبد الملك في عهده الجزية علىٰ أهل قبرص وكان معاوية بن أبي سفيان غزا قبرص بنفسه وصالحهم صلحًا دائمًا علىٰ سبعة آلاف دينار وعلىٰ النصيحة للمسلمين، وإنذارهم عدوهم من الروم ولم يزل أهل قبرص علىٰ صلح معاوية حتىٰ ولي عبد الملك بن مروان، فزاد عليهم ألف دينار، فجرىٰ ذلك إلىٰ عهد عمر بن عبد العزيز فحطها عنهم[1]، كما أصابت الزيادة فيما يجبىٰ من جزية أهل الذمة في العراق وقد وضعها عنهم عمر بن عبد العزيز كسياسة عامة التزم بها في أن يرفع المظالم عن أهل الذمة حتىٰ يدعهم ينعمون بحياتهم في ظل الشرائع الإسلامية السمحة ويؤيد ذلك ما جاء في كتابه إلىٰ عامله علىٰ البصرة – عدي بن أرطأة: أما بعد، فإن الله سبحانه إنما أمر أن تؤخذ الجزية ممن رغب عن الإسلام واختار الكفر عتيا، وخسرانًا مبينًا، فضع الجزية علىٰ من أطاق حملها، وخل بينهم وبين عمارة الأرض، فإن في ذلك صلاحًا لمعاش المسلمين، وقوة علىٰ عدوهم، وانظر من قبلك من أهل الذمة ممن قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه. فلو أن رجلًا من المسلمين كان له مملوك كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب كان من الحق عليه أن يقوته حتىٰ يفرق بينهما موت أو عتق، وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسأل علىٰ أبواب الناس فقال: ما أنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك. قال: ثم أجرىٰ عليه من بيت المال ما يصلحه[2]،كما بلغت سياسة عمر بن عبد العزيز في وضع المظالم عن الناس ومساعدتهم أيضًا حين كتب إلىٰ عامله علىٰ الكوفة يقول: انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه

---

(١) فتوح البلدان (ص١٥٩)، عمر وسياسته في رد المظالم (ص٢٤٠).

(٢) الأموال لأبي عبيد (ص٥٧).

فأسلفه ما يقوي به علىٰ عمل أرضه، فإنا لا نريدهم لعام ولا لعامين[(١)]، وقد أمر عمر ولاته بالأخذ بالرحمة والرأفة بالناس، فقد منع تعذيب أهل البصرة وغيرهم لاستخراج الخراج منهم، وعندما أرسل إليه عامله علىٰ البصرة عدي بن أرطأة يقول: إن أناسًا قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتىٰ يمسهم شيء من العذاب فكتب إليه عمر: أما بعد، فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر كأني جنة لك من عذاب الله، وكأن رضاي ينجيك من سخط الله، وإذا أتاك كتابي هذا فمن أعطاك فاقبله عفوًا وإلا فأحلفه، فوالله لأن يلقوا الله بخياناتهم أحب إلىٰ من أن ألقاه بعذابهم. والسلام[(٢)].

ومما أصاب أهل الذمة من المظالم قبل عهد عمر بن عبد العزيز سبىٰ بنات ونساء من لواتة بشمال أفريقية ولكن عمر رد هذه المظلمة يذكر أبو عبيد: أن عمر بن عبد العزيز كتب في اللواتيات: من أرسل منهن شيئًا فليس من ثمنها شيء وهو ثمن مرجها الذي استحلها به -أو كلمة تشبه الثمن- قال: ومن كانت عنده امرأة منهن فليخطبها إلىٰ أبيها، وإلا فليردها إلىٰ أهلها قال أبو عبيد: قوله اللواتيات هن من لواتة: فرقة من البربر، يقال لهم لواتة أراه قد كان لهن عهد، وهم الذين كان ابن شهاب يحدث: أن عثمان أخذ الجزية من البربر، ثم أحدثوا بعد ذلك فسبوا. فكتب عمر بن عبد العزيز بما كتب به[(٣)]، كما أرجع عمر بن عبد العزيز إلىٰ أهل الذمة كل أرض أو كنيسة أو بيت اغتصب منهم[(٤)]، ومما رفعه عمر عن أهل الذمة من المظالم السخرة التي علىٰ أساس أنه يحل للمسلمين أن يسخروا أهل الذمة لمصالحهم الشخصية طالما أن هذا غير

---

(١) المصدر نفسه (ص٣٢٠) عمر وسياسته في رد المظالم (ص٢٤١).
(٢) الخراج لأبي يوسف (ص١٢٩).
(٣) فتوح البلدان (ص٢٢٦- ٢٢٧).
(٤) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص٢٤٥).

موجود في صلحهم[١]. فكتب إلىٰ عماله يقول:... ونرىٰ أن توضع السخر عن أهل الأرض، فإن غايتها أمر يدخل فيه الظلم[٢]، وهكذا رد عمر بن عبد العزيز ما اصاب أهل الذمة من مظالم، فترتب علىٰ ذلك أن أعاد السكينة، والطمأنينة والهدوء إليهم، وأوضح لهم، إن بإمكانهم أن يعيشوا في ظل الإسلام آمنين مطمئنين تشملهم سماحة الدين ويظلهم عدله، وتستقيم أمورهم وشؤونهم في كنفه، لا يضارون ولا يستضعفون ولا يستعبدون لهم حقوقهم المعلومة وعليهم واجباتهم المحددة ضمنها لهم الشارع الحكيم، وما تأسس من أحكام كتاب الله وسنة رسوله الكريم[٣].

و- إقامة العدل لأهل سمرقند:

لما وصل خبر تولية عمر بن عبد العزيز الخلافة إلىٰ سكان ما وراء النهر، اجتمع أهل سمرقند وقالوا لسليمان بن أبي السرّي: إن قتيبة غدر بنا، وظلمنا وأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والانصاف، فإذن لنا فليفذ منا وفد إلىٰ أمير المؤمنين، يشكو ظلامتنا، فإن كان لنا حق أعطيناه، فإن بنا إلىٰ ذلك حاجة. فإذن لهم سليمان، فوجهوا منهم قومًا فقدموا علىٰ عمر، فكتب لهم عمر إلىٰ سليمان بن السري: إن أهل سمرقند، قد شكوا إليَّ ظلمًا أصابهم،، وتحاملًا من قتيبة عليهم أخرجهم من أرضهم فإذا أتاك كتابي، فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم، فإن قضىٰ لهم فأخرجهم إلىٰ معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة. فأجلس سليمان جُمَيْعَ بن حاضر القاضي فقضىٰ أن يخرج عرب سمرقند إلىٰ معسكرهم وينابذوهم علىٰ سواء فيكون صلحًا جديدًا أو ظفرًا عنوة، فقال أهل الصُّغد: بل نرضىٰ بما كان ولا نجدِّد حربًا، وتراضوا بذلك،

---

(١) المصدر نفسه (ص٢٤٥).
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص٨٣).
(٣) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص٢٤٨).

فقال أهل الرأي: قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم، وأمنونا وأمنّاهم، فإن حكم لنا عدْنا إلىٰ الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر، وإن لم يكن لنا اجتلبنا عداوة في المنازعة، فتركوا الأمر علىٰ ما كان ورضوا ولم ينازعوا[(١)]. أية دولة في القرن العشرين تحني رأسها هكذا للعدل كي يأخذ مجراه وللحق كي يعود إلىٰ أصحابه؟ وأي حاكم في تاريخ الشعوب التي لم تعرف الله، استجاب، هكذا، لنداءات المظلومين الذين سلبت حقوقهم، كهذه الاستجابة السريعة الحاسمة من عمر بن عبد العزيز؟ ألا أنه المسؤول الذي نذر نفسه للدفاع عن قيم الحق والعدل في أقطار الأرض، فبدونهما تفقد شريعة الله مقوماتها وأهدافها العليا[(٢)].

ز- الاكتفاء باليسير من البينات في رد المظالم:

نظرًا لمعرفة عمر بن عبد العزيز بغشم الولاة قبله وظلمهم للناس حتىٰ أصبحت المظالم كأنها شيء مألوف، فإنه لم يكلف المظلوم بتحقيق البينة القاطعة علىٰ مظلمته، وإنما يكتفي باليسير من البينة، فإذا عرف وجه مظلمة الرجل ردها إليه دون أن يكلفه تحقيق البيئة، فقد روىٰ ابن عبد الحكم وقال: قال أبو الزناد: كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم إلىٰ أهلها بغير البينة القاطعة، وكان يكتفي باليسير، إذ عرف وجه مظلمة الرجل ردها عليه، ولم يكلفه تحقيق البينة، لما يعرف من غشم الولاة قبله علىٰ الناس، ولقد أنقذ بيت مال العراق في رد المظالم حتىٰ حُمل إليه من الشام[(٣)]. فما أحسن ما فعله عمر بن عبد العزيز وما أحسن التيسير علىٰ الناس قدر المستطاع لأن فيه اختصار للوقت وتوفيرًا للجهود[(٤)]، كما أن هذا العمل نستنبط منه قاعدة هامة في التفريق بين أصول

---

(١) تاريخ الطبري (٧/ ٤٧٢).
(٢) ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز (ص٦٨).
(٣) سيرة عمرة بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص١٠٦- ١٠٧).
(٤) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٥٥٨).

التحقيق في القضاء العادي وبين أصول التحقيق في القضاء الإداري، وضعها عمر بن عبد العزيز، فالبينة القاطعة قد تستحيل إقامتها، وجمع عناصرها، فإذا كان الظلم واضحًا، اكتفىٰ قاضي المظالم بالبينة اليسيرة[١].

ح - وضع المكس[٢]:

لما كان المكس من الظلم والبخس، لأنه جباية أو ضريبة تؤخذ من الناس بغير وجه شرعي، ولما كانت الزكاة علىٰ المسلم والجزية والعشور والخراج علىٰ الذمي كافيه عما سواها، فقد نهىٰ عمر عن المكس وشدد في ذلك ومنعه كما يأتي: عن محمد بن قيس قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز وضع المكس عن كل أرض ووضع الجزية عن كل مسلم[٣] وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عدي بن أرطاة أن ضع عن الناس... والمكس ولعمري ما هو بالمكس ولكنه البخس الذي قال الله فيه: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [الشعراء:١٨٣]؛ فمن أدىٰ زكاة ماله فاقبل منه ومن لم يأت فالله حسيبه[٤]، وكتب إلىٰ عامله عبد الله بن عوف علىٰ فلسطين: أن: أركب إلىٰ البيت يقال له: المكس، فاهدمه ثم أحمله إلىٰ البحر فأنسفه في اليم نسفًا[٥].

نعلم مما سبق أن المكس دراهم تؤخذ من بائع السلع في الأسواق وأن ذلك يصدق علىٰ الجمارك التي تؤخذ علىٰ السلع عند استيرادها في هذا الزمان، وأن عمر بن عبد العزيز يرىٰ أن ذلك من الظلم فمنعه[٦]. والحجة فيما فعله

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (٢/ ٥٦٥).
(٢) **المكس**: دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية أو هي الجباية.
(٣) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٥/ ٣٤٥).
(٤) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٥/ ٣٨٣).
(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص١١٣).
(٦) فقه عمر بن عبد العزيز د. محمد شقير (٢/ ٥٦١).

عمر بن عبد العزيز قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [الشعراء:١٨٣].

خ - رد المظالم وإخراج زكاتها:

قرر عمر بن عبد العزيز رد المظالم التي في بيوت المال، وأخذ زكاتها لسنة واحدة[١]، عن مالك بن أنس عن أيوب السختياني أن عمر بن عبد العزيز رد مظالم في بيوت الأموال فرد ما كان في بيت المال وأمر أن يزكي لما غاب عن أهله من السنين، ثم كتب بكتاب آخر: إني نظرت فإذا هو ضمار[٢] لا يزكي إلا لسنة واحدة[٣]، وعن عمرو بن ميمون قال: أخذ الوالي في زمن عبد الملك مال رجل من أهل الرقة يقال له أبو عائشة عشرين ألفًا فأدخلت في بيت المال، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أتاه ولده فرفعوا مظلمتهم إليه، فكتب إلي ميمون: أدفعوا إليهم أموالهم، وخذوا زكاة عامه هذا، فلولا أنه كان مالًا ضمارًا أخذنا منه زكاة ما مضىٰ[٤] هذا هو عمر بن عبد العزيز في دولته التي أقامها علىٰ العدل وكان رحمه الله يعلم ولاته أنه بالعدل تستقيم الحياة بكل شئونها فلما أرسل إليه بعض عماله يقول: أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن يرىٰ أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالًا نرمّها به فعل. فكتب إليه عمر: أما بعد، فقد فهمت كتابك، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصِّنها بالعدل، ونَقِّ طرقها من الظلم، فإنَّه مرمَّتها والسلام[٥]، وكتب إلىٰ بعض عماله: إن قدرت أن تكون في العدل والإحسان والإصلاح كقدر من كان قبلكم في الجور والعدوان

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٥٦٦).

(٢) **المال الضمار**: أي الذي لا يرجىٰ رجوعه.

(٣) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٥/ ٣٤٢).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٠٢).

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٢٣)، عمر بن عبد العزيز عبد الستار (ص٢٢٦).

والظلم، فافعل ولا حول ولا قوة إلا بالله[(١)]، وكتب إلىٰ أبي بكر بن حزم: أن استبرئ الدواوين، فانظر إلىٰ كل جور جاره من قبلي من حق مسلم أو معاهد فردَّه إليه، فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا فادفعه إلىٰ ورثتهم[(٢)].

وكان رحمه الله يواجه في تنفيذ ما يريده من العدل مصاعب ومشقات ومقاومة، وعقبات، فكان ينفق بعض المال في سبيل تهدئة بعض النفوس، لإنفاذ الحق ونشر العدل، ورفع الظلم، دخل عليه ابنه عبد الملك ذات يوم، فقال: يا أبتِ ما يمنعك أن تمضي لما تريد من العدل؟ فوالله ما كنت أبالي لو غلت بي وبك القدور في ذلك؟ قال: يا بني، إنما أروِّض الناس رياضة الصَّعْب، إني لأريد أن أحيي الأمور من العدل، فأوفِّر ذلك حتىٰ أُخرج معه طمعًا من طمع الدنيا، فينفروا لهذا ويسكنوا لهذه[(٣)]، وقام برصد الجوائز لمن يدل لمن يدل علىٰ خير، أو ينبه علىٰ خطأ، أو يشير إلىٰ وقوع مظلمة لم يستطع صاحبها إبلاغها فكتب كتابًا أمر أن يُقرأ علىٰ الحجيج في المواسم وفي كل المحافل والمجامع جاء فيه: أما بعد، فأيما رجل قدم علينا في رد مظلمة، أو أمر يصلح الله به خاصًا أو عامًا من أمر الدين، فله ما بين مائة دينار إلىٰ ثلاثمائة دينار، بقدر ما يرىٰ من الحسبة، وبعد الشقة. رحم الله أمرًا لم تَكَاءَدَهُ بعد سفر، لعل الله يحي به حقًا، أو يمت به باطلًا أو يفتح من ورائه خيرًا[(٤)].

ولاستعذابه حلاوة العدل ورحمته وتنعم الناس بتفيّؤ ظِلاله كان يقول: والله لوددت لو عدلت يومًا واحدًا وأن الله تعالىٰ قبضني[(٥)]، ومع أنه رأىٰ ثمرات

---

(١) الطبقات (٥/ ٣٨٣- ٣٨٤).
(٢) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٢- ٣٤٣).
(٣) عمر بن عبد العزيز، عبد الستار الشيخ (ص٢٢٦).
(٤) المصدر نفسه (ص٢٢٧) تَكَاءَدَهُ: شقَّ عليه وصعب.
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٣).

العدل التي قطف منها جميع الناس في خلافته إلا أن نفسه التوّاقة لكل شامخ ورفيع كانت تطمح للمزيد ولقد عبر عن ذلك بقوله: «لو أقمت فيكم خمسين عامًا ما استكملت العدل»[(١)]. وحتىٰ الحيوانات نالهن عدله وانصافه ورفع الظلم عنه وإليك هذه المشاهد:

- النهي عن نخس الدابة بالحديدة وعن اللجم الثقال:

فقد أكد عمر بن عبد العزيز علىٰ الرفق بالحيوان وعدم ظلمه أو تعذيبه قال أبو يوسف: حدثنا عبيد الله بن عمر: أن عمر بن عبد العزيز نهىٰ أن يجعل البريد في طرف السوط حديدة ينخس بها الدابة، ونهىٰ عن اللجم الثقال[(٢)]، وقد أصدر أوامره بمنع استخدام اللجم الثقيلة مع الخيول والبغال، كما منع استخدام المناخس ذات الرؤوس الحديدة[(٣)].

- في تحديد حمولة البعير بستمائة رطل:

وحين بلغه أن قومًا يحملون علىٰ الجمال ما لا تطيق وذلك في مصر كتب إلىٰ واليها يحدد أقصىٰ حمولة للبعير بستمائة رطل وطلب منه إبلاغ قراره هذا الناس وأمره بتنفيذه[(٤)].

هذه بعض الملامح السريعة علىٰ إقامة العدل في دولة عمر بن عبد العزيز، إن من أهداف التمكين إقامة المجتمع الذي تسود فيه قيم العدل ورفع الظلم، ومحاربته بكافة أشكاله وأنواعه وهذا ما قام به عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- المســاواة:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ

(١) عمر بن عبد العزيز، لعبد الستار (ص٢٢٧).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٢/ ٣٣٢)، فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٥٧٣).
(٣) ملامح الانقلاب الإسلامي (ص٧١).
(٤) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٥٧٥) محمد شقير.

﴿أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]. وقال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي علىٰ أعجمي، ولا لأعجمي علىٰ عربي، ولا أحمر علىٰ أسود، ولا لأسود علىٰ أحمر إلا بالتقوىٰ**»[(١)]، وقد قام عمر بن عبد العزيز بتطبيق هذا المبدأ في دولته، وكان أول مؤشر علىٰ رغبته في تطبيق مبدأ المساواة، حين أقسم أنه يودُّ أن يساوي في المعيشة بين نفسه ولحمته التي هو منها وبين الناس، فقال: أم والله لوددت أنه بُدئ بي، وبلحمتي، التي أنا منها، حتىٰ يستوي عيشنا وعيشكم، أم والله، أم والله لو أردت غير هذا من الكلام، لكان اللسان به منبسطًا ولكنت بأسبابه عارفًا[(٢)].

وقال في خطبة له: .. وما منكم من أحد تبلغنا حاجته إلا أحببت أن أسد من حاجته، ما قدرت عليه[(٣)]. كما أن عمر اتخذ مبدأ المساواة بين الناس، في الحقوق والواجبات في كافة مجالات الحياة، فلم يميز بين الناس في حقهم في تولي الوظائف والولايات، ولم يعط أحدًا كائنًا من كان شيئًا ليس له فيه حق، فقد ساوىٰ بين أمراء وأشراف بني أمية وبين الناس، فمنع عنهم العطايا والأرزاق الخاصة، وقال لهم حين كلموه في ذلك: لن يتسع مالي لكم، وأما هذا المال - يقصد المال الذي في بيت مال المسلمين - فإنما حقكم فيه كحق رجل، بأقصىٰ برك الغماد، فكانت سياسته المالية تقوم علىٰ مبدأ المساواة، فبيت المال لجميع المسلمين ولكل واحد منهم حق أن يأخذ منه أسوة بغيره، فلا يكون حكرًا علىٰ فئات معينة من الناس، ومن أعماله التي تدل علىٰ ترسيخه بمبدأ المساواة بين الناس ما أعلنه عندما رأىٰ أمراء بني أمية قد استحوذوا علىٰ قطع واسعة من الأرض وجعلوها حمىٰ، يحرم من الاستفادة منها عامة الناس، فقال:

---

(١) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبد العزيز (ص٢٩٧).
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص١١٢).
(٣) النموذج الإداري من إدارة عمر (ص٢٩٧).

إن الحمىٰ يباح للمسلين عامة.. وإنما الإمام فيها كرجل من المسلمين، إنما الغيث ينزله الله لعباده، فهم فيه سواء[(١)].

كما ساوىٰ بين من أسلم من أهل الأديان الأخرىٰ من النصارىٰ واليهود وبين المسلمين، وعمل علىٰ كسر حاجز التنافر بينهم، فقال:... فمن أسلم من نصراني أو يهودي أو مجوسي، من أهل الجزية اليوم، فخالط عمّ المسلمين في دارهم وفارق داره التي كان بها، فإن له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وعليهم أن يخالطوه وأن يواسوه[(٢)]، ويروي ابن سعد: أن عمر بن عبد العزيز جعل العرب والموالي في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء، غير أنه جعل فريضة المولىٰ المعتق خمسة وعشرين دينارًا[(٣)]، وفي مجال المساواة بين الناس أمام القضاء، وأحكام الإسلام، نكتفي بهذا الدليل الذي كان عمر فيه أحد أطراف النزاع أمام القاضي، وتفصيل ذلك أنه: أتىٰ رجل من أهل مصر عمر بن عبد العزيز، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عبد العزيز -يقصد والد عمر- أخذ أرضي ظلمًا، قال: وأين أرضك يا عبد الله؟ قال: حلوان، قال عمر: أعرفها ولي شركاء -أي شركاء في حلوان- وهذا الحاكم بيننا، فمشىٰ عمر إلىٰ الحاكم فقضىٰ عليه، فقال عمر: قد أنفقنا عليها، قال القاضي: ذلك بما نلتم غلتها، فقد نلتم منها مثل نفقتكم، فقال عمر: لو حكمت بغير هذا ما وليت لي أمرًا أبدًا، وأمر بردها[(٤)].

وكان عمر يقيم وزنًا لمبدأ المساواة بين المسلمين، حتىٰ في الأمور العامة، ومن ذلك أمره بأن لا يخص أناس بدعاء المسلمين والصلاة عليهم، فكتب إلىٰ

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص٨١) لابن عبد الحكم.
(٢) المصدر السابق (ص٧٩).
(٣) الطبقات (٥/ ٣٧٥).
(٤) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص٢٩٨).

أمير الجزيرة يقول:.. وقد بلغني أن أناسًا من القصاص قد أحدثوا صلاة علىٰ أمرائهم، عِدل ما يصول علىٰ النبي ﷺ، فإذا جاءك كتابي هذا، فمر القصاص، فليجعلوا صلاتهم علىٰ النبي ﷺ خاصة، وليكن دعاؤهم للمؤمنين والمسلمين عامة، وليدعو ما سوىٰ ذلك[1]، ومن ذلك يتضح اهتمام عمر بالمساواة بين عامة الناس حتىٰ في الدعاء لهم، ولا يختص أحد بدعاء، فالمسلمون عامة في حاجة دعوة الله ﷻ لهم والله سبحانه وتعالىٰ جدير بالإجابة[2]، وقد طبق مبدأ المساواة بينه وبين عامة الناس، فقد حصل أن شتمه رجل بالمدينة لسبب أو لآخر، فلم يكن ما أمر به سوىٰ ما قد يأمر به كما لو كان المشتوم أحد أفراد الأمة، ذلك ما حدث حين حُكم رجل في مسجد رسول الله ﷺ وأبو بكر بن محمد بن حزم والي عمر علىٰ المدينة في صلاته - فقطع عليهم الصلاة، وشهر السيف، فكتب أبو بكر إلىٰ عمر، فأتي بكتاب عمر، فقرئ عليهم، فشتم عمر، والكتاب ومن جاء به، فهمَّ أبو بكر بضرب عنقه، ثم راجع عمر وأخبره أنه شتمه، وأنه همَّ بقتله: فكتب إليه عمر: لو قتلته لقتلك به، فإنه لا يقتل أحد، بشتم أحد ألا أن يُشتم النبيُّ ﷺ، فإذا أتاك كتابي فاحبس علىٰ المسلمين شره، وادعه إلىٰ التوبة في كل هلال، فإذا تاب فخلِّ سبيله[3]، ولم يكتف عمر بالأخذ بمبدأ المساواة بنفسه فحسب، بل كان يأمر عماله وولاته بذلك، فقد كتب إلىٰ عامله علىٰ المدينة يقول له: أخرج للناس فآسي بينهم في المجلس والمنظر، ولا يكن أحد الناس آثر عندك من أحد، ولا تقولن هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين، فإن أهل بيت أمير المؤمنين وغيرهم عندي اليوم سواء، بل أنا أحرىٰ أن أظن بأهل بيت أمير المؤمنين، فإن أهل بيت أمير المؤمنين وغيرهم

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٢٧٣).
(٢) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر (ص٢٩٩).
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص١٤٢).

عندي اليوم سواء، بل أنا أحرىٰ أن أظن بأهل بيت أمير المؤمنين أنهم يقهرون من نازعهم[(١)]. كانت تلك بعض مواقف عمر، وإن كانت متفاوتة، إلا أن فيها دلالة واضحة علىٰ أخذ عمر بمبدأ المساواة في دولته[(٢)].

٦- الحريات في دولة عمر بن عبد العزيز:

إن مبدأ الحرية من المبادئ الأساسية التي قام عليها الحكم في دولة عمر بن عبد العزيز، ويقضي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها، فقد اهتم عمر بكافة صور الحرية الإنسانية، فجاء مستعرضًا لأنواع وصور الحرية، فأقر ما كان فيها موافقًا، لتعاليم الإسلام، وأعاد ما لم يكن كذلك إلىٰ دائرة التعاليم الإسلامية وإليك بعض التفاصيل عن الحريات في دولة عمر بن عبد العزيز.

أ- الحرية الفكرية والعقدية: حرص عمر بن عبد العزيز علىٰ تنفيذ قاعدة حرية الاعتقاد في المجتمع وكان سياسته حيال النصارىٰ واليهود تلتزم بالوفاء بالعهود والمواثيق وإقامة العدل معهم ورفع الظلم وعدم التضييق عليهم في معتقدهم ودينهم انطلاقًا من قوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] وكان عمر ينهج أسلوب الدعوة مع ملوك الهند، والقبائل الخارجة عن الإسلام وسيأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل بإذن الله تعالىٰ، ولم يكره عمر أحدًا من النصارىٰ أو غيرهم علىٰ الدخول في الإسلام، وأما حرية الفكر من حيث الرأي والتعبير، فقد أخذت نطاقًا واسعًا في إدارة الدولة، وقيادته لعماله ورعيته، فقد أتاح لكل متظلم أن يشكو من ظلمه وأطلق للكلمة حريتها، وترك للناس حرية أن يقول كلُّ ما يريد وقد عبر عن هذا القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق

---

(١) الطبقات (٥/ ٣٤٣).

(٢) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر (ص٣٠١).

بقوله: اليوم ينطق كل من كان لا ينطق[١]. إذا لم يخالف الشرع.

ب- الحرية السياسية: كما أعلن عمر استئناف الحرّية السياسية التي منحها الإسلام للمسلمين إذ لإطاعة لا مخلوق في معصية الخالق، حتىٰ وإن كان حاكما أو واليًا، فقد أعلن عمر في أول يوم من أيام حكمه الحرية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منكرًا علىٰ الناس واقعهم المظلم، وأن الإسلام لا يرضىٰ السكوت عن الظلم، فقد خطب الناس يومًا فقال:... ألا لا سلامة لأمرئ في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا وإنكم تسمون الهارب من ظلم إمامه: العاصي، إلا وإن إولاهما بالمعصية الإمام الظالم[٢]، ومما يدل علىٰ إعطاء عمر للناس الحرية السياسية، أن أول إجراء اتخذه عقب إعلان العهد له بالخلافة تنازله في الخلافة وطلب من الناس أن يختاروا خليفة، فإذا كانت الحرية السياسية تتجلىٰ في ممارستها في موضعين: أولهما المشاركة في اختيار الحاكم، عن طريق أهل الحل والعقد، وبيعة المسلمين ورضاهم، وثانيهما: إبداء الرأي والنصح للحكام، ونقد أعمالهم بمقاييس الإسلام[٣]، فإن عمر قد مارس الحرية السياسية في هذين الموضعين فجعل لهم الخيار في توليه الخلافة قبل الوعظ والنصح[٤].

ج- الحرية الشخصية: عمل عمر بن عبد العزيز علىٰ تحقيق وتدعيم الحرية الشخصية لأفراد الأمة الإسلامية، إذ بدا له بعض القيود علىٰ الهجرة أو ما يسمىٰ بحرية التنقل، أو الغدو والرواح، فاتخذ إجراء فتح فيه باب الهجرة لمن يريد، إذ قال: .. وأما الهجرة فإنا نفتحها لمن هاجر من إعرابي فباع ماشيته،

---

(١) الطبقات لابن سعد (٥/ ٣٤٤).
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص٢٤٠) لابن الجوزي.
(٣) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر (ص٣١٢).
(٤) المصدر نفسه (ص٢١٢).

وانتقل من دار إعرابيته إلىٰ دار الهجرة وإلىٰ قتال عدونا، فمن فعل ذلك فله أسوة المهاجرين فيما أفاء الله عليهم[(١)]، كما قال في كتابه لعماله: .. وأن يفتح لأهل الإسلام باب الهجرة[(٢)]، وإذا كان ذلك موقفه من حرية الناس في الهجرة والتنقل فقد تجلىٰ حرصه علىٰ مبدأ حرية الإنسان في أمر قل من يراعيه، أو يهتم به، أمر يخص من هم في ملكه، ألا وهو تخييره لجواريه عقب تولي الخلافة بين العتق والإمساك علىٰ غير شيء، فقد علم أن لهنّ عليه حقوقًا لن يستطيع الإيفاء بها بعد توليه الخلافة، فترك لهنّ حرية الإقامة معه من غير شيء أو العتق، فتكون الواحدة منهنّ حرة حرية شخصية كاملة[(٣)]، فقد روي ابن عبد الحكم (أن عمر خيّر جواريه، فقال: إنه قد نزل بي أمر شغلني عنكنّ فمن اختارت منكنّ العتق أعتقتها، ومن أمسكتها لم يكن لها مني شيء، فبكين بكاءً شديدًا يأسًا منه[(٤)].

د- حرية التجارة والكسب: أما في حرية التجارة والكسب وابتغاء فضل الله في البر والبحر، كجزء من الحرية الاقتصادية، فقد أكد في كتاب له إلىٰ عماله علىٰ ضرورة منح الناس حرية استثمار أموالهم، والاتجار بها في البر والبحر علىٰ حد سواء، فقد كتب إلىٰ عماله: .. وإن من طاعة الله التي أنزل في كتابه أن يدعىٰ الناس إلىٰ الإسلام كافة، ... وأن يبتغي الناس بأموالهم في البر والبحر، ولا يمنعون ولا يحبسون[(٥)]. وكتب أيضًا: .. وأما البحر، فإنا نرىٰ سبيله سبيل البر، قال الله تعالىٰ: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾ [الجاثية:١٢]، فإذن أن يتجر فيه من شاء، وأرىٰ أن لا نحول بين أحد

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص٧٩).

(٢) المصدر نفسه (ص٧٨).

(٣) النموذج الإداري المستخلص (ص٣١٠).

(٤) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص١٢١).

(٥) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٩٤).

من الناس وبينه، فإن البر والبحر لله جميعًا سخرهما لعباده يبتغون فيهما من فضله، فكيف نحول بين عباد الله وبين معايشهم[١]. ويقول عمر في موضع آخر: .. أطلق الجسور والمعابر للسابلة يسيرون عليها دون جعل[٢]، لأن عمال السوء تعدوا غير ما أمروا به[٣]، وأما عن الأسعار والتسعير زمن عمر، فقد قال أبي يوسف: حدثنا عبد الرحمن بن شوبان عن أبيه قال: قلت لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، ما بال الأسعار غالية في زمانك وكانت في زمان من قبلك رخيصة؟ قال: إن الذين كانوا قبلي كانوا يكلفون أهل الذمة فوق طاقتهم، ولم يكونوا يجدون بدًا من أن يبيعوا ويكسروا ما في أيديهم، وأنا لا أكلف أحدًا إلا طاقته، فباع الرجل كيف شاء، قال: فقلت: لو أنك سعَّرت، قال: ليس إلينا من ذلك شيء إنما السعر إلىٰ الله[٤].

وتشدد عمر في أمر السلع المحرمة، ومنع التعامل بها فالخمر من الخبائث التي لا يجوز التعامل فيها بين المسلمين، لحرمتها ولضررها حيث يؤدي شربها إلىٰ استحلال الدم الحرام وأكل المال الحرام[٥]، ويقول عمر: فإنا من نجده يشرب منه شيئًا بعد تقدمنا إليه فيه نوجعه عقوبة في ماله ونفسه ونجعله نكالًا لغيره[٦]. ولقد أثمرت سياسة عمر في رد الحقوق وإطلاق الحرية الاقتصادية المنضبطة، حيث وفرت للناس الحوافز للعمل والإنتاج، وأزالت العوائق التي تحول دون ذلك، وهذا أدىٰ إلىٰ نمو التجارة ونمو التجارة أدىٰ إلي زيادة حصيلة الدخل الخاضع للزكاة، وهذا يؤدي بدوره إلىٰ زيادة الزكاة، مما يؤدي

(١) المصدر نفسه (ص٩٨).
(٢) **الجعل**: من الجعالة وهو ما يجعل للشخص علىٰ عمله.
(٣) الإدارة الإسلامية محمد كرد (ص١٠٥).
(٤) السياسة الاقتصادية والمالية لعمر بن عبد العزيز (ص٤٨).
(٥) المصدر نفسه (ص٤٨).
(٦) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص١٠٣).

إلىٰ رفع مستوىٰ الطبقات الفقيرة، وارتفاع قوتها الشرائية والتي ستتوجه إلىٰ الاستهلاك وبالتالي إلىٰ زيادة الطلب علىٰ السلع والخدمات وهذا كله يؤدي إلىٰ انتعاش الاقتصاد، وارتفاع مستوىٰ المعيشة وزيادة الرفاه[١]. لقد كانت الحرية في دولة عمر بن عبد العزيز مصونة ومكفولة ولها حدودها وقيودها، ولذلك ازدهر المجتمع وتقدم في مدار الرقي، فالحرية حق أساسي للفرد والمجتمع، ليتمتع بها في تحقيق ذاته وإبراز قدراته وسلب الحرية من المجتمع سلب لأهم مقوماته فهو أشبه بالأموات، إن الحرية في الإسلام إشعاع داخلي ملأ جنبات النفس الإنسانية بارتباطها بالله، فارتفع الإنسان بهذا الارتباط إلىٰ درجة السمو والرفعة، فأصبحت النفس تواقة لفعل الصالحات، والمسارعة في الخيرات ابتغاء رب الأرض والسماوات، فالحرية في المجتمع الإسلامي دعامة من دعائمه تحققت في دولة عمر بن عبد العزيز في أبهىٰ صورة انعكست أنوارها علىٰ صفحات الزمن[٢].

■ معالم التجديد عند عمر بن عبد العزيز:

يرىٰ المتتبع لأقوال العلماء والمؤرخين والمهتمين بدراسة الحركة التجديدية، إجماعًا تامًا علىٰ عدّ الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز المجدد الأول في الإسلام، وكان أول من أطلق عليه ذلك الإمام محمد بن شهاب الزهري، ثم تبعه علىٰ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال: يروىٰ في الحديث أن الله يبعث علىٰ رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة أمر دينها، فنظرنا في المائة الأولىٰ فإذا هو عمر بن عبد العزيز[٣]، وتتابع العلماء علىٰ عدّه أول المجددين وذكر بعض أهل العلم هو من المقصودين بحديث رسول الله ﷺ: «**إن الله**

---

(١) السياسة الاقتصادية والمالية لعمر بن عبد العزيز (ص٤٨)، سياسة الإنفاق العام في الإسلام، عوف محمد الكفراوي (ص٣٧٢).

(٢) المجتمع الإسلامي، محمد أبو عجوة (ص٢٤٥) مع التصرف.

(٣) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٧٤).

يبعث لهذه الأمة علىٰ رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»[(١)].

ولا شك أن عمر بن عبد العزيز خليق بأن يكون ممن يحمل عليه هذا الحديث، فقد كان عالمًا عاملًا، همه كله، وعزمه، وهمته، آناء الليل والنهار إحياء السنن وإماتة البدع ومحدثات الأمور ومحوها، وكسر أهلها باللسان، والسنن[(٢)]، يقول ابن حجر العسقلاني: إن إجمّاع الصفات المحتاج إلىٰ تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يدعىٰ ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم بالأمر علىٰ راس المائة الأولىٰ باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده فالشافعي، وإن كان متصفًا بالصفات الجميلة إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل[(٣)].

ومع أن بعض العلماء رأىٰ أن مقام المجدد الكامل لا يستحقه إلا مهدي آخر الزمان، وأنه لم يولد في الأمة المسلمة مجدد كامل حتىٰ الآن، وإن كان عمر بن عبد العزيز أوشك أن يبلغ مرتبة المجددية الكاملة لو أنه استطاع إلغاء طريقة الحكم الوراثية، وإعادة انتخاب الخليفة عن طريق الشورىٰ[(٤)].

وسواء استحق عمر بن عبد العزيز لقب المجدد الكامل أم لا، فإن الأعمال التجديدية التي قام بها، والجهود الكبيرة التي بذلها لاستئناف الحياة الإسلامية، وإعادتها إلىٰ نقائها وصفائها زمن الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين تجعله علىٰ رأس المجددين الذين جاد بهم الزمان حتىٰ يومنا هذا، وقد ساعده علىٰ ذلك موقعه الذي تبوأه علىٰ راس خلافة قوية، منيعة الجانب، مترامية

---

(١) المجددون في الإسلام (ص٥٧) للصعيدي (ص٥٧).
(٢) الآثار الواردة عن عمر في العقيدة (١/ ١٧٧).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٩٥).
(٤) موجز تاريخ تجديد الدين للمودودي (ص٦٩).

الأطراف، ولكي ندرك حجم الأعمال التجديدية التي إضطلع بها هذا الخليفة، وقدر الإصلاح الذي أحدثه، ينبغي أن نقف علىٰ حجم الانحرافات التي طرأت علىٰ الحياة الإسلامية والتغيّر والانقلاب الذي حدث للخلافة الإسلامية، ولعلنا لا نجانب الحقيقة إذا حصرنا الانحراف في ذلك الوقت بنظام الحكم، وما نتج عن ذلك مظالم وفساد وأما الحياة العامة فكانت أنوار النبوة لازالت ذات أثر بالغ فيها وكان الدين صاحب السلطان الأول في قلوب الناس(١).

١- من إصلاحات عمر وأعماله التجديدية:

أ- الشورىٰ:

قد مرّ معنا أن عمر بن عبد العزيز في أول لقاء له مع الناس حمد الله وأثني عليه وقال: يا أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك: فَلِ أمرنا باليُمن والبركة(٢).

وبهذا يكون عمر قد قام بأول عمل تجديدي، حيث أعفىٰ الناس من الملك العضوض، ولم يجبرهم علىٰ القبول بمن لم يختاروه، بل رد الأمر إليهم وجعله شورىٰ بينهم(٣).

ب- الأمانة في الحكم وتوكيل الأمناء:

فقد تواترت النقول المفيدة أنه بلغ من حرصه علىٰ ذلك أقصىٰ المراتب فقد استشعر عظم المسؤولية وضخامة الحمل منذ اللحظة الأولىٰ لاستلامه الخلافة، فقال لمن سأله: مالي أراك مغتمًا؟ قال: لمثل ما أنا فيه فليُغتم، ليس

---

(١) عمر بن عبد العزيز للندوي (ص١٠).

(٢) سيرة ومناقب عمر لابن الجوزي (ص٦٥).

(٣) التجديد في الفكر الإسلامي د. عدنان محمد (ص٧٩).

أحد من الأمة إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه غير كاتب إليّ فيه، ولا طالبه مني[١]. وقال: لست بخير من أحد منكم، ولكن أثقلكم حملًا[٢].

وكان يطالب عمّاله باختيار أصحاب الكفاءة والدين فيمن يولونه شأنا من شؤون المسلمين، فقد كتب إلىٰ أحد عمّاله: لا تولين شيئًا من أمر المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم، والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيها استرعىٰ[٣]، ولم تكن سياسته في التورع عن أموال المسلمين سياسة طبقها علىٰ خاصة نفسه فقط بل أزم بها عمّاله وولاته، فقد كتب إلىٰ عامله أبي بكر بن حزم: أن أدق قلمك، وقارب بين أسطرك، فإني أكره أن أخرج من أموال المسلمين مالًا ينتفعون به[٤]، وقد ساس رعيته سياسة رحيمة، وأمَّن لهم عيشًا رغيدًا وكفاهم مذلة السؤال، فقسم فضول العطاء في أهل الحاجات[٥]، وقسم في فقراء أهل البصرة ثلاثة دراهم لكل إنسان، وأعطىٰ الزمنىٰ خمسين خمسين[٦]، وطلب من عماله أن يجهزوا من أراد أداء فريضة الحج[٧]، وكتب إلىٰ عماله: أن اعملوا خانات في بلادكم فمن مر بكم من المسلمين، فاقروهم يومًا وليلة وتعهدوا دوابهم فمن كانت به علّة فاقروهم يومين وليلتين، فإن كان منقطعًا به فقوّوه بما يصل به إلىٰ بلده[٨]، وقد عزّ في زمن عمر وجود من يقبل الزكاة يقول عمر بن أسيد: والله ما مات عمر بن عبد العزيز حتىٰ جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٨٦).
(٢) المصدر نفسه (٥/ ٥٨٦).
(٣) عن التجديد في الفكر الإسلامي (ص٨١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٩٥).
(٥) التجديد في الفكر الإسلامي (ص٨١).
(٦) تاريخ الطبري (٧/ ٤٧٤).
(٧) تاريخ الطبري (٧/ ٤٧٤).
(٨) المصدر نفسه (٧/ ٤٧٢).

هذا حيث ترون، فما يبرح يرجع بماله كله قد أغنىٰ عمر الناس[(١)]، وكانت حرمة المسلمين فوق كل الأموال فقد كتب إلىٰ عماله: أن فادوا بأسارىٰ المسلمين، وإن أحاط ذلك بجميع مالهم[(٢)]، ولاتزال خلافة عمر بن عبد العزيز حجة تاريخية، علىٰ كل أولئك الذين يشككون في إمكانية إقامة نظام اقتصادي إسلامي وبرهانًا ساطعًا علىٰ أن الاحتكام للشريعة الربانية هو وحده الذي يكفل للناس السعادة في الدنيا والآخرة[(٣)].

ج - مبدأ العدل:

فقد كان فيه لعمر القدح المعلاّة، وكان بحق وارثًا فيه لجدّه لأمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد ضرب فيه علىٰ النقود عبارة: أمر الله بالوفاء والعدل[(٤)]، وطلب أن لا يقام علىٰ أحد حد إلا بعد علمه[(٥)]، وكتب لعامله الجراح بن عبد الله الحكمي أمير خراسان: يا ابن أم جراح: لا تضربن مؤمنًا ولا معاهدًا سوطا إلا في حق، واحذر القصاص، فإنك صائر إلىٰ من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتقرأ كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا إحصاها[(٦)].

وأنصف أهل الذمة وأمر أن لا يعتدي عليهم أو علىٰ معابدهم وكتب إلىٰ عماله: لا تهدموا كنيسة ولا بيعة، ولا بيت نار صولحتم عليه[(٧)]، وقد رفع المكس وحطّ العشور والضرائب التي فرضتها الحكومات السابقة، وأطلق للناس حرية التجارة في البر والبحر، وقد تبرأ من المظالم التي كان يرتكبها

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٨٨).
(٢) سيرة عمر لابن الجوزي (ص١٢٠).
(٣) خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز (ص٤١- ٤٢).
(٤) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٩٨).
(٥) تاريخ الطبري (٧/ ٤٧٤).
(٦) تاريخ الطبري (٧/ ٤٦٤).
(٧) المصدر نفسه (٧/ ٤٧٧).

بنو أمية وتبرأ من الحجّاج وأفعاله وأنكر علىٰ عمّاله الاستنان بسنته[(١)].

د - أحياؤه مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أخذت الخلافة تتراجع عن الغاية التي قامت من أجلها وهي حراسة الدين، فنهض عمر بهذا المبدأ ورفع لواءه وأعلىٰ شأنه وجعله المهيمن والمقدّم علىٰ ما سواه وما حقق عمر ما حققه من أعمال وإنجازات إلا انطلاقًا من خوفه الشديد من الله، وطلبه فيما فعله مرضاته، وقد ساعده علىٰ ذلك أنه كان من أجلة العلماء التابعين وأئمة الاجتهاد[(٢)] حتىٰ قال عنه عمر بن ميمون: كان العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة[(٣)] وقد كان لسلامة دينه وصدق عقيدته الأثر البالغ في تجديده وإصلاحاته، فقد حارب الأهواء والبدع، وشدد النكير علىٰ أهلها[(٤)].

وقد نقل عنه الإمام الأوزاعي قوله: إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنهم علىٰ تأسيس ضلالة[(٥)]. وكان يرىٰ أنه لا قيمة لحياته لولا سنة يحيها، أو بدعة يميتها[(٦)]، وقد أهتم اهتمامًا شديدًا بديانة الناس وأخلاقهم، فكتب إلىٰ عمّاله: اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلوات فمن أضاعها فهو لما سواها من شرائع الإسلام أشدّ تضييعًا[(٧)].

والناظر في رسائل عمر وخطبه وموعظة وهي أكثر من أن تحصى يرىٰ إيمانًا قويًا، ومراقبة جلية وخوفًا من يوم يقف فيه الناس بين يدي رب العالمين،

---

(١) سيرة ومناقب عمر (ص١٠٧ - ١٠٨).
(٢) التجديد في الفكر الإسلامي (ص٨٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥١٨).
(٤) التجديد في الفكر الإسلامي (٨٦).
(٥) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز (ص٨٣) لابن الجوزي.
(٦) التجديد في الفكر الإسلامي (٨٦).
(٧) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز (ص٢٢١) لابن الجوزي.

وقد أثرت شخصية عمر وسياسته العادلة تأثيرًا بالغًا في حياة العامة وميولهم وأذواقهم ورغباتهم[(١)] يدل علىٰ ذلك ما ذكره الطبري في تاريخه مقارنًا عهد عمر بعهود من سبقه من الحكام السابقين: كان الوليد صاحب بناء واتخذ المصانع والضياع وكان الناس يلتقون في زمانه، فكان يسأل بعضهم بعضًا عن البناء والمصانع، فولي سليمان فكان صاحب نكاح وطعام، فكان الناس يسأل بعضهم عن التزويج والجواري، فلمّا ولي عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وراءك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتىٰ تختم، ومتىٰ ختمت. وما تصوم من الشهر[(٢)]؟ ولم يكتف عمر بإقامة الدين داخل دولته، بل وجّه عنايته إلىٰ غير المسلمين، ودعاهم إلىٰ الدخول في الإسلام، وراسل ملوك الهند وملوك ما وراء النهر، ووعدهم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما علىٰ المسلمين، فأسلم الكثير منهم وتسموا بأسماء[(٣)] العرب، ولعل من أجّل الأعمال التي خدم بها هذا الدين أمره بتدوين العلوم الإسلامية وخاصة علم الحديث، وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل بإذن الله تعالىٰ، كل هذه الأعمال العظيمة والإصلاحات الجليلة حققها عمر في مدة خلافته الوجيزة، فغدا درة للأمة، ومنارة يستهدي بنورها الملتمسون دروب التجديد والإصلاح[(٤)].

▪ عمر والفتوح ورفع الحصار عن القسطنطينية:

عندما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كان من أول أعماله إيقاف التوسع في المناطق النائية في أطراف الدولة، ومحاولة سحب القوات الإسلامية من مناطق القتال، وأول أعماله في هذا المضمار كان في القوات التي عُني الخليفة سليمان بحشدها وإنفاذها بقيادة أخيه مسلمة لفتح القسطنطينية وظلت

(١) التجديد في الفكر الإسلامي (٨٦).
(٢) التجديد في الفكر الإسلامي (٨٧).
(٣) خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز للندوي (ص٣٠).
(٤) التجديد في الفكر الإسلامي (٨٧).

تحاصرها مدة سنتين لاقت فيها مصاعب كثيرة دون أن تفلح في تحقيق هدفها، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة: كتب بقفل مسلمة بن عبد الملك من القسطنطينية وقد كان سليمان أغزاه إياها برًّا وبحرًا.

فأشتد عليهم المقام وجاعوا حتىٰ أكلوا الدواب من الجهد والجوع، حتىٰ يتنح الرجل عن دابته فتقطع بالسوق.. ولجّ سليمان في أمرهم، فكان ذلك يغم عمر، فلما ولي، رأىٰ أنه لا يسعه فيها بينه وبين الله آ شيء من أمور المسلمين ثم يؤخر فعله ساعة، فذلك الذي حمله علىٰ تعجيل الكتاب[(١)]، وقد وجه عمر بن عبد العزيز إلىٰ مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين، فوجه إليهم خيلًا عتاقًا وطعامًا كثيرًا وحث الناس علىٰ معونتهم، فكان الذي وجه إليه الخيل العتاق فيما قيل خمسمائة رأس[(٢)].

ويروي خليفة أنه في سنة ٩٩هـ حمل عمر بن عبد العزيز الطعام والدواب إلىٰ مسلمة بن عبد الملك إلىٰ بلاد الروم وأمر من كان له هناك حميم أنه يبعث إليه وبعث معه بعثًا فأغاث الناس، وأذن لهم بالقفول[(٣)]، وفي الأندلس ولىّٰ عمر بن عبد العزيز السمح بن مالك الخولاني، وعهد إليه: بإخلاء الأندلس من الإسلام إشفاقًا عليهم، إذ خشىٰ تغلب العدو عليهم.. لانقطاعهم من وراء البحر من المسلمين[(٤)].

غير أن السمح لم ير الانسحاب الكامل في الأندلس، وكتب إلىٰ الخليفة يقول: إن الناس قد كثروا بها وانتشروا في أقطارها، فاضرب عن ذلك، وأزال الأندلس عن عمالة أفريقية[(٥)].

---

(١) ابن عبد الحكم (ص٣٢).
(٢) تاريخ الطبري نقلًا عن عمر بن عبد العزيز للعلي (ص١٤٠).
(٣) تاريخ خليفة (ص٣٢٦)، تاريخ الإسلام للذهبي نقلًا عن العلي (ص١٤٠).
(٤) تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية (ص١٢- ١٣).
(٥) فجر الأندلس لحسين مؤنس (ص١٣٦- ١٣٧)، عمر بن عبد العزيز، صالح العلي (ص١٤٠).

وفي المشرق، كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عبد الرحمن والي خراسان يأمره بإقفال من وراء النهر من المسلمين بذراريهم، فأبوا وقالوا: لا يسعنا مرو «قاعدة خراسان». فكتب إلىٰ عمر بذلك، فكتب إليه عمر، اللهم إني قد قضيت الذي عليّ فلا تغزُ بالمسلمين، فحسبهم الذي فتح الله عليهم[(١)] ويقتصر خليفة بن خياط علىٰ القول بأن عمر بن عبد العزيز كتب إلىٰ الجراح بن عبد الله الحكمي: «لا تغزُ، وتمسكوا بما في أيديكم»[(٢)] وفي جبهة بلاد السند: كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ الملوك يدعوهم إلىٰ الإسلام والطاعة علىٰ أن يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وقد كانت بلغتهم سيرته ومذهبه، فأسلم جيشه والملوك، وتسموا بأسماء العرب وكان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر علىٰ ذلك الثغر[(٣)].

إن إيقاف عمر بن عبد العزيز التوسع القائم علىٰ استخدام المُقاتلة في الأطراف النائية للدولة وعمله علىٰ إحلال الحوار السلمي في إخماد الحركات المسلحة للمعارضة، لا يعني أنه أراد إلغاء المؤسسة العسكرية التي تمتد جذورها إلىٰ زمن الرسول ﷺ، وكان لها الدور الأكبر في حماية الدولة وتوسيعها وتثبيت الأمن والاستقرار فيها، والواقع أن التنظيمات المتصلة بالمُقاتِلة كانت تمسُّ صميم الحياة المدنية، ولا غنىٰ لأي دولة عن مؤسسة الجيش في حفظ حدودها والمخاطر التي قد تتعرض لها لذلك كان لا بد من إبقاء الجند والمؤسسات المتصلة به، فظلت الأمصار، وهي مراكز إقامة المقاتلة العرب، قائمة دون أن يلغيها، أو يبدلها، أو يدخل تعديلات في تنظيماتها السكانية والإدارية وقضت الأحوال أن يتابع خلال مدة خلافته القصيرة،

---

(١) تاريخ الطبري نقلا عن عمر بن عبد العزيز للعلي (ص١٤١).
(٢) تاريخ خليفة (ص٣٢٦)، عمر بن عبد العزيز عمر بن عبد العزيز للعلي (ص١٤١).
(٣) فتوح البلدان (ص٤٢).

استمرار الحركات العسكرية المحدودة النطاق في عدد من الجبهات. ففي أذربيجان أغار الترك على المسلمين: فقتلوا من المسلمين جماعة ونالوا منهم، فَوَجَّه إليهم عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلي، فقتل أولئك الترك، فلم يفلت منهم إلا اليسير، فقدم منهم على عمر بخناصرة خمسون أسيرًا[(١)]. وفي سنة ١٠٠هـ أغارت الروم في البحر على ساحل اللاذقية، فهدموا مدينتها وسَبَوْا أهلها، فأمر ببنائها وتحصينها[(٢)].

في ١٠١هـ: أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي، وعمرو بن قيس الكندي من أهل حمص، الصائفة[(٣)]. وأمر بترحيل أهل طرندة وهم كارهون، وذلك لإشفاقه عليهم من العدو[(٤)].

وأراد أن يهدم المصيصة لتعُّرضها لغارات الروم، ثم أمسك عن ذلك وبنى لأهلها مسجدًا جامعًا من ناحية كفربيًا واتخذ فيه صهريجًا وكان اسمه عليه مكتوبًا[(٥)]. وجعلها مركزًا متقدمًا لدرء الخطر عن انطاكية من غزوات الروم المتكررة، ورغم أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان قد حد من النشاط العسكري مع الروم وسحب الجيش الذي كان يحاصر القسطنطينية وبعض الحصون المتقدمة في بلد الروم، إلا أنه كان حازمًا شديدًا في أخذ الحق والدفاع عنه، وهذا ما تشير إليه رواية ابن عبد الحكم، حيث يذكر أنه عندما أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز رسولًا إلى ملك الروم، وقص عليه قصة رجل أسير في بلد الروم -وقد مرت معنا- أجبر على ترك الإسلام واعتناق النصرانية،

---

(١) تاريخ خليفة (ص٣٢٦)، عمر بن عبد العزيز للعلي (ص١٤٢).
(٢) فتوح البلدان (ص٢٠).
(٣) تاريخ الطبري نقلا عن عمر بن عبد العزيز للعلي (ص١٤٢).
(٤) فتوح البلدان (ص٢٢٠).
(٥) المصدر نفسه (ص١٦٣).

قائلين له: إن لم تفعل سملت عينك، فاختار دينه علىٰ بصره فسملت عيناه، فأرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز إلىٰ ملك الروم وقال له: أقسم بالله، لأن لم ترسله إلي لأبعثن إليك من الجنود جنودًا يكون أولهم عندك وآخرهم عندي، فاستجاب ملك الروم لطلبه، وبعث بالرجل إليه[(١)].

وكان سياسة عمر بن عبد العزيز المرحلية تقوم علىٰ ضبط الثغور وحدود الدولة الإسلامية والاهتمام بفتح العقول، وأحياء القلوب وتطهير النفوس للشعوب الجديدة التي دخلت في الإسلام ولذلك بدأ يرسل سرايا الدعاة والعلماء للبدو القاطنين داخل الدولة الإسلامية وللشعوب التي كانت في أشد حاجة لتعاليم الإسلام.

▪ الاهتمام بالدعوة الشاملة:

ركز عمر جهوده بالبناء الداخلي للدولة لترسيخ وحدتها وأمنها ونشر العلم وتوصيله لكل أفراد الأمة ما أمكن لذلك سبيلا، كما اهتم علىٰ نشر العدل بين الرعية وإزاحة الضغائن والأحقاد من بين المسلمين وقد استهدف عمر بن العزيز قلوب الناس وعقولهم ونفوسهم بتعاليم الإسلام ووضع مشروعًا كبيرًا لتحقيق ذلك الهدف العظيم ولم يكن عمر بالإنسان الذي تستهويه المشاريع الكبرىٰ، فيقف عند حدود الخيال لا يتعداه، بل حوّل مشروعه إلىٰ برنامج عملي قابلًا للتطبيق، بعدما مهد الظروف، وأحاط برامجه بالضمانات العملية وهيَ له الأسباب مما جعله يحيله إلىٰ واقع مشهود وقد ساعده علىٰ نجاح مشروعه الدعوي التربوي العلمي أمور منها:

١- وضع قانون التفرغ للدعـاة:

حيث الزم الدولة بكفالة عدد من العلماء والدعاة والمفكرين، كي تتيح لهم

(١) العلاقات العربية البيزنطية (ص١٣١).

التفرغ الكامل لا نجاز مشاريع فكرية دعوية التي يعكفون عليها باختيار أو بتوجيه من الدولة، فأجرىٰ الأرزاق علىٰ العلماء ورتب لهم الرواتب يتفرغوا لنشر العلم ويكفوا مؤونة الاكتساب[١]، فقارئ القرآن الذي حفظه وقام يقرئه للناس ويعلمهم أحكامه والمحدث الذي يعقد مجالس الإملاء وينشر الحديث النبوي، والفقيه الذي ينظر في الكتب ويستنبط منها ويعلم الناس أمور دينهم ليعبدوا الله علىٰ بصيرة، والطالب الذي يتفرغ للعلم أو البحث والدرس، كل أولئك قد يشغلهم أمر ذويهم وأبنائهم وسدّ حاجتهم وتدبير أمور معاشهم، فقام عمر بقطع هذا الهاجس عنهم، وكفل لهم ولمن يعولون ما يعيشون به حياة كريمة، تتكفل به الدولة، ويؤخذ من بيت المال، ونعمّا ما فعل رضي الله عنه، فبذلك شجع كل من وجد في نفسه الإمكانية لنشر العلم وخدمة الدين والأمة[٢].

وكان يمنح من بيت المال مبلغًا قدره مائة دينار لكل من انقطع إلىٰ مسجد جامع في أي بلد إسلامي، لغرض التفقه ونشر العلم، وتدريس القرآن وتلاوته[٣] وعن أبي بكر بن أبي مريم قال: كتب عمر بن عبد العزيز علىٰ والي حمص: مُرْ لأهل الصلاح من بيت المال بما يُغنيهم لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث[٤]. وعن أبي مريم قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ والي حمص: «انظروا إلىٰ القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فأعط كل رجل منهم مائة دينار، يستعينون بها علىٰ ما هم عليه، من بيت مال المسلمين، حين يأتيك كتابي هذا، وإن خير الخير أعجله. والسلام عليك»[٥]. وفرض الرزق لمن يحدث الناس بمغازي رسول الله ﷺ

(١) ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز (ص١٨٤).
(٢) عمر بن عبد العزيز، عبد الستار الشيخ (ص٧٢).
(٣) ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر (ص١٨٤).
(٤) أصول الحديث (ص١٧٨)، عمر بن عبد العزيز عبد الستار (ص٧٢).
(٥) البداية والنهاية، نقلا عن عمر بن عبد العزيز عبد الستار (ص٧٢).

ومناقب أصحابه، وللقصّاص والواعظين كذلك، وذكر ابن شبة: «أن عمر بن عبد العزيز أمر رجلًا -وهو بالمدينة- أن يقص علىٰ الناس، وجعل له دينارين كل شهر، فلما قدم هشام بن عبد الملك جعل له ستة دنانير كل سنة»(١). ومما جاء في كتبه بشأن إجراء الرزق علىٰ طلبة العلم لينقطعوا عن الشواغل، ما ذكره ابن عبد البر عن يحي بن أبي كثير قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عماله: أن أجْرُوا علىٰ طلبة العلم الرزق، وفرّغوهم للطلب(٢).

٢- حض العلماء على نشر العلم وعلنيته، واتخاذ المساجد مراكز لتعليم الناس أمور دينهم، وإقراء طلبة العلم وإسماعهم، وإملاء الحديث النبوي، وإحياء السنة(٣).

قال عكرمة بن عمار وهو من أهل اليمن -سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقول: أما بعد: فأمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم، فإن السنة كانت قد أميتت(٤)، وأسند ابن عبد البر عن جعفر بن برقان الرَّقي -نسبة إلىٰ الرقة شمال شرقي سورية- قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: أما بعد فَمُرْ أهل الفقه والعلم من عندك، فلينشروا ما علمهم الله في مجالسهم، ومساجدهم(٥).

٣- توجيه الأمة إلى أهمية العلم:

وفي ذلك يقول: إن استطعت فكن عالمًا فإن لم تستطع، فكن متعلمًا، فإن لم تستطع فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم. ثم قال: لقد جعل الله له مخرجًا إن قبل(٦).

---

(١) أخبار المدينة نقلًا عن عمر بن عبد العزيز عبد الستار (ص٧٣).
(٢) جامع بيان العلم (١/ ٢٢٨) عمر بن عبد العزيز عبد الستار (ص٧٣).
(٣) عمر بن عبد العزيز، عبد الستار (ص٧٣).
(٤) أصول الحديث (ص١٧٨)، عمر بن عبد العزيز (ص٧٣).
(٥) جامع بيان العلم (١/ ١٤٩).
(٦) ابن عبد الحكم نقلًا عن عمر للزحيلي (ص٧٤).

٤- إرسال العلماء الربانيين في شمال أفريقيا:

كان عمر بن عبد العزيز يرسل العلماء إلىٰ الأمصار بل البوادي ليعلّموا أهلها شرع الله، ويفقهوهم فيه، فقد بعث يزيد بن أبي مالك والحارث بن محمد إلىٰ البادية ليعلما الناس السنة، وأجرىٰ عليهم الرزق، فقبل يزيد ولم يقبل الحارث وقال: ما كنت لآخذ علىٰ علم علمنيه الله أجرًا. فذكر ذلك لعمر فقال: ما نعلم بما صنع يزيد بأسًا، وأكثر الله فينا مثل الحارث[(١)].

وقد عبر عمر بهذا الجواب عما يجب أن يتحلىٰ به الحاكم المسلم من مرونة فكرية، وعدم جمود علىٰ الأشكال، حيث أعلن أن أخذ الأموال لقاء لخدمات العلمية أمر لا بأس به، وسأل الله -من جهة أخرىٰ- أن يكثر أولئك الذين يقومون بهذه الخدمات دون أجر إلا أجر الله[(٢)].

وقد بعث عمر إلىٰ مصر الإمام المفتي الثبت، عالم المدينة (نافعًا) مولىٰ ابن عمر، وراويته، فعن عبد الله بن عمر: بعث عمر بن عبد العزيز نافعًا مولىٰ ابن عمر إلىٰ أهل مصر يعلمهم السنن[(٣)]، وأرسل عشرة من فقهاء المدرسة المصرية من رجال التابعين علىٰ أفريقية، ليفقهوا أهلها ويعلموهم، وينشروا بينهم حديث رسول الله ﷺ، لينالهم من الخير مثل الذي عمّ إخوانهم من أهل الحجاز والشام والعراق، وكانت معاقل العلم[(٤)]، وتطلع إلىٰ شمال أفريقيا، ليغزو القلوب والعقول والنفوس بدين الله، فأرسل العلماء الربانيين العشرة بعد أن وضع أهدافًا لخطته التعليمية في ذلك الإقليم منها:

أ- اختيار علماء ربانيين اشتهروا بالعلم والفقه والدعوة والتجرد للإشراف

---

(١) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص١٦٠).
(٢) ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر (ص١٨٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٧٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٠).
(٤) عمر بن عبد العزيز، عبد الستار الشيخ (ص٦٩).

علىٰ التربية والتعليم.

ب- وضع خطة بعيدة المدىٰ لنشر تعليم اللغة العربية، ومحو الأمية في أوساط القبائل البربرية، حتىٰ يسهل عليها بعد ذلك فهم القرآن والسنة والتعامل معهما.

ج- الاهتمام بربط الناس بالقرآن المجيد الذي هو حبل الله المتين، ويكون ذلك بفتح الكتاتيب، وجمعيات تحفيظ القرآن وتجويده.

ح- البلاغ الواضح البين لعقائد أهل السنة.

س- تعليم الناس الحلال والحرام[(١)].

ولقد بدأت بركات عهد عمر بن عبد العزيز علىٰ الشمال الإفريقي بتعيين أمير صالح عليه وبإرسال الفقهاء والعلماء الربانيين وإليك ترجمة الأمير والفقهاء:

- ... إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر:

ولاه عمر بن عبد العزيز علىٰ إفريقية في المحرم سنة ٩٩ - ١٠٠هـ فكان خير أمير، قال ابن خلدون: وأسلم جميع البربر في أيامه، وأرسل معه عشرة من فقهاء التابعين وعلمائهم يفقهون الناس في أمور الدين، ويبينون لهم الحلال والحرام[(٢)]. وكان هذا الأمير في غاية الزهد والتواضع حريصًا علىٰ نشر العلم وسار في أهل البلاد بسيرة العدل، وكان شديد الحفظ لحديث رسول الله ﷺ، فقد روىٰ عنه ابن عساكر إنه قال: ينبغي لنا أن نحفظ حديث رسول الله ﷺ كما نحفظ القرآن، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وغيرهم. ومكث في القيروان معلمًا للناس، ناشرًا للسنة، لمدة ثلاث وثلاثين سنة حيث توفي بها سنة ١٣١هـ[(٣)]، وقد جمعت شخصية إسماعيل

(١) الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي للصَّلاَّبِّي (ص٣٠٦، ٣٠٧).
(٢) تاريخ الفتح العربي في ليبيا (ص١٤٨).
(٣) مدرسة الحديث بالقيروان (٢/ ١٤ إلىٰ ٢٢).

رَحِمَهُ اللَّهُ، الكفاءة، والعلم والورع، فأنتجت هذه الثمار التي ساهمت في ترسيخ الإسلام في شمال إفريقيا وينبغي لنا أن نهتم بتحقيق هذه الصفات وغيرها في نفوس القادة والولاة.

- بكر بن سوادة الجذامي، أبو ثمامة (ت١٢٨ هـ بإفريقية):

أقام في الشمال الإفريقي أكثر من ثلاثين سنة محدثًا ومفتيًا، وفقيهًا وقد انتفع به أهلها، ورووا عنه، أدخل علىٰ القيروان حديث عدد من الصحابة، منهم: عقبة بن عامر، وسهل بن سعد الساعدي، وسفيان بن وهب الخولاني، كما روىٰ عن جماعة من التابعين منهم: سعيد بن المسيب وابن شهاب الزهري، وقد قارب شيوخه الأربعين، وروىٰ عنه كثير من أهل القيروان منهم عبد الرحمن بن زياد، وأبو زرعة الإفريقي وكان ثقة في حديثه، أخرج له مسلم والأربعة، والبخاري تعليقًا، وأحمد، والطبراني، وغيرهم، وعداده في المصريين رغم طول مكثه بالقيروان ووفاته بها[(١)].

- جُعثُل بن عاهان الرُّعيني القتباني، أبو سعيد (ت حوالي ١١٥ هـ):

عده أبو العرب وابن حجر وغيرها في التابعين، ولم يذكروا عمن روىٰ من الصحابة، وكان محدثًا، فقيهًا مقرئًا، تولىٰ قضاء الجند بالقيروان وبث فيها علمًا كثيرًا لمدة زادت عن خمسة عشر عامًا، وروىٰ عنه من أهل القيروان عبيد الله بن زحر، وعبد الرحمن بن زياد، وبكر بن سوادة وهو زميله في البعثة العلمية، وثقه أكثر النقاد، وأخرج له الأربعة وأحمد وغيرهم: توفي في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١١٥ هـ[(٢)].

- حبان بن جبلة القرشي:

مولاهم، ودفع الوهم بأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسله لتفقيه أهل مصر ت ١٢٥هـ

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

وقيل ١٢٢هـ بالقيروان أدخل في الشمال الإفريقي حديث جملة من الصحابة منهم: ابن عباس وابن عمر، وعبد الله بن عمرو، ووالده عمرو، وبقي يبث العلم في عاصمة الشمال الإفريقي في مدينة القيروان أكثر من خمس وعشرين سنة، أنتفع به أهلها، وروىٰ عنه كثيرًا منهم، كعبد الرحمن بن زياد، وعبيد الله بن زحر، وموسىٰ بن علي بن رباح وغيرهم، وهو عند النقاد ثقة في حديثه، أخرج له البخاري في الأدب المفرد وابن سنجر في مسنده والحاكم في المستدرك وغيرهم[(١)].

- سعد بن مسعود التجيبي: أبو مسعود (ت بالقيروان):

يروي عن جماعة من الصحابة، منهم: أبو الدرداء، ويروي عن النبي ﷺ مرسلًا حتىٰ وهم بعضهم فعده في الصحابة، ولذلك نبهت معظم المصادر علىٰ أنه لا صحبة له، وقد سكن القيروان وبث في الشمال الإفريقي علمًا كثيرًا وكانت مجالسه مليئة بالحكم والمواعظ البليغة، وكان شديدًا علىٰ الأمراء، روىٰ عنه من أهل القيروان: مسلم بن يسار الإفريقي، وعبيد الله بن زحر، وعبد الرحمن بن زياد، في جامع ابن وهب وغيره، وذكر الدباغ أنه توفي بالقيروان بعد أن بث فيها علمًا كثيرًا، ولم يذكر تاريخ وفاته[(٢)].

- طلق ابن جعبان الفارسي:

وقيل: جابان، والصواب الأول كما في الإكمال، تابعي، لقي عمر وسأله، وأكثر روايته عن التابعين كان فقيهًا عالمًا، وروىٰ عنه من أهل القيروان: موسىٰ بن علي، وابن أنعم، ولم يذكروا مدة إقامته بها ولا تاريخ وفاته[(٣)].

- عبد الرحمن بن رافع التنوخي، أبو الجهم (ت بالقيروان سنة ١١٣هـ):

دخل القيروان في وقت مبكر، سنة ٨٠هـ، وهو أجل قضاتها، وذلك علىٰ

(١) مدرسة الحديث بالقيروان (٢/ ١٤ إلىٰ ٢٢).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٤ إلىٰ ٢٢).
(٣) عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج (ص٤٥).

عهد حسان بن النعمان واستمر يبث فيها العلم ما يقارب ثلاثًا وثلاثين سنة، حتىٰ إنتفع به خلق كثير من أهلها وقد أدخل إلىٰ القيروان حديث جماعة الصحابة عرفنا منهم: عبد الله بن عمرو بن العاص، وحدث عنه من القرويين: عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وعبد الله بن زحر الكناني، وبكر بن سواد الجذامي وغيرهم... وهو أول من ولي قضاء القيروان وتوفي بها سنة ١١٣هـ[(١)].

- ... عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني:

كان مقيمًا في القيروان قبل زمن بعثة عمر بن عبد العزيز بمدة طويلة معروفًا لدىٰ أهلها مشهورًا بينهم بالعدالة والتقىٰ، وقد ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء القيروان سنة ٩٩هـ، لما علمه من فضله ودينه وعلمه فاستمر في منصبه إلىٰ أن استقال منه سنة ١٢٣هـ، وكان زاهدًا ورعًا عالمًا، سار في أهل القيروان بالكتاب والسنة ونشر العلم بينهم لمدة طويلة زادت عن خمس وعشرين سنة، ذكره ابن حبان في الثقات وأثنىٰ عليه المصنفون بالفضل والعلم والدين[(٢)].

- ... عبد الله بن يزيد المعافري الحبلي، أبو عبد الرحمن (ت بالقيروان ١٠٠هـ):

دخل القيروان في زمن مبكر، ولعل ذلك كان مع موسىٰ بن نصير سنة ٨٦هـ لأنه شهد فتح الأندلس، ثم عاد إلىٰ القيروان وسكنها وبنىٰ بها دارًا ومسجدًا ثم عين ضمن أفراد البعثة العلمية إلا أن وفاته كانت سنة ١٠٠هـ، أي بعد سنة واحدة من التكليف الرسمي، ومع ذلك فقد قال عنه المالكي: فانتفع به أهل إفريقية وبث فيها علمًا كثيرًا وأدخل القيروان حديث جماعة من الصحابة ممن لم يدخلها، وزاد في إفشاء حديث من دخلها منهم، حدث عن ابن عمر وعقبة بن عامر، وابن عمرو، وأبو ذر، وروىٰ عنه من أهلها عبد الرحمن بن زياد، وأبو كريب جميل بن كريب القاضي (ت ١٣٩) هـ وغيرهما، كان رجلًا صالحًا ورعًا

---

(١) عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج (ص٤٥).

(٢) المصدر نفسه (ص٤٦).

شديد الإقبال علىٰ نشر السنة، وكان تأثيره في الحياة العلمية - خاصة الجانب الحديثي منها - بالقيروان كبيرًا، وقد بنىٰ فيها مسجدًا لمجالسه العلمية أجمع النقاد علىٰ توثيقه، وحديثه عند مسلم، والأربعة، وابن وهب في جامعه وأحمد وغيرهم[(١)].

- ... وهب بن حي المعافري:

وقد ذكر ابن أبي حاتم أن هناك من قلبه إلىٰ حي بن موهب، وأن أبا زرعة قد صحح ذلك، غزا إفريقية قديمًا، لأنه سأل ابن عباس المتوفىٰ سنة ٦٨هـ عن آنية أهل المغرب كما في الرياض والمعالم، وهو من أفراد بعثة عمر، وقد سكن القيروان، وبث فيها علمًا كثيرًا وبها كانت وفاته، وقد أدخل إلىٰ القيروان حديث ابن عباس وغيره، وروىٰ عن النبي ﷺ مرسلًا، وروىٰ عنه من أهل القيروان عبد الرحمن بن زياد الإفريقي ولم تظهر المصادر حاله من حيث التعديل والجرح[(٢)]، هؤلاء الفقهاء العشرة من خيرة فقهاء التابعين أرسلهم عمر بن عبد العزيز إلىٰ الشمال الإفريقي ليفقهوا ويعلموا الناس دينهم فكانوا عند حسن ظنه بهم وكانوا للناس قدوة صالحة، وقد سبق هؤلاء العشرة كثير من التابعين الذين قاموا بتعليم أهل البلاد أحكام الدين علمًا وعملًا[(٣)].

وكان لهؤلاء العشرة آثار هامة في القرآن الكريم وتفسيره والحديث وفي نشر السنة العملية والاعتقادية الصحيحة، وساعدوا ولاة أمور المسلمين علىٰ مقاومة النحل الخارجية وتركيز أحكام الإسلام بين البربر فقد روىٰ المالكي أنه لما ثارت الخوارج علىٰ حنظلة ابن صفوان بطنجة سنة ١٢٢هـ جمع حنظلة علماء إفريقية وهم الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز إلىٰ إفريقية ليفقهوا أهلها

(١) عصر الدولتين الأموية والعباسية (ص٤٦).
(٢) مدرسة الحديث بالقيروان (٢/ ١٤ إلىٰ ٢٢).
(٣) عصر الدولتين الأموية والعباسية (ص٤٧).

فكتبوا هذه الرسالة ليقتدي بها المسلمون ويعتقدوا ما فيها: ... فإن أهل العلم بالله وبكتابه وسنه نبيه ه يعلمون أنه يرجع جميع ما أنزل الله آ إلىٰ عشر آيات: آمرة وزاجرة ومبشرة، ومنذرة، ومخبرة، ومحكمة، ومتشابهة، وحلال وحرام وأمثال، فآمرة بالمعروف وزاجرة عن المنكر، ومبشرة بالجنة، ومنذرة بالنار ومخبرة بخبر الأولين، والآخرين، ومحكمة يعمل بها، ومتشابهة يؤمن بها، وحلال أمر أن يؤتىٰ، وحرام أمر أن يجتنب، وأمثال واعظة فمن يطع الآمرة وتزجره الزاجرة فقد استبشر بالمبشرة وأنذرته المنذرة، ومن يحلل الحلال ويحرم الحرام، ويرد العلم فيما اختلف فيه الناس إلىٰ اله، مع طاعة واضحة ونية صالحة فقد فاز وأفلح وأنجح وحيا حياة الدنيا والآخرة والسلام[(١)]، إن هذه الرسالة تعتبر وثيقة عظيمة الأهمية إذ تدل علىٰ أصالة علم هذه البعثة العلمية، ووضوح أهدافهم الشرعية أمامها، حتىٰ أنهم أوجزوا فحوىٰ الرسالة ونظرًا لعظيم فائدتها عممت علىٰ أن تقرأ علىٰ منابر المساجد في جميع ضواحي إفريقية[(٢)].

٥- رسائله الدعوية إلى الملوك في الهند وغيرها:

كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ ملوك السند يدعوهم إلىٰ الإسلام علىٰ أن يملكهم بلادهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما علىٰ المسلمين، وقد كانت سيرته بلغتهم، فأسلم جيشبة بن داهر[(٣)]، والملوك تسموا له بأسماء العرب... وبقي ملوك السند مسلمين علىٰ بلادهم أيام عمر ويزيد بن عبد الملك[(٤)]. وقد أرسل عليهم عمر من يعلمهم دينهم[(٥)]، كما أرسل عمر برسائل إلىٰ ملوك ما

(١) رياض النفوس للمالكي (١/ ١٠٢، ١٠٣).
(٢) عصر الدولتين الأموية والعباسية (ص٤٨).
(٣) فتوح البلدان (ص٤٢٨)، عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص١٧٣).
(٤) الكامل في التاريخ نقلًا عن عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص١٧٣).
(٥) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص١٧٣).

وراء النهر يدعوهم فيها إلىٰ الإسلام فأسلم بعضهم[(١)]، وأما أليون قيصر الروم فقد بعث إليه عمر وفدًا برئاسة عبد الأعلىٰ بن أبي عمرة لدعوته إلىٰ الإسلام[(٢)].

٦- تشجيع غير المسلمين على الدخول في الإسلام:

قام عمر بتشجيع غير المسلمين علىٰ الدخول في الإسلام عن طريق إعطائهم الأموال لتألفة قلوبهم، وذلك إتباعًا لسنة رسول الله ﷺ، فيذكر ابن سعد عن عيس بن أبي عطاء رجل من أهل الشام كان علىٰ ديوان أهل المدينة عن عمر بن عبد العزيز أنه ربما أعطىٰ المال من يتألف علىٰ الإسلام[(٣)]. كذلك ذكر عن عمر بن عبد العزيز أنه أعطىٰ بطريقًا ألف دينار إتألفه علىٰ الإسلام[(٤)].

٧- تصحيح الوضع الخاص لأهل الذمة:

لقد كان لإنصافه لأهل الذمة الذين أسلموا بوضع الجزية عنهم أثر واضح في زيادة إقبال الذميين علىٰ الدخول في الإسلام برغم كل ما ترتب علىٰ ذلك بالنسبة لبيت المال مثل ما فعل مع واليه علىٰ خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي حيث أرسل إليه يقول: انظر من صلىٰ قبلك إلىٰ القبلة، فضع عنه الجزية[(٥)]، ثم أرسل بدعوة أهل الذمة إلىٰ الدخول في الإسلام، فمثلًا أرسل إلىٰ عامله الجراح بن عبد الله الحكمي يأمره بدعوة أهل الجزية إلىٰ الدخول في الإسلام فإن أسلموا قبل إسلامهم، وأن يضع الجزية عنهم، ثم كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما علىٰ المسلمين[(٦)]. وقد ترتب علىٰ هذه الدعوة دخول

---

(١) فتوح البلدان (ص٤١٥).
(٢) البداية والنهاية نقلًا عن عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص١٧٣).
(٣) الطبقات (٥/ ٣٥٠) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص١٧٤).
(٤) الطبقات (٥/ ٣٥٠).
(٥) تاريخ الطبري، نقلًا عن عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص١٧٤).
(٦) الطبقات (٥/ ٣٨٦).

عشرات الألوف من الناس في الإسلام طائعين ففي خراسان أسلم نحو من أربعة آلاف ذمي علىٰ يد واليه الجراح بن عبد الله(١)، أما في المغرب فقد أسلم عامة البربر علىٰ يد والي عمر علىٰ المغرب إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر(٢).

وكان ذلك دليلًا علىٰ بعد نظر عمر في الاهتمام بالدعوة إلىٰ الإسلام عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة، إذ كانت نتائجها لا تقل عن نتائج غيرها إيجابية بل تتعدىٰ ذلك إلىٰ أنه اكتسب مسلمون جدد دون أن يتكلف شهيدًا، أو نفقة لإعداد جيوش وهم رعاياه ويعيشون بين أظهر المسلمين، وبالتالي أولىٰ من غيرهم بالدعوة إلىٰ الإسلام. وبهذا يكون الإسلام قد انتشر علىٰ عهد عمر بن عبد العزيز بالحكمة والموعظة الحسنة، والاستمرار في أسلوب الجهاد الدعوي علىٰ أيدي علماء ربانيين تخرجوا من المدارس العلمية التي نضجت في عهد الدولة الأموية وهؤلاء العلماء الدعاة هم الذين نفذوا مشروع عمر بن عبد العزيز الدعوي العلمي.

▪ الإصلاحات المالية في عهد عمر بن عبد العزيز:

لم تكن سياسة عمر المالية ارتجالية فهو مسئول عن دولة وكان يحسب حسابًا لكل خطوة يخطوها ويضع الضمانات لكل عمل يعتزم تنفيذه(٣). ولقد سار في سياسته علىٰ أمور منها:

- العزم علىٰ الاعتصام بالكتاب والسنة، والتضحية في سبيل ذلك، وهذا ما يبدوا واضحًا من كتبه للعمال وخطبه إلىٰ رعيته ومثال ذلك قوله: سنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة علىٰ دين

(١) المصدر السابق (٥/ ٣٨٦).

(٢) فتوح البلدان (ص٢٣٢- ٢٣٣) للبلاذري، عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص١٧٤).

(٣) السياسة الاقتصادية والمالية لعمر بن عبد العزيز (ص٢٧).

الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر في أمر خالفها[(١)].

- ترسيخ قيم الحق والعدل ودفع الظلم: وهذا هو أساس سياسة عمر، فجميع الأهداف والوسائل التي اتبعها كانت تنسجم مع هذا الأساس، وإحقاق الحق ودفع الظلم هو أصل من أصول الشريعة، ومقصد رئيسي من مقاصدها قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[الحديد:٢٥].

يقول ابن القيم: فإن الشريعة مبناها وأساسها علىٰ الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلىٰ الجور، وعن الرحمة إلىٰ ضدها وعن المصلحة إلىٰ المفسدة، وعن الحكمة إلىٰ العبث فليست من الشريعة[(٢)].

ولقد كان عمر يرجع للحق إذا تبين له الخطأ، ويقول في ذلك: ما من طينة أهون عليّ فتًّا ولا كتاب أيسر عليّ ردًا من كتاب قضيت به، ثم أبصرت أن الحق في غيره ففتتها[(٣)].

أولاً: أهداف السياسة الاقتصادية عند عمر:

١- إعادة توزيع الدخل والثروة بشكل عادل:

لقد سعىٰ عمر بن عبد العزيز لإعادة توزيع الدخل والثروة بالشكل العادل، الذي يرضىٰ الله تعالىٰ ويحقق قيم الحق والعدل والظلم، والتي وضعها عمر نصب عينيه فقد كان يراقب الانحرافات السابقة قبل خلافته ويلاحظ آثارها السلبية علىٰ نفوس الرعية ولقد انتقد سياسة سليمان بن عبد الملك التوزيعية

---

(١) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٣٨).

(٢) أعلام الموقعين (٣/ ٣).

(٣) سيرة ومناقب عمر لابن الجوزي (ص١١٣).

فقال له: لقد رأيتك زدت أهل الغنىٰ وتركت أهل الفقر بفقرهم(١). فقد أدرك عمر بن عبد العزيز أن التفاوت الاجتماعي هو نتيجة لسوء توزيع الثروة، فرسم سياسته الجديدة لإنصاف الفقراء والمظلومين ولقد استخدم عمر للوصول إلىٰ هذا الهدف بعض الوسائل العملية منها:

- منع الأمراء والكبراء من الاستئثار بثروة الأمة، ومصادرة الأملاك المغصوبة ظلمًا، والتي استولىٰ عليها الأمراء والكبراء، وإعادة هذه الأموال إلىٰ أصحابها إذا عرفوا أو إلىٰ بيت المال، إذا لم يعرف أصحابها، أو كانت من الأموال العامة.

- زيادة الإنفاق علىٰ الفئات الفقيرة والمحرومة ورعايتها وتأمين مستوىٰ الكفاية لها عن طريق الزكاة وموارد بيت المال الأخرىٰ(٢). وقد قام بتنفيذ هذه السياسة، كما مرّ معنا في سياسته في رد المظالم ولقد كانت سياسة عمر التوزيعية تهدف علىٰ إيصال الناس إلىٰ حد الكفاية: يلاحظ ذلك من خطبه، فقد خطب الناس يومًا فقال: وددن أن أغنياء الناس اجتمعوا فردوا علىٰ فقرائهم حتىٰ نستوي نحن وهم وأكون أنا أولهم(٣).

وفي خطبة أخرىٰ:.. ما أحد منكم تبلغني حاجته إلا حرصت أن أسدّ من حاجته ما قدرت عليه وما أحد لا يسعه ما عندي إلا وددت أنه بُدِئ بي وبلحمتي الذي يلونني حتىٰ يستوي عيشنا وعيشكم(٤) وقد طبق عمر هذا التطور علميًا عندما أمر بقضاء دين الغارمين فكتب إليه عامله: إنا نجد الرجل له المسكن والخادم، وله الفرس والأثاث في بيته، فأجاب عمر: لا بدّ للرجل من

---

(١) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص١٣٥).
(٢) السياسة الاقتصادية والمالية لعمر بن عبد العزيز (ص٣٥).
(٣) الإدارة الإسلامية في عز العرب، محمد كرد علي (ص١٠٣).
(٤) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٤٢).

المسلمين من مسكن يأوي إليه رأسه وخادم يكفيه مهنته، وفرس يجاهد عليه عدوه، وأثاث في بيته، فهو غارم فاقضوا عنه[(١)]، فسياسة عمر التوزيعية تهدف إلىٰ كفاية الناس من حيث المسكن والمركب والأثاث، وهي عبارة عن حاجات أساسية، وضرورية للإنسان تصعب الحياة بدونها[(٢)].

٢- تحقيق التنمية الاقتصادية والرفاه الاجتماعي:

سعىٰ عمر بن عبد العزيز عن طريق العديد من الوسائل لتحقيق هذا الهدف، فقد أوجد المناخ المناسب للتنمية عن طريق حفظ الأمن والقضاء علىٰ الفتن، ورد الحقوق لأصحابها، وبذلك باتت الرعية مطمئنة علىٰ حقوقها، آمنة في أوطانها كذلك أمر ببناء المرافق العامة، والتي تسمىٰ اليوم بمشاريع البنية التحتية، ولا تقوم التنمية إلا بهذه المرافق الضرورية من أنهار وترع ومواصلات وطرق، وقد أكد عمر علىٰ مبدأ الحرية الاقتصادية المقيدة بضوابط الشريعة، فانتشر الناس في تجارتهم وتثمير أموالهم واهتم كذلك إهتمامًا بالغًا بالزراعة، حيث كان القطاع الزراعي من أكبر القطاعات علىٰ المستوىٰ الفردي، وله مردود كبير علىٰ ميزانية الدولة وقد جنىٰ عمر والأمة كلها ثمرات هذه السياسة، فقد عمّ الرخاء البلاد والعباد[(٣)]، قال رجل من ولد زيد بن الخطاب: إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفًا وذلك ثلاثون شهرًا فما مات حتىٰ جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: أجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتىٰ يرجع بماله، يتذكر من يضعه فيهم فما يجده، فيرجع بماله قد أغنىٰ عمر بن عبد العزيز الناس[(٤)].

---

(١) المصدر نفسه (ص١٧١).
(٢) السياسية المالية والاقتصادية لعمر (ص٣٨).
(٣) السياسة الاقتصادية والمالية لعمر (ص٤١).
(٤) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص١٢٨).

ثانيًا: وسائل عمر بن عبد العزيز لتحقيق الأهداف الاقتصادية لدولته:

سعىٰ عمر بن عبد العزيز لتحقيق أهدافه الاقتصادية بوسائل منها:

١- توفير المناخ المناسب للتنمية: وقد عمل عمر علىٰ توفير المناخ المناسب للتنمية، وقام بالآتي:

أ- رد الحقوق لأصحابها: فتوفرت أجواء الأمن والطمأنينة، وترسخت قيم الحق والعدالة وردّ الحقوق المغتصبة إلىٰ أبناء الأمة وسمّاها مظالم[١]، وقد تحدثت عن سياسته في رد المظالم والحقوق إلىٰ أهلها وذكرت الكثير من المواقف في هذا الشأن.

ب- فتح الحرية الاقتصادية بقيود: فقد أكد عمر علىٰ مفهوم الحرية الاقتصادية المقيدة، وكتب إلىٰ العمال:.. وإن من طاعة الله التي أنزل في كتابه أن يدْعىٰ الناس إلىٰ الإسلام كافة وأن يبتغي الناس بأموالهم في البر والبحر ولا يمنعون، ولا يحبسون[٢]. وقدم في موضوع آخر: ... أطلق الجسور المعابر للسابلة يسيرون عليها دون جُعْل[٣]، لأن عمال السوء تعدوا غير ما أمروا به[٤]. ولم يتدخل عمر بن عبد العزيز في الأسعار، فعن عبد الرحمن بن شوبان قال: قلت لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين ما بال الأسعار غالية في زمانك وكانت في زمان ما قبلك رخيصة؟ قال: إن الذين كانوا قبلي كانوا يكفلون أهل الذمة فوق طاقتهم فلم يكونوا يجدون بُدًا من أن يبيعوا ويكسروا ما في أيديهم، وأنا لا أكلف أحدًا إلا طاقته، فباع الرجل كيف شاء، قال: فقلت: لو أنك

---

(١) السياسة الاقتصادية والمالية (ص٤٣).

(٢) سيرة عمر لابن الحكم (ص٩٤)، السياسة الاقتصادية والمالية لعمر (ص٤٧).

(٣) **الجعل**: هو ما يجعل للشخص علىٰ عمله.

(٤) الإدارة الإسلامية، محمد كرد (ص١٠٥).

سعَّرت، قال: ليس إلينا من ذلك شيء إنما السعر إلىٰ الله[1]، وتشدد عمر في أمر السلع المحرومة ومنع التعامل بها فالخمر من الخبائث التي لا يجوز التعامل فيها بين المسلمين لحرمتها ولضررها حيث يؤدي شربها إلىٰ استحلال الدم الحرام وأكل المال الحرام. ويقول عمر: فإن من نجده يشرب منه شيئًا بعد تقدمنا إليه فيه نوجعه عقوبة في ماله ونفسه ونجعله نكالًا لغيره[2].

وقد أثمرت سياسة عمر في رد الحقوق وإطلاق الحرية الاقتصادية المنضبطة، حيث وفرت للناس الحوافز للعمل والانتاج، وأزالت العوائق التي تحول دون ذلك وهذا أدىٰ إلىٰ نمو التجارة، وبالتالي إلىٰ زيادة حصيلة الدخل الخاضع للزكاة، وهذا يؤدي بدوره إلىٰ زيادة الزكاة ممّا يؤدي إلىٰ رفع مستوىٰ الطبقات الفقيرة وارتفاع قوتها الشرائية والتي ستتوجه إلىٰ الاستهلاك، وبالتالي إلىٰ زيادة الطلب علىٰ السلعة، والخدمات وهذا كله يؤدي إلىٰ انتعاش الاقتصاد وارتفاع مستوىٰ المعيشة وزيادة الرفاه[3].

٢- اتباع سياسة زراعية جديدة: فقد اتبع خطوات ترمي إلىٰ زيادة الإنتاج الزراعي للأمة وإليك تفصيل هذه الخطوات:

أ- منع بيع الأرض الخراجية: سأل الناس عبد الملك بن مروان والوليد وسليمان أن يأذنوا في شراء الأرض من أهل الذمة، فأذنوا لهم شريطة أن يضعوا أثمانها في بيت المال، فلما ولي عمر بن عبد العزيز، ترك هذه الأشرية علىٰ حالها، وذلك لما وقع فيها من المواريث ومهور النساء وقضاء الديون ولم يقدر علىٰ تخليصه، وكتب كتابًا قريء علىٰ الناس سنة المائة: أن من اشترىٰ شيئًا بعد سنة مائة فإن بيعه مردود وسميت سنة مائة سنة المدة، فتناهي الناس بعدها عن

---

(١) السياسة الاقتصادية والمالية لعمر (ص٤٨).
(٢) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص١٠٣).
(٣) سياسة الإنفاق العام في الإسلام، عوف الكفراوي (ص٣٧٢).

الشراء(١). ولقد طلب أهل الأرض أن يضع عليهم الصدقة بدل الخراج، فأجاب عمر: إني لا أعلم شيئًا أثبت لمادة الإسلام من هذه الأرض التي جعلها الله لهم فيئًا.. قال أبو عبيدة فكأن مذهب عمر بن عبد العزيز في الأرض أنه كان يراها فيئًا، ولهذا كان يمنع أهلها من بيعها(٢). وكتب إلىٰ ميمون بن مهران: أما بعد، فحُل بين أهل الأرض وبين بيعها ما في أيديهم، فإنهم إنما يبيعون فيء المسلمين(٣). كذلك رفض عمر تحويل الأرض التي دخل أهلها في الإسلام من أرض خراج إلىٰ أرض عشر(٤)، وأبقىٰ الخراج عليهم والعشر وقال: الخراج علىٰ الأرض والعشر علىٰ الحب(٥). وبذلك حافظ علىٰ المورد الرئيس للإنتاج وجعله ملكًا عامًا للأمة بدلًا من تحويله إلىٰ ملكيات صغيرة(٦).

ب- العناية بالمزارعين وتخفيف الضرائب عنهم: اعتاد بعض الخلفاء الأمويين قبل عمر بن عبد العزيز علىٰ إرهاق المزارعين بالضرائب، فكثرت الضرائب وتنوعت، واشتد الأمر علىٰ أهل الأرض فهجروها، فخرجت، فأضرّ ذلك بمالية الدولة، ولقد لجأوا إلىٰ أساليب العذاب في الجباية فاضطر المزارعون إلىٰ بيع دوابهم أو كسوتهم لشديد ما عليهم، وعندما تولىٰ عمر سعىٰ إلىٰ إلغاء جميع الضرائب المخالفة للشريعة، وكتب بذلك إلىٰ العمال كتابًا منها: فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله، وسنة خبيثة استنها عليهم عمال السوء.. ولا تأخذن في الخراج إلا وزن سبعة(٧)، ليس لها

---

(١) السياسة المالية والاقتصادية لعمر (ص٤٩).
(٢) الأموال لأبي عبيد (ص١٢١) رقم (٢٥٦).
(٣) المصدر نفسه رقم (٢٥٧) (ص١٢٢).
(٤) السياسة المالية والاقتصادية لعمر (ص٥٠).
(٥) الأموال رقم (٢٣٥) (ص١١٤) لأبي عبيد.
(٦) الخراج (ص٢٣٩) الريس، السياسة المالية والاقتصادية (ص٥٠).
(٧) الدرهم الذي ضربه عبد الملك وجعل كل عشرة منها وزن سبعة مثاقيل من الذهب.

آيين ولا أجور الضرابين[(١)]، ولا هدية النيروز والمهرجان[(٢)]، ولا ثمن الصحف ولا أجور البيوت[(٣)]. وقد ألغىٰ القبالة وكانت مألوفة في البصرة، وألغىٰ أسلوب الخرص[(٤)]. حيث كان العمال يقدرون الثمار بسعر عالٍ ويقبضونه نقدًا، وبذلك يرهقون الزراع، فقرر عمر وضع الضريبة حسب الأسعار الفعلية وكتب لعامله: بلغني أن عمالك بفارس يخرصون الثمار ثم يقومونها علىٰ أهلها بسعر فوق سعر الناس الذي يتبايعون ثم يأخذون ذلك ورقًا علىٰ قيمتهم التي قوموها..

وقد بعثت بشر بن صفوان وعبد الله بن عجلان للنظر في ذلك ورد الثمن الذي أخذ من الناس إلىٰ ما باع أهل الأرض به غلاتهم[(٥)]. ولقد أمر عمر بالغاء ضريبة ثابتة علىٰ أهل اليمن، كالخراج مع أن أرضها أرض عشرية، وكتب إلىٰ عامله علىٰ اليمن: أما بعد، فإنك كتبت إليَّ أنك قدمت اليمن فوجدت علىٰ أهلها ضريبة من الخراج مضروبة ثابتة في أعناقهم كالجزية يؤدونها علىٰ كل حال، أخصبوا أو أجدبوا أو حيوا أو ماتوا، فسبحان الله رب العالمين ثم سبحان الله رب العالمين.. إذا أتاك كتابي هذا فدع ما تنكره من الباطل إلىٰ ما تعرفه من الحق ثم ائتنف الحق فاعمل به بالغًا بي وبك وإن أحاط بمهج أنفسنا، وإن لم ترفع إليّ من جميع اليمن إلا حفنة من كتم[(٦)]، فقد علم الله إني بها مسرور إذا

---

(١) **الآيين**: أصول إدارية ساسانية وهي رسوم المسَّاحين أرض الخراج وأجور، **الضرابين**: هي أجور المختصين بالنقد من الصرافين.

(٢) **النيروز والمهرجان**: عيدان عند الفرس كانوا يحضرون فيهما الهدايا.

(٣) **الصحف**: عبارة عن أوراق تعطي براءة بالدفع. والفيوج جمع فيج وهو رسول السلطان الذي يسعىٰ بالكتب، وأجور البيوت هي أجور المخازن المحلية التي توضع فيها المواد العينية قبل نقلها للمركز.

(٤) **القبالة من التقبل والتقبيل**: أي شخصًا كفيلًا ذلك لتحصيل الخراج مقابل قدر معلوم يأخذه لنفسه: الخرص: الحرز.

(٥) الضرائب في السواد (ص٦٥).

(٦) **الكتم**: نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر.

كانت موافقة للحق[١] والسلام.

ويلاحظ من كتب عمر إلىٰ عماله الانحرافات السابقة الظالمة وإنكار عمر لها، وقد كان لها أثر اقتصادي سيء حيث جعلت أصحاب الأرض يضعفوا عن أرضهم ويتركوها فضعف الإنتاج وترتب علىٰ ذلك خسارة للبلاد ولبيت المال، وأما عمر بن عبد العزيز فكان مصرًا علىٰ تطبيق الحق وعدم اهتمامه بالكم بل بالكيف، فهو لا يريد إيرادًا كثيرًا ظالمًا[٢]، وقد ساهمت إصلاحات عمر في إلغائه للضرائب الجائرة إلىٰ انتعاش اقتصاد الدولة.

ج - الإصلاحات والإعمار وإحياء أرض الموات: شجع عمر علىٰ إحياء الأرض الموات وعلىٰ إصلاح الأراضي للزراعة، وكتب بذلك إلىٰ عامله علىٰ الكوفة: لا تحمل خرابًا علىٰ عامر ولا عامرًا علىٰ خراب[٣]، انظر إلىٰ الخراب فخذ منه ما أطاق، وأصلحه حتىٰ يعمر، ولا تأخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض[٤]. وكتب عمر: من غلب الماء علىٰ شيء فهو له، وعن حكيم بن زريق قال: قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أبي من أحيا أرضًا ميتة ببنيان أو حرث، ما لم تكن من أموال قوم ابتاعوها من أموالهم، أو أحيوا بعضًا وتركوا بعضًا، فاجز للقوم أحياءهم الذي أحيوا ببنيان أو حرث[٥]، وحرص عمر علىٰ استغلال أرض الصوافي[٦]، ورأىٰ أن ملكيتها لبيت المال، ومنع الإقطاع منها وأمر بإعطائها مزارعة علىٰ النصف فإن لم تزرع فعلىٰ الثلث،

---

(١) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص١٢٦)، الخراج للريس (ص٢٢٩).
(٢) السياسة الاقتصادية المالية لعمر (ص٥٢).
(٣) المصدر نفسه (ص٥٣)، **العامر**: الأرض المزروعة.
(٤) الأموال لأبي عبيدة رقم (١٢٠) (ص٥٧).
(٥) الأموال رقم (٧١٧) (ص٣٦٩)، البنيان هو البناء والحرث هو الزرع.
(٦) **الصوافي**: ما يستخلصه السلطان لخاصته: وقيل: الأملاك والأرضي التي جلا عنها أهلها وماتوا ولا وارث لها واحدها صافية.

فإن لم تزرع فأمر بإعطائها حتىٰ تبلغ العشر فإن لم يزرعها أحد فأمر بمنحها، فإن لم يزرعها أحد فأمر بالإنفاق عليها من بيت المال(١). وقد اهتم عمر بالمزارعين ورفع الضرر عنهم ويروىٰ في ذلك أن جيشًا من أهل الشام مر بزرع رجل فأفسده، فأخبر الرجل عمر بذلك، فعوضه عشرة آلاف درهم(٢)، وكان يقدم القروض للمزارعين، فقد جاء في رسالته لواليه علىٰ العراق: أن انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوىٰ به علىٰ عمل أرضه فإنا لا نريدهم لعام ولا لعامين(٣).

د - عمر والحمى: منع عمر الحمىٰ الخاص وأباح هذه الأراضي للمسلمين جميعًا، لا تختص بها طائفة علىٰ أخرىٰ وفي ذلك يقول: ونرىٰ أن الحمىٰ يباح للمسلمين عامة، وكانت تحمىٰ وتجعل فيها نعم الصدقات، فيكون في ذلك قوة ونفع لأهل فرائض الصدقات، وأدخل فيها وطعن فيها طاعن من الناس، فنرىٰ في ترك حماها والتنزه عنها خيرًا، إذا كان ذلك من أمرها، وإنما الإمام فيها كرجل من المسلمين، وإنما هو الغيث ينزله الله لعباده فهم فيه سواء(٤)، وعندما أباح الإحماء كلها استثنىٰ النقيع(٥) الذي حماه الرسول عليه الصلاة والسلام لإبل الصدقة(٦). فبالحمىٰ تصبح الأرض لجماعة المسلمين، ونفعها مصروف لهم، فالحمىٰ نقل الأرض من الإباحة إلىٰ الملكية العامة، لتبقىٰ موقوفة علىٰ جماعة المسلمين(٧).

---

(١) الخراج (ص٩٩)، يحيي بن آدم، السياسة المالية والاقتصادية (ص٥٤).
(٢) سيرة ومناقب عمر (ص١١٧) لابن الجوزي.
(٣) التطور الاقتصادي في العصر الأموي (ص٢٠٢).
(٤) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٩٨).
(٥) **النقيع**: موضع لبلاد مزينة علىٰ ليلتين من المدينة وهو نقيع الخضمات الذي حماه عمر بن الخطاب لنعم الفيء وخيل المجاهدين. انظر: السياسة الاقتصادية والمالية (ص٥٤).
(٦) فتح الباري (٥/ ٣٤).
(٧) الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي (ص٢٤٢).

هـ - توفير مشاريع البنية التحتية: سعىٰ عمر بن عبد العزيز لتوفير هذه المشاريع منذ كان أميرًا علىٰ المدينة حتىٰ أصبح خليفة للمسلمين، فاهتم بالمشاريع التي تخدم التجار والمزارعين والمسافرين وعندما كان واليًا علىٰ المدينة كتب إليه الوليد بن عبد الملك كتابًا في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في المدينة فحفر منها بئر الحفير وكانت طيبة الماء[1]. كذلك عمل عمر بأمر الوليد فوّارة ماء، وأجرىٰ ماءها ووسع المسجد النبوي ورفع منارته وجوّف محاربيه، وأنشأ الخانات والفنادق ودار الضيافة للحجاج والمسافرين[2]. كما استمر حفر خليج أمير المؤمنين بين النيل والبحر الأحمر لتسهيل نقل الطعام من مصر إلىٰ مكة حتىٰ أيام عمر بن عبد العزيز[3]. وكتب إليه عامله علىٰ البصرة يعرض طلب أهلها بحفر نهر لهم، فأذن له عمر وحفر النهر، وسمي نهر عدي[4].

■ سياسة عمر بن عبد العزيز المالية في الإيرادات:

إن السياسة المالية بإراداتها ونفقاتها تعتبر أداة هامة لتحقيق الأهداف الاقتصادية، لذلك بدأ عمر سياسته المالية بزيادة الإنفاق علىٰ عامة الشعب، فأنفق في رد المظالم حتىٰ أنفذ بيت مال العراق، وجلب إليه من الشام[5]، وأنفق علىٰ المشاريع الزراعية، ومشاريع البنىٰ الأساسية، كما أنفق علىٰ الرعاية الاجتماعية لجميع طبقات الشعب وفي جانب الإيرادات، سعىٰ إلىٰ إلغاء الضرائب الظالمة، فرفع الجزية عمن أسلم، وألغىٰ الضرائب الإضافية التي كانت تؤخذ من المزارعين، وألغىٰ المكوس والقيود، كما حافظ علىٰ حقوق بيت المال المسلوبة، فأعاد إليه القطائع، والمظالم، وأوقف امتيازات الأمراء

---

(١) الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي (ص٥٦).
(٢) خامس الخلفاء الراشدين للبدري (ص١٧٠).
(٣) السياسة الاقتصادية والمالية لعمر بن عبد العزيز (ص٥٥).
(٤) المصدر نفسه (ص٥٧).
(٥) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص١٢٩).

والموظفين، وبالغ في الاقتصاد في الإنفاق الإداري والحربي[(١)]، كل ذلك أدىٰ إلىٰ إطلاق الطاقات، فنمت الزراعة والتجارة، وجنىٰ ذلك بزيادة ونمو الإيرادات، فزادت إيرادات الزكاة والخراج والعشور وفاضت ميزانية الدولة، فوجّه عمر الفائض لزيادة الإنفاق العام لتحقيق الأهداف الاقتصادية ونلاحظ في التاريخ كلما استقام أمر الدولة وسارت علىٰ نهج الشريعة الإسلامية الغرّاء فاض ميزانها المالي، ولم يشعر أفرادها بعسف ولا إرهاق، ولم تهمل مصلحة من مصالحها، وكلما أعوج أمر الدولة، وحادت عن سبيل الشريعة، اختل التوازن المالي، فميزانية الدولة مرآة عدلها وجورها ونظامها وفوضاها[(٢)].

هذا وقد تكونت إيرادات بيت المال زمن عمر بن عبد العزيز من الزكاة والجزية والخراج والعشور والخمس والفيء.

١- الزكــاة:

اهتم عمر بالزكاة وحرص عليها لأنها حق فرضه الله للفقراء والمساكين والمنقطعين، والمستعبدين، ولا يجوز التهاون فيه، واهتمّ بتوزيعها علىٰ مستحقيها[(٣)]، فأمر ولاته بالبحث عنهم وإعطائهم حقهم وفي حالة عدم وجود فقراء أو مساكين أو محتاجين وأمر عمر بشراء رقاب المستعبدين واعتقاهم من مال الزكاة[(٤)]. وعزم عمر علىٰ إتباع هدي النبي ﷺ في الزكاة وكان الولاة قبله قد تهاونوا فيها، فأخذوها من غير حقها، وصرفوها في غير مصارفها[(٥)]، ومن مظاهر إتباعه للسنة فيها طلبه لكتاب رسول الله ﷺ في الصدقات، ولكتاب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وأمره بأن تنسخ هذه الكتب فنسخت له وكانت تشتمل

(١) السياسة الاقتصادية والمالية لعمر (ص٥٨).
(٢) المصدر نفسه (ص٥٨).
(٣) المصدر نفسه (ص٦٠).
(٤) المصدر نفسه (ص٦٠).
(٥) سيرة ومناقب عمر لابن الجوزي (ص١٢٩).

علىٰ صدقة الإبل والبقر والغنم، والذهب، والورق، والتمر، والحب، والزبيب وبيّنت الأنصبة لكل هذه الأصناف(١) واتبع عمر السنة في مصارف الزكاة، فاستشهد بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [التوبة:٦٠]، ثم أمر أن توضع الصدقات كما أمر الله تعالىٰ في كتابه(٢)، كما اتّبع عمر السنة في جباية الزكاة فعين عمالًا ثقاة مؤتمنين وأمرهم بجبايتها دون ظلم أو تعدٍّ وأمرهم بكتابة براءة إلىٰ الحول لدافعها(٣). وأمر عمر بأخذ الزكاة من جميع الأموال التي تجب فيها، فأخذت من عطاء العمال ومن المظالم إذا رُدّت لأصحابها، ومن الأعطية إذا أخرجت لأهلها(٤). وأكد عمر علىٰ أحقية كل قوم بزكاتهم إذا لم يستغنوا(٥) وعندما أحضر العمال الزكاة إلىٰ عمر أمرهم بردّها وتوزيعها في البلاد التي جمعت منها(٦). وكانت لهذه الإصلاحات الاقتصادية في جباية الزكاة أثر علىٰ زيادتها ولقد ساهمت سياسته الاقتصادية إلىٰ زيادة تحصيل الزكاة، فتوفيره لأجواء الأمن والطمأنينة، واهتمامه بإقامة المشاريع، الأساسية للزراعة والتجارة وأتّباعه لسياسة الحرية الاقتصادية المقيدّة، وإلغاؤه للضرائب الظالمة، أدّت جميعًا إلىٰ ازدهار التجارة والزراعة وإلىٰ زيادة حصيلة الزكاة(٧)، ولقد كان عمر من الموسعين لإيتاء الزكاة برز هذا من خلال فقهه في زكاة الثروة الزراعية،

---

(١) الأموال لأبي عبيد (ص٤٤٧) رقم (٩٣٤)، السياسة المالية والاقتصادية لعمر بن عبد العزيز (ص٦١).
(٢) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٩٤).
(٣) المصدر نفسه (ص٩٩).
(٤) الأموال لأبي عبيد رقم (١٢٢٦) (ص٥٢٩).
(٥) فتح الباري (٣/ ٣٢٢)، السياسة المالية والاقتصادية (ص٦١).
(٦) الأموال رقم (١٩١٧) (ص٧١٢).
(٧) ملامح الانقلاب (ص١٣٥).

وزكاة الإبل العامة، وزكاة السمك، وزكاة العسل، وهذا الفقه من شأنه أن يزيد الأموال الخاضعة للزكاة، مما يؤثر علىٰ زيادة جبايتها وأما زيادة الدعوة زمن عمر، ودخول أهل الذمة في الإسلام أفواجًا فالراجح أنه رفع من حصيلة الزكاة، لأن هؤلاء المسلمين الجدد فيهم الأغنياء وفيهم الفقراء، وسيدفع الأغنياء حقًا مفروضًا عليهم وهو الزكاة وأما سيرة عمر وتقواه فقد أثرت علىٰ دفع الزكاة للدولة مباشرة لزيادة الثقة بين الحاكم والمحكوم وهذا واضح من تدافع الناس لأداء الزكاة عندما سمعوا بخلافة عمر، وهذا يؤدي إلىٰ زيادة حصيلة أموال الزكاة وزيادة آثارها الاقتصادية عند إنفاقها في مصارفها(١). وتؤكد الروايات التاريخية أن الزكاة كانت فائضة عن حاجات الناس في ذلك الزمن، فكان الرجل يأتي بزكاته، فلا يجد من يأخذها(٢)، ومن أسباب هذا الفائض اندفاع أفراد المجتمع للعمل والإنتاج، فكثر عدد المؤدِّين للزكاة، وانخفاض عدد القابضين لها(٣).

٢- الجزيــة:

والجزية في الاصطلاح: هي الوظيفة (الضريبة) المأخوذ من الكافر لإقامته بدار الإسلام في كل عام والأصل فيها الكتاب والسنة والإجماع(٤)، وقد قام عمر بن عبد العزيز بإتباع السنة في إيراد الجزية، فقد أسقطها عمّن أسلم، لأن الجزية فرضت علىٰ الكافرين وتسقط بالإسلام(٥)، ومع ذلك فقد استمر بعض خلفاء بني أمية في أخذ الجزية ممن أسلم، فأخذها الحجّاج لظنِّه أنهم دخلوا

---

(١) ملامح الانقلاب (ص١٣٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣١).
(٣) السياسة المالية والاقتصادية لعمر (ص٦٩).
(٤) المغنىٰ لابن قدامة (١٠/ ٥٥٧).
(٥) السياسة المالية والاقتصادية (ص٧٠).

الإسلام هربا من الجزية، ولقد أدىٰ ذلك إلىٰ زيادة النقمة علىٰ الحجّاج وعلىٰ الأمويين[١]، وعندما تولىٰ عمر الخلافة سارع إلىٰ إلغاء الجزية عن المسلمين[٢]، وتشدّد في ذلك، وكتب إلىٰ العمال كتابًا جاء فيه «من شهد شهادتنا واستقبل قبلتنا واختتن فلا تأخذوا منه الجزية»[٣]. ولما سمع أهل الذمة عن عدالة عمر وسيرته سارعوا للدخول في الإسلام، فشكا عامله ذلك، لأنه أدىٰ إلىٰ نقصان الجزية، فأجابه عمر: أما بعد، فإن الله قد بعث محمدًا داعيًا ولم يبعثه جابيًا[٤].

ولأن عمر اعتمد في سياسته علىٰ ترسيخ قيم الحق والعدل، ورفع الظلم عن أهل الذمة ورفق بمزارعيهم وفرض الجزية عليهم حسب المقدرة المالية للفرد، فجعلها علىٰ ثلاث طبقات للغني وللمتوسط وللفقير، وجعل صاحب الأرض يعطي جزيته من أرضه والصانع يخرجها من كسبه والتاجر من تجارته[٥]، وفرض الجزية حسب طاقة البلاد المالية، فجعلها علىٰ أهل الشام أكثر منها علىٰ أهل اليمن بسبب غناهم ويسارهم[٦]، ورفع الجزية عن الفقراء الذين لا يستطيعون دفعها، وأجرىٰ عليهم رزقًا من بيت المال، كما فعل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٧]، وخفَّضَ عمر الجزية عن أهل نجران حيث أمر بإحصائهم، فتبين له أن عددهم نقص إلىٰ العشر، وجزيتهم بقيت كما هي، فأخذ منهم مئتي

---

(١) الضرائب في السواد (ص٥٨).

(٢) الطبقات (٥/ ٣٤٥) الخراج للريس (ص٢٣٠).

(٣) الأموال رقم (١٢٧)، (ص٦١).

(٤) الطبقات (٥/ ٣٨٤).

(٥) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٩٩).

(٦) الأموال لأبي عبيد رقم (١٠٧)، (ص٥١).

(٧) السياسة المالية والاقتصادية لعمر (ص٧١).

حلة بدلًا من ألفين، وأسقط جزية من مات أو أسلم[(١)]، وقد كانت للإصلاحات في جباية الجزية آثار مالية لصالح بيت المال، فإسقاط الجزية عمن أسلم أدّىٰ إلىٰ زيادة الثقة بين الحاكم والمحكوم والشعور بالعدل والإنصاف، وبالتالي أدّىٰ إلىٰ إيقاف القلاقل والفتن التي كلفت الدولة نفقات طائلة، كما إن إسلام كثير من أهل الذمة جعلهم يدفعون الزكاة بدل الجزية والزكاة مقدارها أكبر هذا مع استمرار دفع الخراج علىٰ الأرض، أما انتشار أجواء الأمن والعدل فقد زاد الإنتاج حيث اندفع الناس للإنتاج والتنمية[(٢)].

٣- الخراج:

هو ما تأخذه الدولة من ضرائب علىٰ الأرض المفتوحة عنوة أو الأرض التي صالح أهلها عليها[(٣)]. لقد ارتفع إيراد الخراج في زمن عمر بن عبد العزيز وبلغ مائة وأربعة وعشرين مليون درهم[(٤)]. وكانت هذه الزيادة في إيراد الخراج نتيجة لسياسته الإصلاحية فقد منع بيع الأرض الخراجية فحافظ علىٰ المصدر الرئيسي للإنتاج، كما اعتنىٰ بالمزارعين، ورفع عنهم الضرائب والمظالم التي كانت تعوق إنتاجهم واتبع سياسة الإصلاح والإعمار وإحياء الأرض الموات، كما اهتم ببناء مشاريع البنية الأساسية للقطاع الزراعي فبنىٰ الطرق والقنوات[(٥)]، فمشاريع الطرق سهلت علىٰ المزارعين تسويق إنتاجهم، ومشاريع القنوات والآبار سهلت عليهم سقي محاصيلهم بكلفة أقل، كل هذه الإصلاحات الخراجية أثمرت في النهاية وأدت إلىٰ ارتفاع الخراج زمن عمر، فقد بلغ خراج

---

(١) الخراج (ص٢٣٢) للريس.
(٢) الخراج (ص٢٥٩) للريس، السياسة المالية والاقتصادية (ص٧٢).
(٣) معجم لغة الفقهاء (ص١٩٤).
(٤) الخراج للريس (ص٢٣٨).
(٥) السياسة المالية والاقتصادية لعمر (ص٧٤).

العراق في عهده مائة وأربعة وعشرين مليون درهم، وهذا المقدار أكبر مما جبىٰ في العهود السابقة، فقد بلغ خراج العراق زمن الحجاج أربعين مليون درهم، وفي عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مائة مليون درهم[(١)]. أما خراج خراسان زمن عمر بن عبد العزيز فقد كان فائضًا عن حاجات الدولة وبلغ الخراج زمن عمر أقصىٰ قدر ممكن أن يبلغه في الأحوال العادية[(٢)]. وهذا الارتفاع في مقدار الخراج يشير إلىٰ قوة الدولة المالية، لأن خراج العراق كان يشكل أكبر نصيب من إيراداتها[(٣)]، مما ساعد علىٰ تحقيق الأهداف الاقتصادية من دعم مشاريع البنية التحتية والمشاريع الإنتاجية والإنفاق علىٰ الطبقات الفقيرة والعاجزة، ذلك لأن إيراد الخراج يتسم بالمرونة من حيث مصارفه بعكس الزكاة فهي محددة المصارف[(٤)].

٤- العشور:

في الاصطلاح: ما يؤخذ علىٰ تجار أهل الحرب وأهل الذمة عندما يجتازون بها حدود الدولة الإسلامية[(٥)]، فتؤخذ العشور من تجارة الحربي العُشر ومن تجارة الذمي نصف العشر، ولا تؤخذ في السنة لنفس المال إلا مرة واحدة ونصابها عشرون دينارًا للذمي، وعشره للحربي[(٦)]، وقد اهتم عمر بن عبد العزيز بإيراد العشور فوضح مبادئها للعمال، وأمر بكتابة كتاب لدافعها لإعفائه منها للحول القادم، كما منع قبض العشور، والتي كانت تفرض علىٰ الناس بغير حق[(٧)]،

---

(١) الخراج للريس (ص٢٣٧، ٢٣٨)، السياسة المالية والاقتصادية لعمر (ص٧٥).
(٢) الخراج (ص٢٣٧، ٢٣٨) للريس.
(٣) السياسة المالية والاقتصادية لعمر بن عبد العزيز (ص٧٦).
(٤) المصدر نفسه (ص٧٦).
(٥) معجم الفقهاء (ص٣١٢).
(٦) المغني (١٠/ ٥٨٩)، السياسة المالية والاقتصادية (ص٧٦).
(٧) السياسة المالية والاقتصادية (ص٧٧).

وقد نشطت التجارة في عهده وتوافرت موارد جديدة للدولة واستطاع أن يوظفها للإنفاق العام وكانت الإجراءات التي اتخذها عمر لتنشيط الحركة التجارية كالآتي:

أ- إلغاء الضرائب الإضافية التي كانت مفروضة علىٰ القطاع الزراعي[(١)] وقد انعكس هذا إيجابًا علىٰ القطاع التجاري في صورة انخفاض ملحوظ في أسعار السلع الزراعية، فزاد في الطلب عليها، وأحدث رواجًا في تجارتها، وفي ظل اقتصاد قوامه الزراعة فإن زيادة عرض السلع الزراعية وانخفاض أثمانها علىٰ النحو الذي واكب السياسة الرشيدة لعمر بن عبد العزيز أحدث رواجًا لا في التجارة فحسب، ولكن في بقية قطاعات الاقتصاد الإسلامي[(٢)].

ب- إلغاء الضرائب علىٰ القطاع التجاري، والاقتصار علىٰ العشور[(٣)]، وكان لهذا تأثير ايجابي علىٰ قطاع التجارة، وقد أدىٰ إلىٰ تشجيع مزاولة التجارة، وزاد من أرباح التجارة فزاد معها حجم المبادلات التجارية[(٤)].

ج- إلغاء أسلوب العنف في تحصيل مستحقات الدولة المالية[(٥)] علىٰ التجار وغيرهم، وهذا أيضًا من عوامل تشجيع التجارة وتنميتها.

ح- عمل استراحات علىٰ طريق التجارات مع بلاد الشرق، ومطالبة الولاة علىٰ البلاد التي توجد بها هذه الاستراحات بأن يضيفوا من مر بهم من المسلمين المسافرين يومًا وليلة، وأن يتعاهدوا دوابهم علىٰ حساب الدولة ومضاعفة هذه المدة لمن يشكو منهم علة، وبالنسبة لمن مر بهذه الاستراحات وكان منقطعًا أو

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص١٤١).
(٢) التطور الاقتصادي في العصر الأموي (ص٢١٨).
(٣) التطور الاقتصادي في العصر الأموي (ص٢١٨).
(٤) المصدر نفسه (ص٢١٨).
(٥) المصدر نفسه (ص٢١٨).

سرقت تجارته أو تلفت لأي سبب، فكان يعطي من المال ما يكفيه للوصول إلىٰ بلده، ولا يخفىٰ ما كان بهذه التسهيلات والضمانات من عوامل تشجيع للتجار وللتبادل التجاري[١].

د- منع العطاء عن التجار، حتىٰ تكون التجارة مصدر رزقهم الوحيد فيهتموا بها أكثر وينشطوا فيها، لاسيما وأن التجارة كانت في ذلك الوقت متعبة من حيث السفر، والترحال، لعدم توفر وسائل المواصلات المريحة التي نشاهدها اليوم.

ذ- قضاء ديون كل من أدان في غير سفه ولا سرف[٢]، ويدخل ضمنهم التجار إن لم يكونوا جلهم، وقد أدىٰ هذا القرار إلىٰ إقالة عثرات التجار الذين أفلسوا ومكنهم من العودة إلىٰ مزاولة التجارة، وخاصة تلك الفئة من التجار الذين بدأوا تجارتهم عن طريق اقتراض رأس المال المطلوب.

ر- الحرص علىٰ ضبط ومعايرة وتوحيد المكاييل والموازين في كافة أنحاء الدولة، وجعل ذلك من مواد القانون الأساسي للدولة.

ز- منع الولاة والأمراء من الاشتغال بالتجارة، حتىٰ لا يكون في دخولهم السوق أفساد للمنافسة الشريفة بين التجار، أو تأثير علىٰ الأسعار لصالحهم، وهي محاولة من عمر بن عبد العزيز بالبعد بالأسواق عن أي مؤثرات غير طبيعية تؤثر في تلقائية تحديد السعر[٣].

ط- منع الاحتكار ومن ذلك أعادته دكاكين بحمص كانت في يد مجموعة من أهل السوق، وكان ابن الوليد بن عبد الملك قد استولىٰ عليها، وحولها إلىٰ ملكية خاصة له، فنزعها وأعادها إلىٰ أصحابها، وبهذا يعد بهذا الموقف

(١) التطور الاقتصادي في العصر الأموي (ص٢١٩).
(٢) الأموال لأبي عبيد (ص٢٣٤، ٢٣٥).
(٣) التطور الاقتصادي في العصر الأموي (ص٢١٩).

الاحتكاري وجود[(١)] هذه الإجراءات الإصلاحية ساهمت في ازدهار الحركة التجارية في عهد عمر بن عبد العزيز وبذلك زادت حصيلة إيرادات العشور وتوافرت موارد جديدة للدولة استطاع عمر أن ينفقها علىٰ الصالح العام.

٥- خمس الغنائم والفيء:

فالغنيمة في الاصطلاح: ما استولىٰ عليه من أموال الكفار المحاربين عنوة وقهرًا حين القتال[(٢)]، والفيء في الاصطلاح: كل مال وصل من المشركين من غير قتال ولا بإيجاف خيل ولا ركاب[(٣)]، فعندما تولىٰ عمر الخلافة توجه لإصلاح الأوضاع الداخلية للدولة لذلك لم تكثر الفتوحات في ومنه حيث استعاض عنها بالدعوة والقدوة الحسنة، فقد بعث بكتب للملوك والشعوب فدخل البربر في الإسلام بدون قتال[(٤)]، ولهذا لم تتحقق موارد كثيرة من خمس الغنائم زمن عمر، وما كان موجودًا في بيت المال منه كان مصدره الفتوحات السابقة[(٥)]. ومع ذلك فقد سعىٰ لإصلاح موازنة خمس الغنائم، فقد جعل للخمس بيت مال مستقل عن الأموال الأخرىٰ[(٦)]، وأمر بوضعه في مواضعه المذكورة في سورة الأنفال، وآثر به أهل الحاجة منهم حيث كانوا[(٧)]. وقد أمر بعشرة آلاف دينار من سهم ذوي القربىٰ فقسمها في بني هاشم وساوىٰ بين الذكر والأنثىٰ، والصغير والكبير، فكتبت إليه فاطمة بنت الحسين تشكر له ما صنع

---

(١) المصدر نفسه (ص٢٢٠).
(٢) الأموال لأبي عبيد (ص٣٢٣) رقم (٦٢٦).
(٣) الأحكام السلطانية للماوردي (ص١٩٩).
(٤) السياسة المالية والاقتصادية لعمر (ص٨١).
(٥) السابق نفسه.
(٦) السابق نفسه.
(٧) الطبقات (٥/ ٣٥٠)، سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٧٢)، السياسة المالية والاقتصادية لعمر (ص٨٢).

وتقول: يا أمير المؤمنين قد أخدمت من كان لا خادم له واكتسىٰ منهم من كان عاريًا، واستنفق من كان لا يجد ما يستنفق[(١)]، ولقد تمسك عمر في حق الخمس، فلما فتحت الأندلس قبل خلافة عمر لم يخمسوها، فأمر عامله عليها أن يبين العنوة من أرضها ويأخذ منها الخمس[(٢)].

وأما في تصرفه في الفيء، فقد كان متبعًا للقرآن والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين، فقد كتب كتابًا ذكر فيه عن الأموال والقرىٰ التي أفاء الله بها رسوله ﷺ مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب واستدل بآيات سورة الحشر التي نزلت في ذلك، وبين أن ما من أحد من المسلمين إلا له حق في الفيء، فقد ذكرت الآيات المهاجرين والأنصار ومن جاء بعدهم من المسلمين بعد الهجرة الأولىٰ حتىٰ تنقضي الدنيا[(٣)].

وهو بذلك كان موافقًا لاجتهاد عمر بن الخطاب في جعل الفيء موقوفًا علىٰ أجيال المسلمين[(٤)]. ونظر عمر في مصارف الخمس فوجدها موافقة لمصارف الفيء، فرأىٰ أن يضمه إليه كما فعل عمر بن الخطاب[(٥)]، ويصرف منها علىٰ جميع مصالح المسلمين، وكتب في ذلك كتابًا: .. وأما الخمس فإن من مضىٰ من الأئمة اختلفوا في موضعه.. ووضع مواضع شتىٰ فنظرنا فإذا هو علىٰ سهام الفيء في كتاب الله لم تخالف واحدة من الاثنتين الأخرىٰ، فإذا عمر بن الخطاب رحمه الله قد قضىٰ في الفيء قضاءً قد رضي به المسلمون، فرض للناس أعطية وأرزاقًا جارية لهم، ورأىٰ أن لن يبلغ بتلك الأبواب ما جمع من ذلك،

(١) الطبقات (٥/ ٣٩٠)، السياسة المالية والاقتصادية (ص٨٢).
(٢) تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم (١/ ٣٢٠).
(٣) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٩٧).
(٤) الخراج، أبو يوسف (ص٢٥)، السياسة المالية والاقتصادية (ص٨٢).
(٥) السياسة المالية والاقتصادية لعمر (ص٨٣).

ورأىٰ أن فيه لليتيم والمسكين، وابن السبيل، فرأىٰ أن يُلحق الخمس بالفيء وأن يوضع مواضعه التي سم الله وفرض... فاقتدوا بإمام عادل فإن الآيتين متفقتان آية الفيء وآية الخمس... فنرىٰ أن يُجمعا جميعًا فيُجعلا فيئًا للمسلمين ولا يستأثر عليهم(١).

لقد ساعدت إصلاحات عمر في إيرادات الخمس والفيء علىٰ تحقيق أهداف سياسته الاقتصادية، فتوزيعه للخمس علىٰ الأسهم المذكورة في القرآن مع إيثاره لذوي الحاجة أينما وجدوا ساعد علىٰ تحقيق إعادة توزيع الدخل والثروة، وشعر الناس بالعدل وزوال الظلم، بسبب هذه السياسة الرشيدة السديدة.

▪ سياسة الإنفاق العام لعمر بن عبد العزيز:

١- إنفاق عمر على الرعاية الاجتماعية:

لتحقيق هدف إعادة توزيع الدخل والثروة سعىٰ عمر إلىٰ زيادة الإنفاق علىٰ الفقراء والمحتاجين، وتأمين الرعاية الصحية والاجتماعية لهم وهذه مطالب شرعية جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية ولقد اهتم منذ الأيام الأولىٰ لخلافته بإتباع الشرع والتزام الحق والعدل، فأرسل إلىٰ العلماء يستفسر وقد كتب ابن شهاب الزهري لعمر كتابًا عن مواضع السنة في الزكاة ليعمل خلافته فذكر فيها: إن فيها نصيبًا للزمنىٰ والمقعدين «أصحاب العجز الأصلىٰ» ونصيبًا لكل مسكين به عامة لا يستطيع عَيْلة وتقليبًا في الأرض «أصحاب العجز الطارئ كالعامل الذي يصاب في عمله والمجاهد الذي يصاب في الحرب». ونصيبًا للمساكين الذين يسألون ويستطعمون الغنىٰ حتىٰ يأخذوا كفايتهم ولا يحتاجون بعدها إلىٰ سؤال).. ونصيبًا لمن في السجون من أهل الإسلام ممن ليس له أحد... ونصيبًا لمن يحضر المساجد الذين لا عطاء لهم ولا سهم «أي

(١) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٩٧)، الأموال رقم (٨٣٨).

ليست لهم رواتب ومعاشات منتظمة» ولا يسألون الناس... ونصيبًا لمن أصابه فقر وعليه دين ولم يكن شيء منه في معصية الله، ولا يُتهم في دينه.. ونصيبًا لكل مسافر ليس له مأوىٰ، ولا أهل يأوي إليهم، فيؤوىٰ ويُطعم وتُعلف دابته حتىٰ يجد منزلًا أو تقضىٰ حاجته[(١)].

أ- الإنفاق على الفقراء والمساكين:

فقد كان يفكر في الفقراء والمساكين، ويسعىٰ إلىٰ اغنائهم، فقد مرت معنا قصته مع زوجته فاطمة وسألته عن سر بكائه فقال لها: تقلّدت أمر أمة محمد ﷺ، فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العيال في أقطار الأرض فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ - فخشيت ألا تثبت حجتي عند خصومته، فرحمت نفسي فبكيت[(٢)]. هذه الحادثة تلخص سياسة عمر في الإنفاق علىٰ الفئات المحتاجة، والحادثة مليئة بالمعاني وتحتاج إلىٰ وقفات فقد شعر عمر بعظم المسئولية الملقاة علىٰ عاتقة قال رسول الله ﷺ: كلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته[(٣)]. وقد عمل عمر علىٰ سد احتياجات الناس، جاء رجل لعمر فقام بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين اشتدت بي الحاجة وانتهت بي الفاقة، والله سائلك عن مقامي غدًا بين يديه، وكان عمر قد اتكأ علىٰ قضيب، فبكىٰ حتىٰ جرت دموعه علىٰ القضيب، ثم فرض له ولعياله، ودفع له خمسمائة دينار حتىٰ يخرج عطاؤه[(٤)]، وكان رحمه الله يهتم بشأن الأرامل وبناتهن كما حدث مع المرأة العراقية التي مرّ ذكرها وقد قال

---

(١) السياسة المالية والاقتصادية لعمر بن عبد العزيز (ص٨٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٢)، سيرة ومناقب عمر لابن عبد الحكم (ص٢٤٨).
(٣) البخاري رقم (٨٩٣).
(٤) حلية الأولياء (٥/ ٢٨٩).

٥ : الساعي علىٰ الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقم الليل[(١)].

وقد خصصّ عمر دارًا لإطعام الفقراء والمساكين وأبناء السبيل[(٢)]، ولم يكتف عمر بالاعتناء بالفقراء فحسب، بل امتدت رعايته إلىٰ المرضىٰ وذوي العاهات والأيتام، فقد كتب كتابًا إلىٰ أمصار الشام: ادفعوا إليّ كل أعمىٰ في الديوان أو مقعد، أو من به فالج، أو من به زمانة، تحول بينه وبين القيام إلىٰ الصلاة، فرفعوا إليه، فأمر لكل أعمىٰ بقائد، وأمر لكل اثنين من الزمنىٰ بخادم.. ثم كتب ارفعوا إليّ كل يتيم، ومن لا أحد له... فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعون بينهم بالسوية[(٣)].

ب- الإنفاق على الغارمين:

من الفئات التي اهتم بها عمر الغارمون، فقد كتب ابن شهاب الزهري لعمر عن سهم الغارمين: لمن يصاب في سبيل الله في ماله.. ولمن أصابه فقر، وعليه دين لم يكن شيء منه في معصية الله، ولا يُتهم في دينه[(٤)]. ولذلك أمر عمر بقضاء الدين عن الغارمين، فكتبوا إليه، إنا نجد الرجل له المسكن، والخادم، وله الفرس والأثاث في بيته، فكتب عمر: لابد للرجل من المسلمين من سكن يأوي إليه رأسه، وخادم يكفيه مهنته وفرس يجاهد عليه عدوّه، وأثاث في بيته، فهو غارم فاقضوا عنه[(٥)]. وكتب إلىٰ والي الكوفة وقد اجتمعت عنده أموال فسأل عمر عنها فأجاب: كتبت تذكر أنه قد اجتمعت عندك أموال بعد أعطية الجند،

---

(١) البخاري رقم (٦٠٠٦).
(٢) الطبقات (٥/ ٣٧٨).
(٣) سيرة ومناقب عمر لابن الجوزي (ص٢٠٢).
(٤) الأموال، أبو عبيدة رقم (١٨٥٠)، السياسة المالية والاقتصادية لعمر بن عبد العزيز (ص٩٢).
(٥) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص١٧١)، السياسة المالية والاقتصادية (ص٩٢).

فأعط منهم من كان عليه دين في غير فساد، أو تزوّج فلم يقدر علىٰ نقد والسلام[١] وكتب كتابًا قُرء في مسجد الكوفة: من كانت عليه أمانة لا يقدر علىٰ أدائها فأعطوه من مال الله، ومن تزوج امرأة فلم يقدر أن يسوق إليها صداقها فأعطوه من مال الله[٢].

ج- الإنفاق على الأسرى:

قال تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ الإنسان:٨-١٠]. اهتم عمر بن عبد العزيز بالأسرىٰ وبالإنفاق عليهم من بيت مال المسلمين، فقد كتب كتابًا إلىٰ أسرىٰ المسلمين في القسطنطينية[٣] وقد تحدثت عن الكتاب في كلامي عن الحياة الاجتماعية واهتم بالسجناء في سجون المسلمين بسبب جرم أو قصاص، فقد أمر عمر برعايتهم والإنفاق عليهم وكتب عمر إلىٰ العمال: لا تدعُنَّ في سجونكم أحدًا من المسلمين في وثاق لا يستطيع أن يصلي قائمًا، ولا يبيتنّ في قيد إلا رجل مطلوب بدم، وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم في طعامهم وإدامهم[٤]. وأمر لأهل السجون برزق وكسوة في الصيف والشتاء[٥].

ح- الإنفاق على المسافرين وأبناء السبيل:

اهتم عمر بالمسافرين وأبناء السبيل، فأمر عماله ببناء بيوت الضيافة علىٰ الطرق لرعاية المسافرين والاهتمام بهم، وكتب إلىٰ أحد عمّاله: اعمل خانات في بلادك، فمن مرّ بك من المسلمين فأقروهم يومًا وليلة وتعهدوا دوابهم،

---

(١) المصدر نفسه لابن عبد الحكم (ص٦٧).
(٢) الطبقات (٥/ ٣٧٤).
(٣) السياسة المالية والاقتصادية لعمر بن عبد العزيز (ص٩٣).
(٤) الخراج، أبو يوسف (ص٣١٥).
(٥) الطبقات (٥/ ٣٥٦).

فمن كانت به علَّة فأقروه يومين وليلتين، فإن كان منقطعًا به فقوّوه بما يصل به إلىٰ بلده[(١)]، وأمر عمر بالاهتمام بالحجّاج، والإنفاق عليهم ورعاية ضعيفهم وإغناء فقيرهم[(٢)].

د- الإنفاق لفك الرقاب:

بعد أن أنفق عمر علىٰ الفقراء والمساكين، والعاجزين، والغارمين وأبناء السبيل وجه الأموال لفك رقاب المستعبدين، وقال عامل صدقات افريقية: بعثني عمر بن عبد العزيز علىٰ صدقات افريقية فاقتضيتها، وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرًا.. فاشتريت بها رقابًا وولاؤهم للمسلمين[(٣)]،وقد مرّ معنا إنفاق عمر علىٰ العلماء لكي يتفرغوا لدعوة الناس وتعليمهم، واتسعت رعايته الاجتماعية لتشمل جميع فئات الأمة حتىٰ الأطفال الصغار وحدّد لهم مبلغًا من المال ليستعين به ذووهم علىٰ تربيتهم، واهتم بمواطنيه من أهل الذمة، فكان ينفق علىٰ فقرائهم ومحتاجيهم من بيت المال[(٤)]، كما أنه لا بد من الإشارة إلىٰ أن سياسة عمر بن عبد العزيز الراشدة ساهمت في إغناء عدد كبير من المسلمين وزيادة ثرواتهم في المجال التجاري والزراعي وغيرها وساهمت في سريان روح التدين وحب الآخرة في نفوس الناس ورغبوا في الإكثار من فعل الخيرات ابتغاء مرضات الله تعالىٰ والرغبة فيما عند الله، فكثر الإنفاق في سبيل الله لمساعدة الفقراء والمساكين والأرامل وبناء المرافق العامة وحفر الآبار، وتشييد المساجد وغير ذلك، وهذا يخفف الأعباء المالية علىٰ بيت مال المسلمين في العاصمة وأقاليمها الواسعة.

---

(١) تاريخ الطبري نقلا عن السياسة المالية والاقتصادية (ص٩٤).
(٢) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٦٥).
(٣) السياسة المالية والاقتصادية (ص٩٤).
(٤) المصدر نفسه (ص٩٥، ٩٦).

٢- ترشيد الإنفاق في مصالح الدولة:

كانت سياسة عمر بن عبد العزيز في ميدان الإنفاق تقوم علىٰ أساس مبدأ الرشد الاقتصادي أو ما يعبر عنه بمبدأ القوامة في الإنفاق ومقتضاه البعد عن الإسراف والتبذير والبعد عن الشح والتقتير(١). ومن الخطوات التي اتخذها في مجال ترشيد الإنفاق في مصالح الدولة:

أ- قطع الامتيازات الخاصة بالخليفة وبأمراء الأمويين:

أعاد عمر القطائع والحقوق الخاصة إلىٰ أصحابها والحقوق العامة إلىٰ بيت المال، وبدأ بنفسه وبآل بيته - كما مرّ معنا - وكان عمر لا يأخذ من بيت المال شيئًا فقالوا له: لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب، قال: كان عمر لا مال له، وأنا مالي يغنيني(٢).

وعندما أُحضرت مراكب الخلافة لعمر بعد موت سليمان، طلب بغلته وأمر بوضع المراكب والفرش والزينة في بيت المال وكانت عادة الخلفاء قبله أن يأخذ ورثة الخليفة الميت ما استعمل من ثيابه وعطوره ويُردّ الباقي إلىٰ الخليفة الجديد، فلما استخلف عمر قال: ما هذا لي ولا لسليمان، ولا لكم ولكن يا مزاحم ضُمّ هذا كله إلىٰ بيت مال المسلمين(٣)، وكان عمر لا يستعمل الأموال العامة لحاجته الخاصة مطلقًا. فمرة بعث أمير الأردن بسلتي رطب إلىٰ عمر، وقد جيء علىٰ دواب البريد، فلما وصلت عمر أمر ببيعها وجعل ثمنها في علف دواب البريد(٤)، ومرة طلب من عامله أن يشتري له عسلًا فحمل له علىٰ دواب البريد، فأمر ببيع العسل وجعل ثمنه في بيت المال، وقال له: أفسدت علينا عسلك(٥).

---

(١) المصدر نفسه (ص٩٦).
(٢) العقد الفريد (٥/ ٢٢)، السياسة المالية والاقتصادية (ص٩٧).
(٣) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٣٥)، السياسة المالية (ص٩٧).
(٤) السياسة المالية والاقتصادية لعمر بن عبد العزيز (ص٩٨).
(٥) سيرة ومناقب عمر لابن الجوزي (ص٢١٠).

ب- ترشيد الإنفاق الإداري:

سعىٰ عمر علىٰ تعويد أعوانه وولاته علىٰ الاقتصاد في أموال المسلمين، فعندما طلب والي المدينة أن يصرف له شمع فأجابه عمر: لعمري لقد عهدتك يا ابن أم حزم وأنت تخرج من بيتك في الليلة الشاتية المظلمة بغير مصباح، ولعمري لأنت يومئذ خير منك اليوم، ولقد كان في فتائل أهلك ما يغنيك والسلام[1]. وكتب إليه أيضًا وقد طلب قراطيس للكتابة:... إذا جاءك كتابي هذا فأدق القلم واجمع الخطّ، واجمع الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة، فإنه لا حاجة للمسلمين في فضل قول أضرّ بيت مالهم[2]. يلاحظ حرص عمر علىٰ المال العام ويرشد ولاته للاستغلال الأمثل لموارد الدولة، فعمر يريد من العامل أن يستغل الأوراق في الرسائل إلىٰ أقصىٰ درجة.

ج- ترشيد الإنفاق الحربي:

خاضت الدولة الأموية حروبًا خارجية وداخلية فكلّفت ميزانية الدولة الشيء الكثير منها حملة القسطنطينية زمن سليمان بن عبد الملك، حيث كلفت الكثير من الأموال والشهداء دون جدوىٰ، فما كان من عمر بعد استخلافه إلا أن أرسل كتابًا يأمر فيه مسلمة بن عبد الملك قائدًا الحملة بالعودة بعد أن أصاب الجيش ضيق شديد وقد أدّت سيرة عمر وسياسته إلىٰ استقرار الأوضاع الداخلية وتوقفت الحروب والفتن، ولما بلغت سيرته الخوارج، اجتمعوا وقالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل[3]، ولقد ساهم إيقاف الحروب والفتن في إيجاد مناخ عام من الراحة والطمأنينة والاستقرار ساهم في النمو الاقتصادي للدولة وتحسن أوضاع الطبقات الفقيرة والمحتاجة بفضل الله ثم سياسة عمر الرشيدة.

---

(١) **الوالي**: هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٦٤).
(٢) سيرة ومناقب عمر لابن الجوزي (ص١٢١).
(٣) المصدر نفسه (ص٨٦) السياسة المالية والاقتصادية لعمر (ص١٠٠).

▪ المؤسسة القضائية في عهد عمر بن عبد العزيز وبعض اجتهاداته الفقهية:

أولاً: في الأقضية والشهادات:

١- في صفات القاضي:

كان عمر بن عبد العزيز يدقق في اختيار القضاة حتىٰ لا يُبتلىٰ الناس بقاض يتخبط فيهم بغير حق، ولهذا فقط اشترط عمر بن عبد العزيز في القاضي خمسة شروط ولا يجوز له أن يلي القضاء حتىٰ تكتمل فيه هذه الشروط وهي: العلم، والحلم، والعفة، والاستشارة، والقوة في الحق[(١)]. فعن مزاحم بن زفر قال: قدمت علىٰ عمر بن عبد العزيز في وفد أهل الكوفة فسألنا عن بلدنا وأميرنا وقاضينا، ثم قال: خمس إن أخطأ القاضي منهن خصلة كانت فيه وصمة، أن يكون فهيمًا، وأن يكون حليمًا وأن يكون عفيفًا وأن يكون صليبًا وأن يكون عالمًا يسأل عما لا يعلم[(٢)]، وفي رواية عن يحيىٰ بن سعيد عن عمر بن عبد العزيز قال: لا ينبغي للقاضي أن يكون قاضيًا حتىٰ تكون فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الرأي، لا يبالي ملامة الناس[(٣)]. وقد قال بهذا المعنىٰ عمر بن الخطاب[(٤)]، وعلي بن أبي طالب[(٥)] رضي الله عنهما، وذهب الأئمة الأربعة إلىٰ موافقة عمر بن عبد العزيز في كل أو جل هذه الصفات[(٦)].

---

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٢٨٥) د. محمد شقير.
(٢) الطبقات الكبرىٰ (٥/ ٣٦٩).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٣٦٩- ٣٧٠).
(٤) المصنف لعبد الرزاق (٨/ ٢٩٩) شذرات الذهب (١/ ١٢٠).
(٥) المغني (٩/ ٣)، فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٤٨٥).
(٦) حاشية ابن عابدين (٤/ ٣٠٥)، روضة الطالبين (١١/ ٩٥- ٩٧)، جواهر الإكليل (٢/ ٢٢١)، المغني (٩/ ٣٩- ٤٣، ٥٠).

٢- في حكم القاضي في ما استبان له ويرفع ما التبس عليه:

قد يكون هناك بعض القضايا المتشابكة والتي أمرها يحيّر القاضي فهل يحكم القاضي فيها وإن لم يظهر له الحق أم يتركها لمن هو أعلم منه؟ لقد قرر عمر بن عبد العزيز قرارًا هو درس في القضاء يجب أن يعمل به إلىٰ يوم القيامة، ذلك أنه يرىٰ أن القاضي إن تبين له الحق حكم به وإن لم يظهر له فلا يترك القضية وإنما يرفعها إلىٰ من هو فوقه لينظرها[(١)]، عن ميمون بن مهران أنه كتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز يشكو شدة الحكم والجباية - وكان قاضي الجزيرة وعلىٰ خراجها - قال: فكتب إليه عمر: إني لم أكلفك ما يُعنتك، أجب الطيب، واقضي بما استبان لك من الحق، فإذا التبس عليك أمر فارفعه إليّ، فلو أن الناس إذا ثقل عليهم أمر تركوه، ما قام دين ولا دنيا[(٢)]. وهذا الأثر يبين أن الله - سبحانه وتعالىٰ لم يجعل الناس في العلم ولا في الفهم سواء بل هم درجات في ذلك والذي يولي القضاء عليه أن يحكم بين الناس الذين ولي أمرهم وذلك فيهم ظهر له من الحق، فإذا شق عليه أمر من هذه القضايا فعليه أن يستشير أهل العلم في بلاده، فإن لم يجد عندهم معرفة لهذا الأمر رفعه إلىٰ من هو أعلم منه أو إلىٰ الأمر ليحوِّل هذه القضية إلىٰ غيره، أو ليحكم فيها إن كان من أهل العلم[(٣)]، وكان عمر بن عبد العزيز له مجالس علمية يستشير فيها العلماء والفقهاء وأصحاب الرأي في أمور الدين والدنيا، وكان يقتطع من أوقات راحته في الليل، الذي أدرك عمر كم هو حيوي للتوصل إلىٰ الحقائق وقد أعرب عن إدراكه العميق لما يأتي عن التقاء الأفكار من نتائج فكرية إيجابية، عندما سأله رجاء بن حيوة: يا أمير المؤمنين نهارك كله مشغول، وهذا جزء من الليل وأنت

---

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٤٨٧).
(٢) الخراج لأبي يوسف (ص٢٤٠، ٢٤١).
(٣) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٤٨٨).

تسمر معنا؟ فقال عمر: يا رجاء، إن ملاقاة الرجال تلقيح لألبابها، وإن المشورة والمناظرة باب رحمة ومفتاح بركة، لا يضل معهما رأىٰ ويقعد معهما حزم[(١)].
وجدت ملاقاة الرجال تلقيح لألبابها[(٢)].

٣- في الرفق بالحمقى والنهي عن العقوبة في الغضب:

كتب عمر بن عبد العزيز: من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلىٰ أمراء الأجناد. أما بعد..

فإذا حضرك الخصم الجاهل الخرق ممن قدر الله أن يوليك أمره، وأن تبتلي به فرأيت منه سوء رِعة، وسوء سيرة في الحق عليه، والحظ له، فسدده ما استطعت وبصره وأرفق به وعلمه، فإن اهتدىٰ وأبصر وعلم كانت نعمة من الله وفضلًا، وإن هو لم يبصر ولم يعلم كانت حجة اتخذت بها عليه، فإن رأيت أنه أتىٰ ذنبًا استحل فيه عقوبة فلا تعاقبه بغضب من نفسك ولكن عاقبه وأنت تتحرىٰ الحق علىٰ قدر ذنبه بالغًا ما بلغ وإن لم يبلغ ذلك إلا قدر جلدة واحدة تجلده إياها، وإن ذنبه فوق ذلك، ورأيت عليه من العقوبة قتلًا فما دونه فأرجعه إلىٰ السجن، ولا يسرعن بك إلىٰ عقوبته حضور من يحضرك[(٣)]، وكان عمر بن عبد العزيز إذا أراد أن يعاقب رجلًا حبسه ثلاثة أيام، ثم عاقبه كراهة أن يعجل في أول غضبه[(٤)].

إن العقوبة أثناء الغضب يحتمل أن يتجاوز القاضي فيها الحق تحت تأثير الغضب فيظلم المذنب، وخوفًا من التعدي في العقوبة فقد طلب عمر بن عبد العزيز من القاضي أن يحبس المذنب حتىٰ يذهب غضب القاضي، ثم يحكم

---

(١) ملامح الانقلاب الإسلامي (ص١٨٦)، عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص١٢٤).
(٢) ملامح الانقلاب الإسلامي (ص١٨٦).
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص٦٨، ٦٩).
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٢٣٦).

عليه وهو في هدوء علىٰ قدر ذنبه[(١)].

٤- خطأ الوالي في العفو خير من تعديه في العقوبة:

عن أبي عقبة أن عمر بن عبد العزيز قال: ادرؤوا الحدود ما استطعتم في كل شبهة، فإن الوالي إذا أخطأ في العفو خير من أن يتعدىٰ في العقوبة[(٢)].

٥- في ترك العمل بالظن:

ولىٰ عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي علىٰ جند قنسرين، والفرات بن مسلم علىٰ خراجها، فتباغيا.. ولم قدم قابل، وقدم الوليد ومع رؤوس أنباط قنسرين كتب عمر إلىٰ الفرات أن أقدم فقدم، وإنه لقاعد خلف سرير عمر إذ دخل الأنباط فقال لهم عمر: ماذا أعددتم لأميركم في نُزله لمسيره إليّ. قالوا: وهل قدم يا أمير المؤمنين، قال: ما علمتم به. قالوا: لا والله يا أمير المؤمنين، فأقبل عمر بوجهه علىٰ الوليد، فقال: يا وليد: إن رجلًا ملك قنسرين وأرضها خرج يسير في سلطانه وأرضه حتىٰ انتهىٰ إليَّ لا يعلم به أحد، ولا ينفر أحدًا ولا يروعه، لخليق أن يكون متواضعًا عفيفًا، قال الوليد: أجل والله يا أمير المؤمنين، إنه لعفيف وإني له لظالم، وأستغفر الله وأتوب إليه، فقال عمر: ما أحسن الاعتراف، وأبين فضله علىٰ الإصرار وردهما عمر علىٰ عملهما: فكتب إليه الوليد - وكان مرائيًا - خديعة لعمر وتزينا بما هو ليس عليه: إني قدرت نفقتي لشهر فوجدتها كذا وكذا درهمًا، ورزقي يزيد علىٰ ما أحتاج إليه، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يحط فضل ذلك، فقال عمر: أراد الوليد أن يتزين عندنا بما لأظنه عليه، ولو كنت عازلًا أحدًا علىٰ ظن لعزلته، ثم أمر بحط رزقه الذي سأله، ثم أمر بالكتاب إلىٰ يزيد بن عبد الملك وهو ولي عهده: إن الوليد بن هشام كتب إلي كتابًا ظني أنه تزين بما ليس هو عليه ولو أمضيت شيئًا علىٰ ظني

---

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٤٩٠).

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص١٢٣)، فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٤٩١).

ما عمل لي أبدًا، ولكني آخذ بالظاهر وعند الله علم الغيوب، فأنا أقسم عليك إن حدث بي حادث وأفضىٰ هذا الأمر إليك فسألتك أن ترد إليه رزقه وذكر أني نقضته فلا يظفر منك بهذا أبدًا فإنما خادع بالله والله خادعه، فلما مات عمر واستخلف يزيد كتب الوليد: إن عمر نقصني وظلمني، فغضب يزيد وبعث إليه فعزله، وأغرمه كل رزق جرىٰ عليه في ولاية عمر ويزيد كلها فلم يلِ له عملًا حتىٰ هلك[1].

٦- في الهدية لولاة الأمر:

ذهب عمر بن عبد العزيز إلىٰ اعتبار الهدية لولاة الأمر من خلفاء وولاة الأقاليم وقضاة وغيرهم رشوة وقد رفض الهدية مع شدة حاجته إليها وأمر الناس بعدم تقديم الهدايا لولاة الأمر كما أمر الولاة بأن لا يقبلوا شيئًا من الهدايا[2]، عن فرات بن مسلم قال: اشتهىٰ عمر بن عبد العزيز التفاح فبعث فلم يجد شيئًا يشترون له به، فركب وركبنا معه فمر بدير فتلقاه غلمان للديرانيين معهم أطباق فيها تفاح، فوقف علىٰ طبق منها فتناول تفاحة فشمها ثم أعادها إلىٰ الطبق، ثم قال: ادخلوا ديركم لا أعلمكم بعثتم إلىٰ أحد من أصحابي بشيء قال: فحركت بغلتي فلحقته فقلت: يا أمير المؤمنين، اشتهيت التفاح فلم يجدوه لك فأُهدي لك فرددته قال: لا حاجة لي فيه، فقلت: ألم يكن رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر يقبلون الهدية. قال: إنها لأولئك هدية وهي للعمال بعدهم رشوة[3].

٧- في نقض الأحكام إذا خالفت النصوص الشرعية:

كتب عمر بن عبد العزيز برد أحكام من أحكام الحجاج مخالفة لأحكام

---

(١) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص١٢٩- ١٣١).

(٢) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٤٩٥).

(٣) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٥/ ٣٧٧).

الناس. وقد وافق عمر بن عبد العزيز في رد الأحكام إذا خالفت كتاب الله أو سنة نبيه أو الإجماع، الشورىٰ وذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد أنه ينقضي الحكم إذا خالف الكتاب والسنة أو الإجماع[(١)].

٨- فيمن ضيع أمانته فعليه اليمين بعدم التفريط:

كتب وهب بن منبه إلىٰ عمر بن عبد العزيز: إني فقدت من بيت مال اليمن دنانير. فكتب إليه عمر: أما بعد فإني لست أتهم دينك ولأمانتك ولكن أتهم تضييعك وتفريطك، وإنما أنا حجيج المسلمين في مالهم، وإنما لأشحهم يمينك فاحلف لهم والسلام[(٢)].

٩- في أثر البينة الغائبة على تأخير القضاء:

كان عند عمر بن عبد العزيز نفر من قريش يختصمون إليه فقضىٰ بينهم فقال: المقضي عليه: أصلحك الله! إن لي بينة غائبة فقال عمر: إني لأؤخر القضاء بعد أن رأيت الحق لصاحبه، ولكن انطلق أنت فإن أتيتني بينة وحق هو أحق من حقهم فأنا أول من رد قضاءه علىٰ نفسه[(٣)].

١٠- نفقة البعير الضال:

عن الشعبي قال: أضل رجل بعيرًا فوجده عند رجل قد أنفق عليه، أعلفه وأسمنه، فاختصما إلىٰ عمر بن عبد العزيز، وهو يومئذ أمير علىٰ المدينة فقضىٰ لصاحب البعير ببعيره وقضىٰ عليه بالنفقة[(٤)].

---

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٤٩٩).

(٢) أي، لابد من حلف اليمين بأنه لم يفرط فإن حلف فلا ضمان عليه لأنه مؤتمن، سيرة عمر لابن الجوزي (ص١٠٤، ١٠٥).

(٣) الطبقات الكبرىٰ (٥/ ٣٨٦).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣١٢).

١١- في حرية اللقيط:

جاء كتاب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أهل مكة أن اللقيط حر[(١)].

١٢- شهادة الرجل لأخيه أو لأبيه:

إن عمر بن عبد العزيز كتب: أن أجز شهادة الرجل لأخيه إذا كان عدلًا[(٢)].

ثانيًا: في الدماء والقصاص:

١- تخيير الأوفياء في قتل العهد بين العفو والدية والقتل:

كتب عمر بن عبد العزيز في امرأة قتلت رجلًا: إن أحب الأولياء أن يعفو عفوًا، وإن أحبوا أن يقتلوا قتلوا، وإن أحبوا أن يأخذوا الدية أخذوها وأعطوا امرأته ميراثها من الدية[(٣)].

٢- في التأني حتى يبلغ ولي المقتول:

كتب عمر بن عبد العزيز في رجل قُتل وله ولد صغير، فكتب أن يتأنىٰ بالصغير حتىٰ يبلغ[(٤)].

٣- في عفو بعض الأولياء يسقط القود:

عن الزهري قال: وكتب به عمر بن عبد العزيز أيضًا: إذا عفا أحدهم فالدية[(٥)].

٤- في القتل بعد أخذ الدية:

قال عمر بن عبد العزيز: والاعتداء الذي ذكر الله أن الرجل يأخذ العقل، أو يقتص، أو يقضي السلطان فيما بين الجارح والمجروح أو يعدو بعضهم بعد أن

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٥٣١).
(٢) المصدر نفسه (٨/ ٣٤٢- ٣٤٣).
(٣) المحلىٰ (١٠/ ٣٦١)، فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ١١).
(٤) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١١).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٣١٨).

يستوعب حقه، فمن فعل ذلك فقد اعتدىٰ والحكم فيه إلىٰ السلطان بالذي يرىٰ فيه من العقوبة، ولو عفا عنه لم يكن لأحد من طلبة الحق أن يعفو عنه بعد اعتدائه إلا فإذن السلطان، وعلىٰ تلك المنزلة كل شيء من هذا النحو فإنه بلغنا أن هذا الأمر الذي أنزل الله فيه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] الآية، وما كان من جرح فوق الأدنىٰ ودون الأقصىٰ فهو يرىٰ فيه بحساب الدية(١).

٥- في القتيل يوجد في السوق:

كتب عدي بن أرطأة قاضي البصرة إلىٰ عمر بن عبد العزيز إني وجدت قتيلًا في سوق الجزارين قال: أما القتيل فديته من بيت المال(٢).

٦- في القتل في الزحام:

إذا قتل الإنسان بسبب ازدحام الناس ولم يعلم من قتله فهل يذهب دمه هدرًا؟ إن عمر بن عبد العزيز يرىٰ أن مات بهذا السبب فديته في بيت المال(٣). فعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب في رجلين ماتا في الزحام: أن يؤديا من بيت المال فإنما قتله يد أو رجل(٤)

ثالثًا: في الديـات:

١- مقدار الدية:

كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أمراء الأجناد أن الدية كانت علىٰ عهد رسول الله ﷺ مائة بعير(٥).

---

(١) المصدر نفسه (١٠/ ١٦، ١٧).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤٥٩).
(٣) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٣٦).
(٤) المحلىٰ (١٠/ ٤١٨).
(٥) مصنف ابن شيبة (٩/ ١٢٨).

٢- في دية اللسان:

عن سليمان بن موسىٰ قال: في كتاب عمر بن عبد العزيز في الأجناد: ما قطع في اللسان فبلغ أن يمنع الكلام كله ففيه الدية كاملة وما نقص دون ذلك فبحسابه[١].

٣- في دية الصوت والحنجرة:

حيث إن الصوت مصدره الحنجرة وأن إتلافها قد يذهب بالصوت ومن ثم فلا كلام فقد رأىٰ عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن فيها الدية كاملة إذا انقطع الصوت من ضربة[٢]، عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: في الحنجرة إذا كسرت فانقطع الصوت الدية كاملة[٣].

٤- في دية الذكر:

وأما الذكر فلأهميته للرجل ولأنه إذا ذهب انقطعت شهوته وذهب نسله فقد رأىٰ عمر بن عبد العزيز أنه إذا ذهب كله ففيه الدية كاملة، وما كان دون ذلك فبحاسبه، فعن عبد العزيز عن عمر بن عبد العزيز في الذكر الدية، فما كان دون ذلك فبحسابه[٤].

٥- في دية إفضاء المرأة:

إذا أصاب الرجل المرأة فأفضاها فقد ينتج عن ذلك منع اللذة والجماع، وقد نتج عنه عدم حبس الحاجتين والولد، ونظرًا لخطورة هذا الأمر فقد جعل فيه عمر بن عبد العزيز الدية كاملة وفي رواية عنه أنه جعل فيه ثلث الدية[٥]،

---

(١) المصنف لعبد الرزاق (٩/ ٣٥٧)، فقه عمر (٢/ ٦٦).
(٢) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٦٩).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ١٧٠)، فقه عمر (٢/ ٦٩).
(٤) مصنف عبد الرزاق (٩/ ٣٧٢).
(٥) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٧١).

ويمكن الجمع بين الروايتين بأن عمر بن عبد العزيز يجعل في إفضاء المرأة الدية كاملة إذا لم يحبس الحاجتين والولد، وثلث الدية إذا حبس الحاجتين والولد(١).

٦- في دية الأنف:

نظرًا للمصالح المترتبة علىٰ وجود الأنف من التنفس عن طريقه ومعرفة الروائح والتمييز بينها، إضافة إلىٰ جمال الوجه بوجود الأنف، والتشويه الحاصل بقطعه كما أن العرب ترىٰ في جدع الأنف إهانة لا يعدلها إهانة، لذلك فقد جعل عمر بن عبد العزيز فيه الدية كاملة إذا جدع من أصله، وأن ما كان دون ذلك فبحسابه(٢).

٧- في دية الأذن:

حيث إن الأذن تؤدي نصف منفعة السمع ولأنها مهما يكون في الإنسان منه اثنتان فإن عمر بن عبد العزيز يرىٰ إذا استؤصلت أو ذهبت منفعتها ففيها نصف الدية حيث إن قوله في الأذن نصف الدية يتناول ذهاب سمعها ويتناول استئصالها(٣).

٨- في دية الرجل:

لما كان الإنسان لا يستطيع المشي إلا بالرجلين وأنه بالرجل الواحدة يكون قعيدًا ولأن الرجل مما يكون في الإنسان منه اثنتان، فقد جعل عمر بن عبد العزيز في الرجل نصف الدية(٤).

٩- في دية ما بين الحاجبين:

هناك بعض الجزئيات في الديات لم يتعرض لها العلماء وقبل عمر بن عبد العزيز، وهاهو عمر بن عبد العزيز يرىٰ فيها رأيه، من هذه الأمور دية الكسر إذا

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٩/ ٣٧٧).
(٢) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٧٦).
(٣) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٨٠).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٢٠٩).

وقع بين الحاجبين وشان الوجه ولم ينقل منها العظام[(١)]، فقد قال:.. فإن كان بين الحاجبين كسر شان الوجه ولم ينقل منها العظام فربع الدية[(٢)].

١٠- في دية الجبهة إذا هشمت:

قال عمر بن عبد العزيز: في الجبهة إذا هشمت وفيها غوص من داخل مائة وخمسون دينارًا[(٣)].

١١- في دية الذقن:

وأما الذقن إذا كسرت فإن عمر بن عبد العزيز يرىٰ أن فيها ثلث الدية، فقد قال: في الذقن ثلث الدية[(٤)]. هكذا يقرر عمر بن عبد العزيز باجتهاده وبرأيه السديد أمورًا لم يسبق إليها منها دية الذقن إذا كسرت فإنه جعل فيها ثلث الدية نظرًا لأهميتها حيث يمتنع مع كسرها مضغ الطعام وفتح الفم. ويبدو أن هذا القول تفرد به[(٥)].

١٢- في دية الأصابع:

نظرًا لأهمية الأصابع وخاصة أصابع اليد، فقد رأىٰ عمر بن عبد العزيز أن في كل أصبع من أصابع اليد أو الرجل عشر الدية وفي كل قصبة من قصب الأصابع ثلث دية الأصبع إلا الإبهام لأنه قصبتان ففي كل قصبة منه نصف دية الأصبع، فعن عمر بن عبد العزيز: في كل أصبع عشر من الإبل أو عدل ذلك من ذهب أو ورق[(٦)].

---

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٨٨).
(٢) مصنف عبد الرزاق (٩/ ٣٢٠).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٩١).
(٤) مصنف عبد الرزاق (٩/ ٣٦١)، مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ١٧٩).
(٥) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٩٦).
(٦) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ١٠٠).

١٣- في دية الظفر:

حتىٰ الظفر لم يغفل عنه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقد جعل فيه إذا اسود أو سقط عشر دية الأصبع عشرة دنانير، فعن عمر بن عبد العزيز أنه اجتمع له في الظفر إذا نزع فعرّ[١]، أو سقط أو اسود، العشر في دية الأصبع، عشرة دنانير[٢].

رابعًا: في الحدود:

١- أهمية إقامة الحدود:

حيث إن إقامة الحدود سبب في حفظ دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم واستتباب الأمن في بلادهم، فقد أكد عمر بن عبد العزيز علىٰ إقامة الحدود حتىٰ جعلها من حيث الأهمية كإقامة الصلاة والزكاة[٣]، فقد كتب عمر بن عبد العزيز: إن إقامة الحدود عندي كإقامة الصلاة والزكاة[٤].

٢- في منع الرجوع عن الحدود بعد بلوغها الإمام:

ذهب عمر بن عبد العزيز إلىٰ مسائل الحدود إذا رفعت إلىٰ الإمام أو القاضي فإنها تكون قد بلغت حدًا لا يمكن الرجوع فيه بل يجب تنفيذ ما ثبت من الحدود[٥].

٣- في اجتماع أكثر من حد على رجل واحد:

قد يأتي الرجل بعدة جرائم قبل أن يقام عليه الحد مثل أن يزني ويسرق ويقتل، فهل قتل كاف عن الحدود الأخرىٰ فيأتي عليها؟ أم أنها تقام عليه الحدود ثم يقتل؟ إن الرواية عن عمر بن عبد العزيز تدل علىٰ أنه يقيم الحدود أولًا ثم يقتله[٦].

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ١٠٢).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٠٣).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ١١١).

(٤) الطبقات الكبرىٰ (٥/ ٣٧٨).

(٥) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ١١٣).

(٦) المصدر نفسه (٢/ ١١٧).

٤- في عدم القطع أو الصلب إلا بعد مراجعة الخليفة:

رأىٰ عمر بن عبد العزيز أن علىٰ الولاة مراجعة الخليفة في قضايا القتل والصلب، وأن يُقتل أحد ولا يُصلب إلا بعد موافقة الخليفة علىٰ ذلك(١).

٥- يشترط في المقذوف لحده أن يكون مسلمًا:

ذهب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أنه لا حد في قذف كافرًا، وذلك لأن الكفر أكبر من الزنا المقذوف به، فلا حاجة إلىٰ إثبات براءته من هذا الذنب ما دام فيه أكبر منه وهو الكفر(٢)، فعن طارق بن عبد الرحمن ومطرف بن طريف قالا: كنا عند الشعبي فرفع إليه رجلان، مسلم ونصراني، قذف كل واحد منهما صاحبه فضرب النصراني للمسلم ثمانين، وقال للنصراني: لما فيك أعظم من قذف هذا فتركه، فرفع ذلك إلىٰ عبد الحميد بن زيد، فكتب فيه إلىٰ عمر بن عبد العزيز فذكر ما صنع الشعبي، فكتب عمر يحسِّن ما صنع الشعبي(٣). هكذا يرىٰ عمر بن عبد العزيز أنه لا حد علىٰ قذف الكافر إذ ليس بعد الكفر ذنب، ولأن الكافر فيه الكفر وهو أكبر مما قذف به، إذ لو وجد فيه الزنا فهو أقل من الكفر، إذن فلا حد علىٰ من قذف الكافر(٤).

٦- عدم سقوط الحد بقذف الرجل ابنه:

إذ قذف الرجل ابنه، فهل يقام عليه الحد أم لا يقام؟ وهل من حق الأب علىٰ ابنه أن يقذف بما ليس فيه؟ وإذا كان عليه حد فهل يسقط عنه إذا عفا الابن؟ ذهب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أن من قذف ابنه يقام عليه الحد، إلا أنه إذا عفا الولد عن والده فلا يقام عليه حد(٥)، فعن ابن جريج قال: أخبرني رزيق -

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ١٢٠)، سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص١١٤- ١١٥).
(٢) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ١٣٠).
(٣) المصنف لعبد الرزاق (٦/ ٦٤- ٦٥) (٧/ ١٣٠- ١٣١).
(٤) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ١٣٠).
(٥) المصدر (٢/ ١٣٣).

صاحب أيلة - أنه كتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز في رجل افترىٰ علىٰ ابنه، فكتب بحد الأب إلا أن يعفوا عنه أبنه[١].

٧- عقوبة قذف النصرانية تحت المسلم:

إذا كانت النصرانية تحت مسلم، ونظرًا لأن قذفها يتعدىٰ لزوجها المسلم أو ابنها المسلم فإن عمر بن عبد العزيز يجلد من قذفها دون الحد[٢]. فعن أبي إسحاق الشيباني عن عمر بن عبد العزيز في رجل قذف نصرانية لها ولد مسلم، فجلده عمر بضعة وثلاثين سوطا[٣]. وقد وافق عمر بن عبد العزيز في رأيه هذا الزهري، وقال قتادة: يجلد الحد[٤]. وقد اتفق أصحاب المذاهب الأربعة علىٰ أنه لا يحد، وأما المالكية فقالوا: ينكل من أجل أولادها المسلمين[٥].

٨- قذف المرأة للرجل بنفسها:

عن عمر بن عبد العزيز أنه أتته امرأة فقالت: إن فلانًا استكرهني علىٰ نفسي، فقال: هل سمعك أحد أو رآك؟ قالت: لا، فجلدها بالرجل[٦]. هذه مسألة لا تتناول عقوبة الزنا، وإنما هي خاصة بالقذف، فالمرأة التي تدعىٰ علىٰ الرجل أنه استكرهها علىٰ الزنا، هي بكلامها هذا تعتبر قاذفة له بنفسها وعليه حد القذف إلا أن تأتي ببينة تدرأ عنها هذا الحد، فسماع صياح المرأة هو عند عمر بن عبد العزيز يعفيها من حد القذف أو أن يكون أحد رآها وقد وافق عمر بن عبد العزيز في جلدها إن لم يكن لها بينة وافقه الزهري وقتادة وربيعة ويحي بن سعيد الأنصاري[٧].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٥٠٤).
(٢) فقد عمر بن عبد العزيز (٢/ ١٣٦).
(٣) مصنف عبد الرزاق (٧/ ١٣٠).
(٤) المصدر نفسه (٧/ ١٢٩- ١٣٠).
(٥) المغني (٨/ ٢١٦)، فقه عمر (٢/ ١٣٧).
(٦) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ١٤٠).
(٧) المحلىٰ (١١/ ٢٩١- ٢٩٢).

٩- قطع السارق قبل خروجه بسرقته:

ذهب عمر بن عبد العزيز بأنه لا قطع علىٰ السارق حتىٰ يخرج بسرقته، فعن عمر بن عبد العزيز قال: لا يقطع حتىٰ يخرج بالمتاع من البيت(١).

١٠- النباش سارق يستحق القطع:

إن من الناس من يأتي أمورًا تشمئز منها النفوس، حتىٰ الميت في قبره لم يسلم من بعض المنحرفين، فهناك سارق يحفر القبر ويأخذ أكفان الميت، وهذا عمر بن عبد العزيز يرىٰ أن النباش سارق يستحق القطع، لأن من سرق من الأموات كما سرق من الأحياء(٢)، فعن معمر قال بلغني أن عمر بن عبد العزيز قطع نباشًا(٣).

١١- عقوبة شرب الخمر للمرّة الثانية:

عن عبادة بن نسي قال: شهدت عمر بن عبد العزيز يضرب رجلًا حدًا في خمر فخلع ثيابه ثم ضربه ثمانين رأيت منها ما بضع ومنها ما لم يبضع ثم قال: إنك إن عدت الثانية ضربتك ثم ألزمتك الحبس حتىٰ تُحدث خيرًا. قال يا أمير المؤمنين أتوب إلىٰ الله أن أعود في هذا أبدًا فتركه عمر(٤).

١٢- عقوبة ساقي الخمر:

إن من يوفر الخمر أو يقدمها لم يشربها ينبغي أن لا تقل عقوبته عن شاربها لأنه تسبب في إيصالها لمن يشربها، ولذلك فقد جلد عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ساقي الشراب مع الذين يشربون(٥)، فعن ابن التميمي أن عمر بن عبد العزيز

---

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ١٤٦).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٤٧).
(٣) مصنف بن أبي شيبة (١٠/ ٣٤).
(٤) الطبقات الكبرىٰ (٥/ ٣٦٥)، فقه عمر (٢/ ١٥٧).
(٥) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ١٥٩).

وجد قومًا علىٰ شراب، ووجد معهم ساقيًا، فضربه معهم[(١)].

١٣- إتلاف أواني الخمر مع الخمر:

عن هارون بن محمد عن أبيه قال: رأيت عمر بن عبد العزيز بخناصرة يأمر بزقاق الخمر أن تشقق وبالقوارير أن تكسر[(٢)].

١٤- إدخال الكفار الخمر إلى بلاد المسلمين:

إذا كان الكفار يعتقدون حل الخمر ويشربونها في بلادهم، فإذا جاؤوا إلىٰ بلاد المسلمين ومعهم الخمر فهل يسمح لهم بدخولها معهم؟ أو يسمح بتوفيرها لهم ليشربوها في بلاد المسلمين؟، إن الكفار في بلاد المسلمين أن يصبروا عن الخمر ما داموا يرغبون العيش في بلاد المسلمين، وإذا كان لكل دولة نظمها والداخل إليها يجب أن يراعيها، ولأن هذا نظام دولة الإسلام وهو أيضًا نظام رب العالمين فهو أحق بالرعاية والالتزام، ومن هذا المنطلق نجد عمر بن عبد العزيز يمنع أهل الذمة من إدخال الخمر معهم إلىٰ بلاد المسلمين فقد كتب عمر في خلافته: أن لا يدخل أهل الذمة بالخمر أمصار المسلمين فكانوا لا يدخلونها[(٣)].

١٥- في عقوبة الساحر:

عن همام عن يحي أن عامل عُمان كتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز في ساحرة أخذها، فكتب إليه عمر: إن اعترفت أو قامت عليها البينة فاقتلها[(٤)]. وهذا مذهب الأئمة الثلاثة أبي حنيفة ومالك وأحمد[(٥)]، وقد كتب عمر بن الخطاب

---

(١) المصنف لعبد الرزاق (٩/ ٢٣٠).
(٢) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٥/ ٣٦٥).
(٣) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ١٦٤).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٥).
(٥) حاشية ابن عابدين (١/ ٣١)، المغني (٨/ ١٥٣)، فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ١٧٦).

في خلافته إلىٰ الولاة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة[1].

١٦- استتابة المرتد:

المسلمون لا يكرهون أحدًا علىٰ الإسلام ولكنهم أيضًا لا يقبلون التلاعب بالدين، فمن دخل في دين الإسلام طائعًا مختارًا أو ولد في الإسلام ثم كفر بعد إيمانه فإن عمر بن عبد العزيز يرىٰ أن يستتاب ويدعىٰ إلىٰ الإسلام ثلاثة أيام فإن تاب ورجع إلىٰ الإسلام قبل منه فإن أبىٰ ضربت عنقه[2].

١٧- طريقة استتابة المرتد:

عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه قال: كنت عاملًا لعمر بن عبد العزيز فكتبت إليه أن رجلًا كان يهوديًا فأسلم ثم تهود فرجع عن الإسلام، فكتب إلىٰ عمر: أن ادعه إلىٰ الإسلام، فإن أسلم فخل سبيله وإن أبىٰ فادع بالخشبة فاضجعه عليها، ثم ادعه، فإن أبىٰ فأوثقه ثم ضع الحربة علىٰ قلبه ثم ادعه، فإن رجع فخل سبيله وإن أبىٰ فاقتله. قال: ففعل ذلك به حتىٰ وضع الحربة علىٰ قلبه، فأسلم فخلىٰ سبيله[3]. قال الدكتور محمد شقير: لم أر قولًا لغير عمر بن عبد العزيز بهذا التفصيل وذهب الأئمة الأربعة إلىٰ أن المرتد يقتل بعد استتابته إذا لم يرجع إلىٰ الإسلام[4].

١٨- عقوبة المرتدة:

رأىٰ عمر بن عبد العزيز أن تستتاب المرتدة، فإن تابت وإلا تسترق وتباع علىٰ غير أهل دينها[5]. وهذا رأي قتادة قال: تُسبىٰ وتباع، وكذلك فعل أبو بكر

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٦).
(٢) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٥/ ٣٥١)، مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٧١).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٢/ ٢٧٤).
(٤) روضة الطالبين (١٠/ ٧٥)، حاشية ابن عابدين (٣/ ٢٨٩).
(٥) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ١٨١).

بنساء أهل الردة[1]، وروي عن الحسن قال: لا تقتلوا النساء إذا هنّ ارتددن عن الإسلام ولكن يدعين إلىٰ الإسلام، فإن هن أبين سبين فيجعلن إماء المسلمين ولا يقتلن[2].

خامسًا: في التعزيرات:

١- في الحد الأقصى للضرب تعزيرًا:

العقوبة بالجلد تنقسم إلىٰ قسمين: حد وتعزير، فالحد قد نص الشارع الحكيم عليه، فمقداره محدد، لا مجال لأحد أن يزيد عليه أو ينقص منه، وأما الجلد تعزيرًا فهو عقوبة لإتيان أمر لا حد فيه، أو أي جناية لا حد فيها فهو متروك للحاكم ليحدد مقداره حسب ما يرىٰ، إلا أن عمر بن عبد العزيز جعل لذلك حدًا أقصىٰ لا تجوز الزيادة عليه علىٰ قولين[3]:

الأول: لا تجوز الزيادة علىٰ ثلاثين جلدة، فعن محمد بن قيس أن عمر بن عبد العزيز كتب إلىٰ عامله بمصر: لا تبلغ العقوبة أكثر من ثلاثين سوطًا إلا في حد من حدود الله[4].

وفي القول الثاني: لا يبلغ بالجلد تعزيرًا أقل الحدود فعلىٰ هذه الرواية لا يزاد للحر عن تسع وثلاثين جلدة ولا يزاد للعبد علىٰ تسع عشرة جلدة، لأن العشرين للعبد والأربعين للحر هي أقل الحدود[5] وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عماله: أن عاقبوا الناس علىٰ قدر ذنوبهم، وإن بلغ ذلك سوطًا واحدًا وإياكم أن تبلغوا بأحد حدًا من حدود الله[6].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٧٦).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ١٤٠).
(٣) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ١٨٨).
(٤) الطبقات الكبرىٰ لا بن سعد (٥/ ٣٦٥).
(٥) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ١٨٩).
(٦) سيرة عمر بن عبد العزيز لا بن الجوزي ص (١١٧).

٢- النهي عن أخذ الناس بالمظنة وضربهم على التهمة:

ذهب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عدم جواز الأخذ بالظن أو الضرب علىٰ التهمة فهو يقرر بهذا مبدأ العدالة وترجيح التحقيق العادل علىٰ التحقيق الحازم، وذلك خوفًا من أن يظلم برئ فقد فضل عمر بن عبد العزيز أن يلقوا الله بخيانتهم علىٰ أن يلقىٰ الله بدمائهم[١]، عن إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ الغساني قال حدثني أبي عن جدي، قال لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل، قدمتها فوجدتها من أكبر البلاد سرقًا ونقبًا[٢]، فكتبت إلىٰ عمر أعلمه حال البلد وأسأله أخذ الناس بالمظنة وأضربهم علىٰ التهمة أو أخذهم بالبينة وما جرت عليه عادة الناس، فكتب إلي أن أخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله، قال يحيىٰ ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتىٰ كانت من أصلح البلاد وأقله سرقًا ونقبًا[٣] وكتب عدي بن أرطاة إلىٰ عمر بن عبد العزيز... أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين فإن قبلي أناسًا من العمال قد اقتطعوا من مال الله ﷻ، مالًا عظيمًا لست أرجو استخراجه من أيديهم إلا أن أمسهم بشيء من العذاب، فإن رأىٰ أمير المؤمنين - أصلحه الله - أن يأذن لي في ذلك أفعل. قال: فأجابه أما بعد: فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب بشر كأني لك جنة من عذاب وكأن رضائي عنك ينجيك من سخط الله ﷻ، فانظر من قامت عليه بينة عدول فخذه بما قامت عليه البينة، ومن أقر لك بشئ فخذه بما أقر به، ومن أنكر فأستحلفه بالله العظيم، وخل سبيله، وأيم الله، لأن يلقوا الله ﷻ بخيانتهم أحب إلي من أن ألقىٰ الله بدمائهم[٤]. وهكذا يقرر

---

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٢١٢).

(٢) **النقب**: التعب في أي شئ كان.

(٣) حلية الأولياء (٥/ ٢٧١)، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص (١١٧-١١٨).

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحكم ص (٥٥).

عمر بن عبد العزيز الأخذ بالتحقيق العادل لا بالتحقيق الحازم.

وقد قال بعدم الأخذ بالمظنة والضرب علىٰ التهمة كل من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعطاء[(١)].

٣- النهي عن المثلة:

حلق الرأس جعله الله نسكًا وسنة - في الحج والعمرة - كما أن رسول الله ﷺ نهىٰ عن حلق اللحية ولكن بعض الناس خالفوا ذلك كله وجعلوا حلق الرأس واللحية عقوبة، وهذا عمر بن عبد العزيز ينهىٰ عن هذا العمل ويسميه المثلة[(٢)]. فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عامل له: إياك والمثلة جز الرأس واللحية[(٣)] ومذهب الأئمة، الأربعة أن لا يجوز التعزير بحلق اللحية وعند مالك وأبي حنيفة ولا يحلق الرأس[(٤)].

سادسًا: في أحكام السجناء:

١- تعجيل النظر في أمر المتهمين:

أمر عمر بن عبد العزيز بتعجيل النظر في أمور المتهمين، فمن كان عليه أدب فيؤدب ويطلق سراحه ومن لم يثبت عليه قضية يخلي سبيله، ويرىٰ أن إقامة الحدود سبب لقلة السجناء لأنه يكون زاجرًا لا هل الفسق والزعارة[(٥)]، فعن جعفر بن برقان قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز.... فلو أمرت بإقامة الحدود لقلَّ أهل الحبس، ولخاف أهل الفسق والدعارة، ولتناهوا عما هم عليه، إنما يكثر أهل الحبس لقلة النظر في أمورهم، إنما هو حبس وليس نظر، فمر

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٢١٧- ٢١٩)، فقه عمر (٢- ٢١٣).
(٢) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٢١٥).
(٣) الطبقات الكبرىٰ (٥/ ٣٨٠).
(٤) مغني المحتاج (٤/ ١٩٢)، جواهر الإكليل (٢/ ٢٢٥).
(٥) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٢٢٥).

ولاتك جميعًا بالنظر في أمر أهل الحبوس في كل الأيام، فمن كان عليه أدب وأطلق، ومن لم تكن له قضية خلي عنه(١).

٢- في الاهتمام بأمور المسجونين:

قام عمر بن عبد العزيز رحمه الله بالإصلاح علىٰ كل طريق، وحقق العدل علىٰ كل صعيد، فقد أهتم بأمر المسجونين اهتمامًا شديدًا، وأصدر تعليماته بتعهدهم بكل ما يحتاجونه من طعام وأدم وكسوة وغير ذلك(٢)، وعن جعفر بن برقان قال: كتب عمر بن عبد العزيز: ... وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم في طعامهم وأدمهم... فمر بالتقدير لهم ما يقوتهم في طعامهم وأدمهم، وصير ذلك دراهم تجري عليهم في كل شهر يدفع ذلك إليهم، فإنك إن أجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوام والجلاوزة(٣)، وول ذلك رجلًا من أهل الخير والصلاح، ويدفع ذلك إليهم شهرًا بشهر، يقعد ويدعو باسم رجل ويدفع ذلك إليه في يده... وكسوتهم في الشتاء قميص وكساء وفي الصيف قميص وإزار، وتزاد المرأة مقنعة... ومن مات منهم ولم يكن له ولي ولا قرابة يغسل ويكفن من بيت المال ويصلىٰ عليه ويدفن(٤). وكتب إلىٰ أمراء الأجناد: وأنظروا من في السجون ممن قام عليه الحق... ولاتعد في العقوبة، ويعاهد مريضهم ممن لا أحد له ولا مال... وأنظر من تجعل علىٰ حبسك ممن تثق به ومن لا يرتشي، فإن من إرتشىٰ صنع ما أمر به(٥).

٣- سجن خاص بالنساء:

يمضي عمر بن عبد العزيز قدمًا في تنظيم السجون والاهتمام بأمر المسجونين

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص (٣٠١)، فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٢٢٥).
(٢) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٢٢٦).
(٣) **الجلاوزة**: جمع جلاوز وهو الشرطي.
(٤) الخراج لأبي يوسف ص (٣٠٠-٣٠١).
(٥) الطبقات الكبرىٰ لا بن سعد (٥- ٣٥٦).

وتعاهدهم، فيأمر بأن يجعل للنساء حبس خاص بعيدًا عن الإختلاط بالرجال مما يؤكد علىٰ اختيار أهل الدين والأمانة، ليتولوا أمور السجناء[(١)]. فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أمراء الأجناد: وأنظروا من في السجون ممن قام عليه الحق فلا تحبسه حتىٰ تقيم عليه، ومن أشكل أمره إلي فيه، واستوثق من أهل الزعارات فإن الحبس لهم نكال، ولا تعد في العقوبة، ويعاهد مريضهم ممن لا أحد له ولا مال، وإذا حبست قومًا في دين فلا تجمع بينهم وبين أهل الزعارات في بيت واحد ولا حبس واحد وأجعل للنساء حبسًا علىٰ حدة، وانظر من تجعل علىٰ حبسك ممن تثق به ومن لا يرتشي فإن من ارتشىٰ صنع ما أمر به[(٢)] ومما سبق نلاحظ إهتمام عمر بن عبد العزيز بالسجناء وحرصه علىٰ إقامة العدل فيهم وإصلاح ما أفسده من قبله في التعامل معهم.

سابعًا: في أحكام الجهاد:

١- سن من يشرع له الاشتراك في القتال:

كان شباب الرعيل الأول من المسلمين يتاسبقون ويتنافسون علىٰ الاشتراك في القتال، وإذا لم يسمح لا حدهم بالاشتراك في القتال فإنه يتحسر ويحاول إقناع ولي الأمر بأنه لا يستطيع القتال وقد حدد عمر بن عبد العزيز سن من يسمح له بالقتال، والفرض له مع المقاتلة حدده بخمس عشرة سنة ومن كان دون ذلك فيكون فرضة في الذرية ولا يسمح له بالاشتراك في القتال[(٣)].

٢- كيفية بداية قتال غير المسلمين:

عن صفوان ابن عمرو قال: جاءنا كتاب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة إلىٰ عامله أن لا تقاتلن حصنًا من حصون الروم ولا جماعة من جماعتهم حتىٰ

---

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٢٢٨).

(٢) الطبقات الكبرىٰ (٥- ٣٥٦)، فقه عمر (٢/ ٢٢٨).

(٣) فقه عمر (٢/ ٤١٥) د. شقير.

تدعوهم إلىٰ الإسلام فإن قبلوا فاكفف عنهم وإن أبوا فالجزية، فإن أبوا فانبذ إليهم علىٰ سواء[(١)].

٣- في مدة الرباط:

الرباط في سبيل الله من أحب الأعمال إلىٰ الله تعالىٰ ويترتب عليه الأجر الوفير من الله ـ ، وقد ذهب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أن مدة الرباط أربعون يومًا، فقد قال: تمام الرابط أربعون يومًا[(٢)].

٤- في حكم تصرف المقاتل في ماله:

قال عمر بن عبد العزيز: إذا كان الرجل في الحرب علىٰ ظهر فرسه يقاتل فما صنع في ماله فهو جائز[(٣)].

٥- في بيع الخيل للعدو:

بيع السلاح ونقله أو الخيل أو ما يقوىٰ الأعداء ويشد من أزرهم ويقويهم علىٰ حرب المسلمين، جريمة في حق من يفعله وينبغي حجز هذه الأشياء وما في حكمها حتىٰ لا تصل إلىٰ العدو ومن هذا المنطلق منع عمر بن عبد العزيز حمل الخيل إلىٰ الهند باعتبارها بلد من بلدان المشركين في زمن عمر بن عبد العزيز، والعداوة لا تخفىٰ بين أهل الإسلام وأهل الشرك[(٤)].

٦- افتداء أسارى المسلمين ولو كثر الثمن:

أكد عمر بن عبد العزيز علىٰ وجوب فك أساري المسلمين في رسائله إلىٰ عماله بأن يغادروا مهما بلغ ذلك من المال، فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ

---

(١) الطبقات الكبرىٰ (٥/ ٣٥٥).
(٢) المصدر نفسه (٥/ ٣٥٥)، فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٤٢٤).
(٣) الطبقات الكبرىٰ لا بن سعد (٥/ ٣٥٢).
(٤) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٤٢٧).

بعض عماله أن فاد بأسارىٰ المسلمين وإن أحاط ذلك بجميع مالهم[(١)]، وعن ربيعة بن عطاء عن عمر بن عبد العزيز أنه أعطىٰ برجل من المسلمين عشرة من الروم وأخذ المسلم[(٢)]. وفي رواية أن فادوا بأساري المسلمين وإن أحاط ذلك بجميع مالهم[(٣)].

٧- افتداء الرجل والمرأة والعبد والذمي:

عن ربيعة بن عطاء قال: كتب عمر بن عبد العزيز معي وبعث بمال إلىٰ ساحل عدن أن أفتدي الرجل والمرأة والعبد والذمي[(٤)]. مما تقدم يظهر عدل عمر بن عبد العزيز جليا حيث أمر بإفتداء من يعيش علىٰ أرض المسلمين حتىٰ ولو كان عبدًا أو ذميا لأن الذمي له أن يحفظ ويدافع عنه ويفتد لو وقع في الأسر، وهذا أكبر دليل علىٰ وفاء المسلمين بذمتهم إلىٰ أبعد مما يتصوره أحد[(٥)].

٨- كراهة قتل الأسرى:

عن معمر قال: أخبرني رجل من أهل الشام ممن كان يحرس عمر بن عبد العزيز ما رأيت عمر بن عبد العزيز قتل أسيرًا قط، إلا واحدًا من الترك قال: جئ بأسرىٰ من الترك، قال: فأمر بهم أن يسترقوا، فقال رجل ممن جاء بهم يا أمير المؤمنين لو كنت رأيت هذا - لأحدهم - وهو يقتل في المسلمين لكثر بكاؤك عليهم: قال: فدونك: فأقتله، قال: فقام إليه فقتله[(٦)].

لقد كره عمر بن عبد العزيز قتل الأسرىٰ، ومنع ذلك إلا واحدًا قتل كثيرًا

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٣١١- ٣١٢).
(٢) الطبقات الكبرىٰ لا بي سعد (٥/ ٣٥٤).
(٣) سيرة عمر لابن الجوزي ص (١٢٠).
(٤) الطبقات الكبرىٰ (٥/ ٣٥٣).
(٥) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٤٣٦).
(٦) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٢٠٥- ٢٠٦).

من المسلمين، ولكنه أذن في أن يسترقون[١].

ثامنًا: في النكاح والطلاق:

١- زواج المرأة بغير ولي:

عن سفيان عن رجل من أهل الجزيرة عن عمر بن عبد العزيز أن رجلًا تزوج إمرأة ولها ولي هو أدنىٰ منه بدروب الروم، فرد عمر النكاح وقال: الولي وإلا فالسلطان[٢].

٢- تزويج الوليين للمرأة على رجلين:

عن ثابت بن قيس الغفاري قال: كتبت إلىٰ عمر بن عبد العزيز في جارية من جهينة زوجها وليها رجلًا من قيس، وزوجها آخر رجلًا من جهينة، فكتب عمر بن عبد العزيز أن أدخل عليها شهودا عدولًا وخيرها فأيهما اختارت فهو زوجها.

٣- زواج الرجل بالمرأة بعد الفجور بها:

إذا زنىٰ رجل بامرأة ثم بدا له أن يتزوجها فهل يحل له ذلك؟ ذهب عمر بن عبد العزيز إلىٰ جواز ذلك إذا رأىٰ منها خيرًا، وهذا رأي رشيد لأنه يسد كثيرًا من أبواب الشر لأنه لا فرق بين من فجر بها ومن لم يفجر بها، فلو قلنا لا يجوز ذلك فغير هذا الرجل أولىٰ بأن لا يقبلها، وفي هذا شرور ومفاسد عظيمة[٣]، عن يحيىٰ بن سعيد قال: بلغني أن عمر بن عبد العزيز سئل عن امرأة أصابت خطيئة، ثم رأىٰ منها خيرًا، أينكحها الرجل؟ فقال له: الظن كما بلغني، أي إنها له[٤].

---

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (٢/ ٤٣٨).
(٢) مصنف أبن أبي شيبة (٤/ ١٣٢)، فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤٠٥).
(٣) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤١٢).
(٤) مصنف إبن أبي شيبة (٤/ ٢٥٠)، فقه عمر (١/ ٤١٢).

٤- نكاح امرأة الأسير:

عن عمر بن عبد العزيز قال: لا تنكح امرأة الأسير أبدًا مادام أسيرًا[(١)]. فالأسير المسلم إنما وقع في الأسر نتيجة لا قدامه وبلائه في قتال الإعداء رفعًا لراية الإسلام، أو دفاعًا عن بلاد المسلمين وتقديرًا لهذا الموقف النبيل حيث ضحىٰ بنفسه في سبيل دينه، فإن علىٰ أمرأته أن تقدر له ذلك وأن تصبر حتىٰ يفك الله أسره ثم يعود إليها خاصة وأن بقاءه في الأسر وغيبته هذه ليست من اختياره، كما أن إطلاق سراحه محتمل في كل وقت ولذلك كله كان من العدل والإنصاف أن لا تتزوج امرأة الأسير مادام أسيرًا[(٢)].

٥- نكاح امرأة المفقود:

إذا فقد الرجل وانقطعت أخباره، فلا يدرىٰ أحي هو أم ميت فهل تبقىٰ زوجته تنتظره؟ وما مدة الانتظار؟ ذهب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أن امرأة المفقود تعتد أربع سنين وبعدها تتزوج، وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عدي بن أرطأة: أن امرأة المفقود تعتد أربع سنين[(٣)]، والظاهر أن عمر بن عبد العزيز يرىٰ جواز زواج امرأة المفقود بعد مضي السنين الأربع، والعدة بعدها أربعة أشهر وعشرًا[(٤)].

٦- صداق المطلقة قبل الدخول بها في مرض زوجها:

ذهب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أن لها نصف المهر، فلا تأثير لتطليق زوجها في حال المرض[(٥)]، فعن عمر بن عبد العزيز قال: لها نصف الصداق ولا ميراث لها ولا عدة عليها[(٦)].

---

(١) الطبقات الكبرىٰ لا بن سعد (٥/ ٣٥١).
(٢) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤١٧).
(٣) المحلي (١٠/ ١٣٨).
(٤) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤١٨).
(٥) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤٢٣).
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٣٣١- ٣٣٢).

٧- اشتراط الرجل لنفسه شيئًا عند زواج ابنته:

ذهب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أن المهر للمرأة وإن اشترط والدها شيئًا لنفسه فهو للمرأة دون الأب[(١)]، وعن الأوزاعي أن رجلًا زوج ابنته علىٰ ألف دينار وشرط لنفسه ألف دينار فقضىٰ عمر بن عبد العزيز للمرأة بألفين دينار دون الأب[(٢)].

٨- في اللعب بالطلاق جد:

يرىٰ عمر بن عبد العزيز، أن الرجل يحاسب علىٰ الطلاق سواء كان جادًا أوهازلًا، فعن سليمان بن حبيب المحاربي قال: كتب إليّ عمر بن عبد العزيز: مهما أقلت السفهاء عن شئ فلا تقيلوهم الطلاق والعتاق[(٣)].

٩- في طلاق المكره:

قد يحصل للإنسان بعض مواقف يكره فيها علىٰ الطلاق كأن يستحلف بالطلاق علىٰ أن يفعل كذا أو يترك كذا، وقد يكره ويهدد إذا لم يطلق امرأته، فهل هذا النوع من الطلاق علىٰ الصفة يقع؟ ذهب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أن طلاق المكره لا يقع[(٤)]، عن عمر بن عبد العزيز قال: لا طلاق ولا عتاق علىٰ مكره[(٥)].

١٠- في تطليق الرجل نصف تطليقة:

قيل لعمر بن عبد العزيز: الرجل يطلق امرأته نصف تطليقة قال: هو تطليقة[(٦)].

---

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤٢٥).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٢٠١).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ١٠٦).
(٤) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤٣٤).
(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٤٩).
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٥٣)، فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤٤١).

١١- تطليق المرأة نفسها إذا جعل أمرها بيدها:

ذهب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أن الطلاق يقع وأن هذا الطلاق وإن كان ثلاثًا يعتبر واحدة، وهو أحق بها إن أراد مراجعتها، فقد كتب عمر بن عبد العزيز في رجل من بني تميم جعل أمر إمارته بيدها، قال: إن ردت الأمر عليه فلا شيء وإن طلقت نفسها فهي واحدة وهو أحق بها[١].

١٢- إسلام المرأة تحت الكافر:

إذا أسلمت المرأة تحت الرجل الكافر فإنها تخرج منه، ويفرق بينهما، فعن معمر بن سليمان عن أبيه أن الحسن وعمر بن عبد العزيز قالا في النصرانية تسلم تحت زوجها، قالا: الإسلام أخرجها منه[٢]. فمتىٰ أسلمت المرأة وبقىٰ الرجل علىٰ الكفر فلابد من التفريق بينهما، حتىٰ لا تكون للكافر ولاية علىٰ مسلمة، لأن هذا غير مقبول في شرع الله، فعن عمر بن عبد العزيز يرىٰ أنه إذا أسلمت المرأة تحت الرجل الكافر فإنها تخرج منه ويفرق بينهما[٣]، وهذا التفريق لا يأتي إلا بعد عرض الإسلام عليه فإن أسلم فهي أمرأته وإن أبىٰ فإن عمر بن عبد العزيز يرىٰ أن ذلك تطليقه بائنة[٤]. وأما إذا أسلم ولازالت امرأته في العدة فهو أحق بها[٥].

١٣- مدة انتظار الغائب:

ذهب عمر بن عبد العزيز إلىٰ أن هناك حدًا أقصىٰ لمدة الغيبة وهو سنتان، وبعدها إما أن يقفل الغائب إلىٰ زوجته، وإما أن يطلقها، فقد كتب: من غاب عن

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٥٧).
(٢) المصدر (٥/ ٩٠)، فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤٥٠).
(٣) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤٥٠).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٤٥١).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٤٥٢).

إمرأته سنتين فليطلق أو ليقفل إليها[١].

▪ الفقه الإداري عند عمر بن عبد العزيز وأيامه الأخيرة ووفاته ؟ :

أولاً: أشهر ولاة عمر بن عبد العزيز:

اختار عمر لسياسة الرعية وأعمال الحق بين الناس الولاة الثقات الخيرين الأبرار ممن اشتهروا بالأمانة والعلم والقوة والتواضع وعفة النفس، والعدالة، وحسن الخلق والرحمة والقدوة الحسنة ومشاورة الآخرين والنصح وعدم الأنانية والكفاءة والذكاء والحكمة وقد قال ابن كثير في ولاة عمر بن عبد العزيز: وقد صرح كثير من الأئمة بأن كل من أستعمله عمر بن عبد العزيز ثقة[٢] ومن هؤلاء:

١- الحجاج بن عبد الله الحكمي (ولي خراسان وسجستان):

قال عنه الذهبي: مقدم الجيوش، فارس الكتائب، أبو عقبة الجراح بن عبد الله الحكمي ولي البصرة من جهة الحجاج، ثم ولي خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز وكان بطلًا شجاعًا مهيبًا، عابدًا، قارئًا، كبير القدر[٣]. قال الجراح الحكمي: تركت الذنوب حياءً أربعين سنة، ثم أدركني الورع. كان علىٰ خراسان كلها حربها وصلاتها ومالها. قتل عام ١١٢هـ في خلافة هشام، فعن سليم بن عامر: دخلت علىٰ الجراح فرفع يديه، فرفع الأمراء أيديهم، فمكث طويلًا، ثم قال لي: يا أبا يحيىٰ، هل تدري ما كنا فيه؟ قلت: لا، وجدتكم في رغبة فرفعت يدي معكم، قال: سألنا الله الشهادة، فو الله ما بقىٰ منهم أحد في تلك الغزاة حتىٰ أستشهد[٤]. قال خليفة: زحف الجراح من برذعة (٦) سنة اثنتي عشر إلىٰ ابن خاقا، فاقتتلوا قتالًا شديدًا فقتل الجراح في رمضان وغلبت الخرز علىٰ أذربيجان

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٤٥٥).

(٢) البداية والنهاية نقلًا عن عمر بن عبد العزيز عبد الستار (ص٢٧٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٨٩).

(٤) المصدر نفسه (٥/ ١٩٠).

وبلغوا إلىٰ قريب الموصل، وكان البلاء بمقتل الجراح علىٰ المسلمين عظيمًا، بكوا عليه في كل جند[(١)].

٢- عدي بن أرطاة الفزاري (والي البصرة):

كان أمير البصرة لعمر بن عبد العزيز، حدث عن عمرو بن عبسة وأبي أمامة، قال عباد بن منصور: خطبنا عدي علىٰ منبر المدائن حتىٰ بكىٰ وأبكانا، وكان عمر بن عبد العزيز يتفقده بالنصائح والمواعظ، قال معمر: كتب عمر إلىٰ عدي بن أرطاة: إنك غررتني بعمامتك السوداء، ومجالستك القراء، وقد أظهرنا الله علىٰ كثير مما تكتمون أما تمشون بين القبور؟ قدم عدي علىٰ البصرة، فقيد يزيد بن المهلب، ونفذه إلىٰ عمر بن عبد العزيز فلما مات عمر، انفلت، ودعا إلىٰ نفسه وتسمىٰ بالقحطاني، ونصب رايات سودًا، وقال: أدعو إلىٰ سيرة عمر بن الخطاب، فحاربه مسلمة بن عبد الملك، وقتله، ثم وثب ولده معاوية فقتل عديا، وجماعة صبرًا، سنة اثنتين ومائة[(٢)].

٣- عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب (والي الكوفة):

الإمام الثقة الأمير العادل أبو عمر العدوي الخطابي المدني ولي إمرة الكوفة لعمر بن عبد العزيز، كان قليل الرواية، كبير القدر توفي سنة ١١٥هـ[(٣)].

٤- عمر بن هبيرة (والي الجزيرة):

كان من الدهاة الشجعان، وكان رجل أهل الشام ولاه عمر الجزيرة (١٠٠هـ) فتوجه إليها وغزا الروم من ناحية أرمينية، فهزمهم وأسر منهم خلقًا كثيرًا، واستمر علىٰ الجزيرة إلىٰ خلافة يزيد بن عبد الملك فولاه إمارة العراق

---

(١) المصدر نفسه (٥/ ١٩٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٣).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ١٤٩).

وخراسان، ثم عزله هشام بخالد القسري فقيده وألبسه عباءة وسجنه، فتحيل غلمانه ونقبوا سربا وأخرجوه منه فهرب واستجار بالأمير مسلمة بن عبد الملك، فأجاره ثم لم يلبث أن مات سنة سبع ومائة تقريبًا(١).

٥- أبوبكر محمد بن عمرو بن حزم (والي المدينة):

وهو أحد الأئمة الأثبات الثقات أمير المدينة ثم قاضي المدينة، قيل كان أعلم أهل زمانه بالقضاء، روي عن أبيه وعباد بن تميم وعن سلمان الأغر وخالته عمرة بنت عبد الرحمن وطائفة وعداده في صغار التابعين(٢)، روىٰ عطاف بن خالد عن أمه عن زوجة ابن حزم: أنه ما اضطجع علىٰ فراشه منذ أربعين سنة، وقيل كان رزقه في الشهر ثلاثة مائة دينار(٣).

٦- عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد الأموي (والي مكة):

أقر عمر علىٰ مكة عبد العزيز بن عبد الله الأموي والي سليمان بن عبد الملك، وثقة النسائي وابن حبان توفي في خلافة هشام بن عبد الملك(٤).

٧- رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمي (والي مصر):

ذكر ابن تغري بردىٰ خبراً انفرد به وهو: أن عمر بن عبد العزيز أقر علىٰ مصر عبد الملك بن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمي المصري الذي كان حسن السيرة عفيفًا عن الأموال ثقة فاضلًا عادلًا بين الرعية روىٰ عنه الليث بن سعد وغيره، ثم عزله في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين دون أن يذكر سبب عزله وولي مكانه أيوب بن شرحبيل بن أكسوم بن أبرهة بن الصباح(٥).

---

(١) المصدر نفسه (٤/ ٥٦٢).
(٢) المصدر نفسه (٥/ ٣١٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٤).
(٤) تاريخ خليفة (ص٣٢٣)، عمر وسياسته في رد المظالم (ص٢٧٣).
(٥) عمر وسياسته في رد المظالم (ص٢٨٩).

٨- إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي (والي المغرب):

كان صالحًا فاضلًا زاهدًا قدم أفريقية سنة (٩٩هـ) ويقال سنة (١٠٠هـ) كان حسن السيرة، سار فيهم بالحق فأسلم علىٰ يديه عامة البربر وكان حريصًا علىٰ إسلامهم وكان عمر يرسل إليه بالرسائل لدعوة أهل الذمة للدخول في الإسلام، فيقرأها عليهم توفي إسماعيل بن عبيد الله سنة (١٣٢هـ)[١].

٩- السمح بن مالك (بالأندلس):

الأمير الشهير، إستعمله عمر علىٰ الأندلس وأمره أن يميز أرضها ويخرج منها ماكان فتحه عنوة فيا خذ منه الخمس وأن يكتب إليه بصفة الأندلس، فقدمها سنة (١٠٠هـ) وفعل ما أمره به عمر، واستشهد غازيا بأرض الفرنجة[٢].

ثانيًا: حرص عمر بن عبد العزيز على انتقاء عماله من أهل الخير والصلاح:

إن عمال الخليفة وأمراء البلدان بخاصة هم نواب الخليفة في أقاليمهم، والواسطة بينه ورعيته ومهما كان الخليفة علىٰ درجة من الدراية في تصريف أمور السياسة إلا أنه لا يستطيع تحقيق النجاح إلا إذا أختار عماله بعناية تامة، لذا عني عمر بن عبد العزيز رحمه الله عناية فائقة باختياره عماله وولاته، وحين نتبع أخباره في هذا الصدد نجد أن له شروطًا لا بد من تحققها فيمن يختار العمل عنده، ومن أهم هذه الشروط: التقوىٰ، الأمانة، وحسن التدين، فلما عزل خالد بن الريا ن الذي كان رئيسا للحرس في عهد الوليد بن سليمان - نظر عمر في وجوه الحرس فدعا عمرو بن المهاجر الأنصاري فقال: والله إنك لتعلم يا عمرو أنه ما بيني وبينك قرابة إلا الإسلام، ولكني سمعتك تكثر تلاوة القرآن، ورأيتك

---

(١) المصدر نفسه (ص٢٩٣).

(٢) عمر بن عبد العزيز، عبد الستار (ص٢٧١).

تصلي في موضع تظن انه لا يراك أحد فرأيتك تحسن الصلاة، خذ هذا السيف قد وليتك حرسي(١)، وكان يكتب إلىٰ عماله: إياكم أن تستعملوا علىٰ شئ من أعمالنا إلا أهل القرآن، فإنه لم يكن عند أهل القرآن خير فغيرهم أحرىٰ بأن لا يكون عندهم خير(٢). وإذا شك في أمر من ينوي توليته لم يقدم علىٰ توليته حتىٰ يتبين له حاله، فحين ولىٰ الخلافة وفد عليه بلال بن أبي بردة فهنأه وقال: من كانت الخلافة - يا أمير المؤمنين - شرفته فقد شرفتها، ومن كانت زانته فقد زنتها واستشهد بأبيات من الشعر في مدح عمر فجزاه عمر خيرًا، ولزم بلال المسجد يصلي، ويقرأ ليله ونهاره، فهم عمر أن يوليه العراق، ثم قال: هذا رجل له فضل، فدس إليه ثقة له فقال له: إن عملت لك في ولاية العراق ما تعطيني؟ فضمن له مالًا جليلًا، فأخبر بذلك عمر، فنفاه وأخرجه(٣)،وكان يكره أن يولي أحدًا ممن غمس نفسه في الظلم أو عمل مع الظلمة لاسيما الحجاج(٤)، وإذا كان من قبل عمر يجعل للعصبية والقرابة من البيت الأموي وزنا في تولية العمل، فإنه لم يكن شئ من ذلك في ميزان عمر فحدث الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز جلس في بيته وعنده أشراف بني أمية، فقال:

أتحبون أن أولي كل رجل منكم جندًا من هذه الأجناد؟ فقال رجل منهم: تعرض علينا مالا تفعله؟ قال: ترون بساطي هذا؟ إني لا علم أنه يصير إلىٰ بلىٰ، وإني أكره أن تدنسوا علي بأرجلكم، فكيف أوليكم ديني؟ وأوليكم أعراض المسلمين وأبشارهم تحكمون فيهم؟ هيهات هيهات(٥). وقد كان لهذا النهج

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٣١).
(٢) المصدر نفسه (ص٨)، سراج الملوك للطرطوشي (ص٢٥٥).
(٣) تاريخ دمشق نقلًا عن أثر العلماء في الحياة السياسية (ص١٨٢).
(٤) أثر العلماء في الحياة السياسية (ص١٨٢).
(٥) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٢).

الذي تميزت به سياسة عمر بن عبد العزيز في اختيار الولاة والعمال أثر في الاستقرار السياسي في الأقاليم، حيث رضي الناس سير عماله وحمدوا فعالهم، إذ لم يكن في عماله من هو علىٰ شاكلة الحجاج يتعامل مع الناس بالشدة و يأخذهم بالتهمة، كما لم يكن منهم صاحب عصبية يرفع أناسًا ويضع أخرين فيجدوا عليه في أنفسهم[(١)].

ثالثًا: الإشراف المباشر على إدارة شئون الدولة:

أشرف عمر بن عبد العزيز بنفسه علىٰ ما يتم في دولته من أعمال صغرت أو كبرت، وكان يتابع عماله في أقاليمهم وساعده علىٰ ذلك أجهزت الدولة التي طورها عبد الملك بن مروان، كالبريد، وجهاز الاستخبارات الكبير الممتد في أطراف الدولة والذي كان الخلفاء يستخدمونه في جمع المعلومات، وعلىٰ الرغم من عناية عمر بن عبد العزيز في اختيار الولاة، إلا أن هذا لم يمنعه من العمل علىٰ متابعة أمر الرعية وتصريف شئون الدولة وقد اشتهر عنه الدأب والجد في العمل حتىٰ أصبح شعاره لا تؤجل عمل اليوم إلىٰ الغد، فقد قيل له: يا أمير المؤمنين لو ركبت فتروحت، قال: فمن يجزي عني عمل ذلك اليوم؟ قيل: تجزيه من الغد قال: فدحني عمل يوم واحد، فكيف إذ اجتمع علي عمل يومين[(٢)]. وقال ميمون بن مهران: كنت ليلة في سمر عمر بن عبد العزيز فقلت: يا أمير المؤمنين ما بقاؤك علىٰ ما أرىٰ؟ أنت بالنهار في حوائج الناس وأمورهم وأنت معنا الآن ثم الله أعلم ما تخلو عليه[(٣)]، فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ يمضي الكثير من وقته لرسم سياسته الإصلاحية التي شملت مختلف الحياة، السياسية والاقتصادية والإدارية، وغيرها.. حتىٰ خلف رَحِمَهُ اللَّهُ كمًا هائلًا من تلك السياسات

---

(١) أثر العلماء في الحياة السياسية (ص١٨٣).

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص٥٥) لابن عبد الحكم.

(٣) الطبقات (٥/ ٣٧١).

التي تمثل مواد نظام حكمه الإصلاحي الشامل، وقد بعث لهذه السياسات إلىٰ عماله لتنفيذها في مختلف الأقاليم وكثيرًا ما يردفها بتوجيهات تربوية يذكر فيها عماله بعظم الأمانة الملقاة علىٰ عواتقهم، ويخوفهم بالله ويأمرهم بمراقبته وتقواه فيما يعملون ويذرون[(١)]، وقد كان لمواعظ عمر وتوجيهاته أثر في نفوس عماله أشد من وقع السياط، وأبلغ من أوامر العزل والإعفاء، فكتب مرة إلىٰ أحدهم: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون أخر العهد وانقطاع الرجاء.

فلما قرأ عامله الكتاب طوىٰ البلاد حتىٰ قدم علىٰ عمر، فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلىٰ ولاية أبدًا حتىٰ ألقىٰ الله تعالىٰ[(٢)]، ولم يكتف عمر ببعث تلك السياسات والتوجيهات إلىٰ عماله، بل كان يحرص علىٰ متابعة تنفيذها، وتحقق آثارها علىٰ رعيته. فلا يفتأ يسأل القادمين عن ذلك، فقال زيا د بن أبي زيا د المدني حين قدم علىٰ عمر من المدينة: فسألني عن صلحاء أهل المدينة ورجالهم ونسائهم... وسألني عن أمور كان أمر بها بالمدينة فأخبرته[(٣)]. وخرج عمر بن عبد العزيز يومًا فركب هو ومزاحم، وكان كثيرًا ما يركب فيلقىٰ الركبان ويتحسس الأخبار عن القرىٰ، فلقيهما راكب من أهل المدينة وسألاه عن الناس وما وراءه، فقال لهما: إن شئتما جمعت لكما خبري وإن شئتما بعضته تبعيضًا، فقالا: بل أجمعه، فقال: إني تركت المدينة والظالم بها مقهور، والمظلوم بها منصور والغني موفور، والعائل مجبور، فسر عمر بذلك وقال: والله لأن تكون البلدان كلها علىٰ هذه الصفة أحب إلي مما طلعت عليه الشمس[(٤)]. وحين قدم عليه رجل من خراسان

(١) أثر العلماء في الحياة السياسية (ص١٨٦).
(٢) أثر العلماء في الحياة السياسية (ص١٨٦).
(٣) المصدر نفسه (ص١٨٧).
(٤) سيرة عمر لا بن عبد الحكم (ص١١٥).

وأراد العودة إلىٰ بلاده طلب من عمر أن يحمله علىٰ البريد، فقال له عمر وقد إطمأن لسيرته: هل لك أن تعمل لنا عملًا وأحملك؟ فقال الرجل نعم. فقال عمر: لا تأت علىٰ عامل لنا إلا نظرت في سيرته، فإن كانت حسنة لم تكتب بها ، وإن كانت قبيحة كتبت بها. قال مزاحم: فمازال كتاب منه يجيئنا في عامل فنعزله حتىٰ قدم خراسان[(١)].

ونلاحظ أن عمر بن عبد العزيز كان يهتم بمصادر متنوعة بجمع المعلومات، لعلمه أن المعرفة الدقيقة بأمور الرعية والولاة تحتاج لجمع معلومات صحيحة التي يبني عليها التوجيهات والأوامر والنواهي النافعة للأمة والدولة.

لقد آتت هذه المتابعة الدقيقة من عمر لعماله والتوجيهات التفصيلية لهم ثمارها في استقرار أحوال الأقاليم، كما أن هذه التوجيهات والمتابعة من عمر جعلت العمال والولاة في حالة تحفز دائمة للعمل حيث كانت تلك التوجيهات تقع في نفوسهم بمكان، فحدث إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: رأيت أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يعمل بالليل كله بالنهار لاستحثاث عمر إياه[(٢)].

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يرسل المفتشين في الأقاليم ليا توه بالأخبار: فقد بعث علىٰ خراسان ثلاثة مفتشين، يبحثون في ظلامات الناس من نظام خراجها، الذي قرره عدي بن أرطاة علىٰ الأهالي وأرسل مفتشًا إلىٰ العراق، ليا تيه بأخبار الولاة والناس فيها[(٣)]. ولقد أعلن عمر في إطار متابعته لشؤون الدولة ما يمكن تسميته بالرقابة العامة، إذ كتب لا هل الموسم في يوم الحج الأكبر:... إني بريئ من ظلم من ظلمكم... ألا وإنه لا إذن علىٰ مظلوم دوني، وأنا معوِّل كل مظلوم ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق، ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له

(١) تاريخ دمشق نقلًا عن أثر العلماء في الحياة السياسية (ص١٨٨).
(٢) الطبقات (٥/ ٣٤٧) أثر العملاء (ص١٨٨).
(٣) عمر بن عبد العزيز للزحيلي (ص١٨٢).

عليكم... ألا وأيما وارد في أمر يصلح الله به ، خاصة أو عامة ، فله ما بين مائة دينار إلىٰ ثلاثمائة دينار، علىٰ قدر ما نوىٰ من الحسبة(١). فقد أعلن في أكبر تجمع إسلامي، بل شجع ماديا ومعنويا علىٰ مراقبته، ومراقبة عماله، والإفصاح عن كل ما لا يوافق الكتاب والسنة، وبطبيعة الحال فالأمة الإسلامية لا تحتاج إلىٰ غير تعاليم الكتاب والسنة، إذا كان الالتزام بها هدف منشود(٢).

رابعًا: التخطيط في إدارة عمر بن عبد العزيز:

يعرف التخطيط في معناه العام بأنه: العملية التي تتخذ لتلبية احتياجات المستقبل، وتحديد وسائل تحقيقها، كما عرف التخطيط بأنه: الجسر بين الحاضر والمستقبل، ومن هذا التعريف العام يمكن أن نقول: أن التخطيط في الإسلام هو الاستعداد في الحاضر لما يواجهه الإنسان في عمله ، أو حيا ته في المستقبل(٣). وعمر بن عبد العزيز لم يكن ليتخذ قرارًا دونما تخطيط، وتوخ لعواقب الأمور، وأخذها بعين الاعتبار، ولعل من أهم المؤشرات علىٰ إدراك عمر لأهمية التخطيط والتفكير في الأمور قوله لرجاء: يا رجاء: إني لي عقلًا أخاف أن يعذبني الله عليه(٤)، وكان عمر بن عبد العزيز يعتمد علىٰ الله ثم جمع المعلومات والقدرة علىٰ حسن قرأتها، واستشراف المستقبل وتحقيق الأهداف المطلوبة، ففي ذلك يقول عمر: من عمل علىٰ غير علم كان يفسد أكثر مما يصلح(٥)، وقد كان عمر بن عبد العزيز في تخطيطه يضع الأهداف ويختار السياسات، ويحدد الإجراءات ويبلور العمل في خطه ففي إطار بلورة الأهداف

---

(١) عمر لابن الجوزي (ص٩٠).
(٢) النموذج الإداري المستخلص من عمر بن عبد العزيز (ص٤١٣).
(٣) الإدارة في الإسلام للضحيات (ص٧١).
(٤) عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٢٦٦).
(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص٢٥٠) لابن الجوزي.

كان هناك هدف رئيسي يسعىٰ عمر لتحقيقه ألا وهو الإصلاح والتجديد الراشدي علىٰ منهاج النبوة والخلافة الراشدة، والقيام بكل مقومات هذا المشروع الإصلاحي من إقامة العدل والحق وإزالة الظلم، وإعادة الانسجام بين الإنسان وبين الكون والحياة وخالقهما في إطار الفهم الشمولي للإسلام وأما اختيار السياسات كأحد مقومات التخطيط، فإنه قد تجلىٰ ذلك في تطبيقات عمر للتخطيط الإداري، ولا أدل علىٰ ذلك من عزم عمر علىٰ الاكتفاء بالكتاب الكريم والسنة الشريفة[1]، وأنه غير مستعد للاستماع إلىٰ أي جدل في مسائل الشرع، والدين، علىٰ أساس أنه حاكم منفذ وأن الشرع من جانبه علىٰ نفسه وعلىٰ رعيته، كما ألزم الرعية بالتمسك بذلك الشرع القويم[2]، هذا في إطار تحديد واختيار السياسة العامة، أما تحديد الإجراءات كأحد مقومات التخطيط أيضًا، فإن ذلك يتضح من خلال الإجراءات التي حددها لتنفيذ هذه السياسة من اللقاء الأول مع الأمة عند وضع شروطًا لصحبته والتي قد بينتها فيما مضىٰ وأما بلورة طريقة العمل، فإنه قد وضح بأنه منفذ وليس مبتدع - أي: منفذًا لتعاليم الدين وأن الطاعة لمن أطاع الله[3] - وأن يكون أساس العمل إقامة العدل والإصلاح والإحسان بدلًا من الظلم والفجور والعدوان[4] وقد مارس عمر التخطيط من حيث الشمول وشمل تخطيطه كافة المجالات، فلم يترك مجالًا إلا طرق بابه، في أمور السياسة والحكم، والقضاء والاقتصاد والتربية والتعليم والنواحي الاجتماعية فضلًا عن التخطيط للأمور العامة، كما أهتم ببعض الأقاليم بشكل منفصل مثل خراسان والعراق وأهتم بمؤسسات تنظيمية أخرىٰ

---

(١) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٣٥).
(٢) النموذج الإداري المستخلص من عمر بن عبد العزيز (ص٣٩٧).
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص٣٥، ٣٦).
(٤) المصدر السابق (ص١٠٢).

مثل القضاء، وبيت المال وولاة الخراج وغير ذلك[١].

خامسًا: التنظيم في إدارة عمر بن عبد العزيز:

إن التنظيم يأتي مكملًا للتخطيط لبناء المتطلبات الإجرائية لتنفيذ الخطط، وقد جعل عمر بن عبد العزيز التنظيم أهم أولويات العمل الإداري ورسخ مفهوم التنظيم في سلوكه الإداري.

فمن حيث التنظيم الهيكلي للعمل، نجده قد جزأ أعمال الدولة إلىٰ أربعة أجزاء رئيسية، تأتي تحت مسئولية أربعة أركان هم: الوالي والقاضي وصاحب بيت المال والخليفة[٢] بالإضافة إلىٰ تنظيمات أخرىٰ مثل: الخراج والجند والكتاب والشرطة والحرس وصاحب الخاتم والحاجب وغير ذلك وفيما يلي اللائحة التنظيمية لمسئوليات العمل في عهد عمر بن عبد العزيز[٣]، رئيس الدولة الخليفة عمر بن عبد العزيز المستشارون والمعاونون... الخاتم... الكاتب... الحاجب... الحرس... الشرطة الخراج والجند... الصائغة... البريد... الولاة بيت المال المركزي... دار ضرب العملة الصدقات القضاة المفتون والمعلمون الكاتب... الخراج... الصدقات البريد... الشرطة الجواز أمور الحرب عند الحاجة وأما فيما يتعلق بالتنظيم من حيث الإجراءات والعلاقات بين الخليفة والولاة والعمال وتحديد أوجه العمل وأساليب التنفيذ فإنه يمكننا القول أن الكثير من كتب عمر لعماله تسعىٰ لتحقيق هذا الغرض وأيضًاح هذا الجانب التنظيمي من العملية الإدارية، فعلىٰ سبيل المثال، أوضح أسلوب التعامل بينه وبين المظلومين وكيفية الاتصال بينه وبينهم، إذ باح دخول المظلومين عليه من غير إذن ومن صور التنظيم إعادة الكثير من الأمور والقضايا إلىٰ ما كانت عليه

(١) النموذج الإداري المستخلص من عمر بن عبد العزيز (ص٤٠٠).
(٢) النموذج الإداري المستخلص (ص٤٠١).
(٣) المصدر نفسه (ص٤٠١).

في عهد الرسول (عليه الصلاة والسلام) والخلفاء الراشدين، ومثال ذلك أمره بإرجاع مزرعته في خيبر إلىٰ ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ، وتم الشيء نفسه بشأن (فدك) إذ كتب إلىٰ أبي بكر بن حزم واليه علىٰ المدينة يقول: إني نظرت في أمر فدك، فإذا هو لا يصلح، فرأيت أن أردها علىٰ ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر وعمر وعثمان، فأقبضها وولها رجلًا يقوم فيها بالحق، وسلام عليك[(١)]. كما كتب إلىٰ عماله بكل ما يتعلق بتنظيم الأمور المالية والصدقات والضرائب والأخماس والزكاة في الأموال والممتلكات وتنظيم العمال التجارية ومن ليس له الحق في ممارسة التجارة[(٢)] وغير ذلك، كما أهتم عمر بتنظيم أمور القضاء بإعتباره السبيل الرئيسي للفصل بين الناس في منازعتهم وحماية حقوقهم، فكان لكل مصر أو ولاية قاضي يقضي بما في الكتاب والسنة وكان قضاته في كل مصر أجل وأفقه وأصلح علماء ذلك المصر[(٣)]، كعامر بن شرحبيل الشعبي[(٤)] بالكوفة والحارث بن يمجد الأشعري[(٥)] بحمص، وعمر بن سليمان بن خبيب المحاربي بدمشق[(٦)] وغيرهم، كما كان عمر يمارس القضاء بنفسه[(٧)]، وكان الاعتبار الأساسي في التنظيم القضائي في نظر عمر هو مراجعة الحق، فالرجوع إلىٰ الحق خير من التمادي في الباطل[(٨)]، وعندما اشتكىٰ أهل سمرقند من قتيبة بن مسلم، عين لهم قاضي ليحكم في هذه

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص١٣١) لابن الجوزي.
(٢) سيرة عمر لا بن عبد الحكم (ص٧٨- ٨٣).
(٣) النموذج الإداري المستخلص من إدارة (ص٤٠٣).
(٤) عمر بن عبد العزيز وسياسة رد المظالم (ص٢٧٧).
(٥) المصدر نفسه (ص٢٨٤).
(٦) المصدر نفسه (ص٢٨٥).
(٧) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر (ص٤٠٣).
(٨) المصدر نفسه (ص٤٠٣).

القضية وقد مرت معنا، وفي هذه الحادثة أدرك عمر بن عبد العزيز مبدأ الفصل بين السلطات علىٰ أتم وجه ذلك بأنه حينما عرف مظلمة أهل سمرقند لم يبث هو بها، مع أنه كان يسعه ذلك، وهو خليفة المسلمين ولم يعهد بذلك إلىٰ عامله علىٰ سمرقند سليمان بن أبي السرىٰ، مخافة أن يجمع به الهوىٰ، أو أن تأخذه العزة بالإثم، ولأنه عامل باسم الخليفة الذي أبىٰ هو نفسه أن يبث بالخلاف، ولم يفوض ذلك إلىٰ القائد العسكري، بل أمر بأن يجلس لهم القاضي لأن القاضي لا يتأثر بالاعتبارات العسكرية أو السياسية، ولا يأبه إلا لحكم الله، يطبق أوامر الشريعة كما وردت، وهكذا تحقق ظن عمر بن عبد العزيز، وحكم القاضي بأن يخرج عرب سمرقند إلىٰ معسكرهم، أي أنه أمرهم بالجلاء، لأن الاحتلال وقع بصورة غير مشروعة(١). كما شملت تطبيقات عمر للتنظيم بيت الخلافة، فقد أعاد تنظيمه بما يتوافق مع نظرته في أنه واحد من عامة المسلمين وأنه ليس في حاجة إلىٰ أبهة الملك، فانصرف عن كل مظاهر الخلافة التي سادت قبله، وألغىٰ بعض الوظائف، كصاحب الشرطة الذي يسير بين يدي الخليفة بالحربة، كعادته مع الخلفاء السابقين له وقال له عمر: تنح عني مالي ولك؟ إنما أنا رجل من المسلمين ثم سار وسار معه الناس(٢).

سادسًا: الوقاية من الفساد الإداري في عهد عمر بن عبد العزيز:

سعىٰ عمر بن عبد العزيز لتحقيق السلامة من الفساد الإداري، بالحرص علىٰ سبل الوقاية منه، وسد المنافذ علىٰ السموم الإدارية مثل الخيانة، والكذب والرشوة والهدايا للمسئولين والأمراء والإسراف وممارسة الولاة والأمراء للتجارة واحتجاب الولاة والأمراء عن الناس ومعرفة أحوالهم، والظلم للناس والجور عليهم وغير ذلك وإليك شيء من التفصيل:

---

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/ ٤٠٧).
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص٦٥) لابن الجوزي.

١- التوسعة على العمال في الأرزاق:

كان أول إجراء إداري رأىٰ فيه عمر الوقاية من الخيانة أن وسع علىٰ العمال في العطاء، رغم تقتيره علىٰ نفسه وأهله وأراد بذلك أن يغنيهم عن الخيانة، فقد كان يوسع علىٰ عماله في النفقة، يعطي الرجل منهم في الشهر مائة دينار، ومائتي دينار وكان يتأول أنهم إذا كانوا في كفاية تفرغوا لا شغال المسلمين فقيل له: لو أنفقت علىٰ عيا لك، كما تنفق علىٰ عمالك؟ فقال لا أمنعهم حقًا لهم، ولا أعطيهم حق غيرهم، وكان أهله قد بقوا في جهد عظيم، فاعتذر بأن معهم سلفًا كثيرًا قبل ذلك[1]، وبهذا الإجراء ألا وهو التوسع علىٰ عماله يحقق عمر أمرين هامين:

أ- سد منفذ الخيانة، وما يدفع العمال من حاجة إلىٰ الخيانة وسرقة أموال المسلمين.

ب- ضمان فراغ الولاة والعمال والأمراء لإشغال المسلمين وحوائجهم[2].

٢- حرصه على الوقاية من الكذب: قال ميمون بن مهران:

دخلت علىٰ عمر بن عبد العزيز وعنده عامله علىٰ الكوفة، فإذا متغيظ عليه، فقلت: ماله يا أمير المؤمنين قال: أبلغني أنه قال: لا أجد شاهد زور إلا قطعت لسانه: قال: فقلت: يا أمير المؤمنين: إنه لم يكن بفاعل. قال: فقال: أنظروا إلىٰ هذا الشيخ - مستنكرًا ما قال ميمون - إن منزلتين أحسنهما الكذب لمنزلتا سوء[3].

والمقصود فإن الكذب أحد منازل السوء وبذلك يسعىٰ عمر إلىٰ قطع دابر الفساد الإداري بالتحذير من الوقاية عما يجر إليه الكذب والتحايل في اتخاذ القرارات[4].

---

(١) البداية والنهاية نقلًا عن النموذج الإداري (ص٣١٥).
(٢) النموذج الإداري (ص٣١٥).
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص١٣٤) لابن الجوزي.
(٤) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر (ص٣١٦).

٣- الامتناع عن أخذ الهدايا والهبات:

رد علىٰ من قال له: ألم يكن رسول الله ﷺ يقبل الهدية؟ قال بلىٰ، ولكنها لنا ولمن بعدنا رشوة[(١)]، كما أبطل عمر أخذ الهدايا التي كان الولاة الأمويون يأخذونها وبخاصة هدايا النيروز والمهرجان، وهي هدايا تعطي في مناسبات وأعياد الفرس، فكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عماله كتابًا، يقرأ علىٰ الناس، يبطل فيه أخذ التوابع والهدايا، التي كانت تؤخذ منهم في النيروز والمهرجان وغيرها من الأثمان والأجور[(٢)]، كما أنذر ولاته وعماله من أن يتخذ أحدًا منهم تلبية طلبات الخليفة أو أحد أهله شيء مسلم به، ومن ذلك ما حدث عندما أرسلت فاطمة بنت عبد الملك إلىٰ أبن معدي كرب، تطلب عسلًا من عسل سينين أو لبنان، فبعث إليها، وأيم الله لئن عدت لمثلها، لا تعمل لي عملًا أبدًا، ولا أنظر إلىٰ وجهك[(٣)].

٤- النهي عن الإسراف والتبذير:

فقد اتخذ قرارات تنم علىٰ حرص شديد علىٰ أموال المسلمين فكان أول إجراء له بعد توليه الخلافة هو انصرافه عن مظاهر الخلافة، إذ قربت إليه المراكب، فقال ما هذه؟ فقالوا: مراكب لم تركب قط، يركبها الخليفة أول ما يلي فتركها وخرج يلتمس بغلته، وقال: يا مزاحم - يعني مولاه - ضم هذه إلىٰ بيت مال المسلمين، ونصبت له سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط، يجلس فيها الخليفة أول ما يلي، قال يا مزاحم ضم هذه إلىٰ أموال المسلمين، ثم ركب بغلته، وأنصرف إلىٰ الفرش والوطاء الذي لم يجلس عليه أحد قط، يفرش للخلفاء أول ما يلون، فجعل يدفع ذلك برجله، حتىٰ يفضي إلىٰ الحصير،

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص١٨٩).
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص١٣٦).
(٣) المعرفة والتاريخ للبسوي (١/ ٥٨٠) النموذج الإداري (ص٣١٧).

ثم قال: يا مزاحم ضم هذه لا موال المسلمين[١]. وأخذ إجراء آخر لمحاربة الإسراف في الدولة، فحين قال له - ميمون بن مهران - وهما ينظران في أمور الناس: ما بال هذه الطوامير[٢] التي تكتب فيها بالقلم الجليل، وتمد فيها وهي من بيت مال المسلمين؟ فكتب إلىٰ العمال أن لا يكتبوا في طومار ولا يمد فيه، قال: فكانت كتبه شبراً أو نحو ذلك[٣]. وقد مر معنا كتابه لا بي بكر بن محمد بن حزم الأنصاري والي المدينة في قصة الشموع، وتوجيه عمر له في ذلك وكيف يكتب له عندما قال: إذا جاءك كتابي هذا فأرق القلم، وأجمع الخط واجمع الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة، فإنه لا حاجة للمسلمين في فضل قول أضر ببيت مالهم والسلام عليك[٤] ذلك هو شأن عمر في كل أمر يخص مال المسلمين، صغر أو كبر ومع كافة الولاة، فإنه من المسلم به أن عمر لن يكون كذلك مع والي المدينة فحسب بل هو كذلك مع غيره من الولاة والعمال فكان يسعىٰ للتوفير والاقتصاد في الإنفاق من بيت المال، ليحول بذلك دون الإسراف والبذخ[٥].

٥- منع الولاة والعمال من ممارسة التجارة:

قال في كتاب له إلىٰ عماله: نرىٰ أن لا يتجر إمام ولا يحل لعامل تجارة في سلطانه الذي هو عليه، فإن الأمير متىٰ يتجر يستأثر ويصيب أمورًا فيها عنت وإن حرص أن لا يفعل[٦]، وذلك إدراك منه أن ممارسة العمال والولاة للتجارة، لا تخلو من أحد أمرين، إن لم تكن الاثنان معًا: فإما أن ينشغل في تجارته

---

(١) سيرة عمر لا بن عبد الحكم (ص٣٣).
(٢) **طوامير**: جمع طومار وهو الصحيفة.
(٣) سيرة عمر لابن الجوزي (ص٨٨).
(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص٥٥).
(٥) النموذج الإداري المستخلص (ص٣١٩).
(٦) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص٨٣).

ومتابعتهما عن أمور واحتياجات المسلمين، وإما أن تحدث محاباة له في التجارة لموقعه، ويصيب أمورًا ليست له من الحق في شيء، وبهذا القرار سد عمر منفذًا خطيرًا قد يؤدي إلىٰ فساد إداري قل ما تتوارىٰ عواقبه[(١)]. وبعد ثمانية قرون جاء ابن خلدون وكتب في مقدمته العظيمة بعد تجارب طويلة ودراسة واسعة، ما يصدق عمر بن عبد العزيز في نظرته الصادقة، وحكمته البالغة قال: إن التجارة من السلطان مضرة بالرعايا معسرة للجباية[(٢)].

٦- فتح قنوات الاتصال بين الوالي والرعية:

كانت الحاشية حول الخلفاء قبل عمر بن عبد العزيز قد حجبت الناس عن الوصل إلىٰ الخليفة وقد بنىٰ الحاشية سياجًا من حديد لا ينفذ منه إليه إلا ما يشتهون وما تسمح به مصالحهم أما عمر بن عبد العزيز، فقد أعلن بالجوائز والمكافأة المالية لمن يخبره بحقيقة الحال، أو يشير عليه بشيء فيه مصلحة المسلمين ومصلحة لدولتهم، وكتب إلىٰ أهل المواسم: أما بعد فأيما رجل قدم إلينا في رد مظلمة أو أمر يصلح الله به خاصًا أو عامًا من أمر الدين، فله ما بين مائة دينار إلىٰ ثلاثمائة بقدر ما يرىٰ الحسبة وبعد السفر، لعل الله يجيء به حقًا أو يميت باطلًا، أو يفتح به من ورائه خيرًا[(٣)]. كما أمر العمال والولاة، بأن يحرصوا علىٰ فتح قنوات الاتصال بينهم وبين الرعية ويسمعوا منهم ويتعرفوا علىٰ أحوالهم فإن ذلك يمنع ممارسة الظلم والتعدي علىٰ حقوق الأخرين ويتيح لكل فرد طلب ما يريد دو ن اللجوء إلىٰ أساليب وطرق لا تمت للإسلام بصلة[(٤)].

---

(١) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر (ص٣٢٠).

(٢) مقدمة ابن خلدون نقلًا عن رجال الفكر والدعوة للندوي (١/ ٤٦).

(٣) رجال الفكر والدعوة (١/ ٤٧).

(٤) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر (ص٣٢٠).

٧- محاسبته لولاة من قبله عن أموال بيت المال:

لما تولىٰ عمر بن عبد العزيز أمر بالقبض علىٰ والي خراسان يزيد بن المهلب، ولما مثل بين يديه، سأله عمر عن الأموال التي كتب بها إلىٰ سليمان بن عبد الملك. فقال: كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت، وإنما كتبت إلىٰ سليمان لا سمع الناس به وقد علمت أن سليمان لم يكن ليا خذ بشيء سمَّعت، ولا بأمر أكرهه. فقال له: ما أجد في أمرك إلا حبسك، فاتق الله وأدَ ما قبلك، فإنها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها، فرده إلىٰ محبسه، وبقي فيه حتىٰ بلغه مرض عمر[(١)] وقد كان عمر بن عبد العزيز يتحسس أخبار ولاته ويراقبهم ويحاسبهم علىٰ تقصيرهم فقد كتب إلىٰ أحدهم يقول: (لقد كثر شاكوك وقل شاكروك، فإما عدلت، وإما اعتزلت والسلام)[(٢)].

سابعًا: المركزية واللامركزية في إدارة عمر بن عبد العزيز:

أخذ عمر بن عبد العزيز بمبدأ الجمع والموازنة بين المركزية واللامركزية خلال إدارته للدولة، بتطبيق أحدهما بحسب الموقف تبعًا لمعايير محددة فإننا نورد بعض المواقف والإجراءات التي توضح ذلك، فقد كان من الأوامر التي تدل علىٰ تطبيقه للمركزية ما ضمنه رسالته إلىٰ عامله علىٰ الكوفة، إذ قال:... فإني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله، ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب حتىٰ تراجعني فيه[(٣)]. وهنا رجح عمر أن مصلحة الأمة في تطبيق المركزية في هذه المسألة البالغة الأهمية، فقد يسبق السيف العزل، فلا مصلحة للأمة في التعجيل في أمور القتل والصلب وكل سيلقي جزاءه طال الوقت أم قصر، فقد كان عمر يرجح التحقيق العادل علىٰ التحقيق الصارم، فما بالك به في أمر أهم، وهو

(١) تاريخ الطبري (٧/ ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢).
(٢) عمر بن عبد العزيز، عبد الستار الشيخ (ص٢٧٥).
(٣) تاريخ الطبري نقلًا عن النموذج الإداري (ص٣٢٢).

إزهاق الأرواح[1]، وهناك أمور أخرىٰ أعم وأشمل، أوضح عمر لعماله وولاته وقضاته أنه لا بد من الرجوع إليه فيها متخذًا أسلوب المركزية فيها، وهي كل ما تبتلىٰ به الأمة، وليس لها سابقة في قرآن أو سنة، إذ كتب إلىٰ عماله يبين لهم سياسته، فقال:... وأما ما حدث من الأمور التي تبتلىٰ الأمة بها، مما لم يحكمه القرآن ولا سنة النبي ﷺ، فإن والي أمر المسلمين وإمام عامتهم، لا يقدم فيها بين يديه، ولا يقضي فيها دونه وعلىٰ من دونه رفع ذلك إليه، والتسليم لما قضىٰ[2]، وفي مجال آخر رأىٰ ضرورة أسلوب المركزية، حيث جعل للعراق أكثر من وال، وأصبحت خراسان وسجستان وعمان كل منها مرتبطة بالخليفة مباشرة، كما عين واليا علىٰ الأندلس من قبله رغبة منه في الاعتناء بإقليم الأندلس دون الارتباط بوالي إفريقية[3].

هذا مما يدل علىٰ أن عمر بن عبد العزيز كان يأخذ بالمركزية وضرورة الرجوع إليه.

- وأما ما يدل على ممارسته اللامركزية فنورد المواقف التالية:

روي أن عمر كتب إلىٰ عروة بن محمد عامله علىٰ اليمن، يقول: أما بعد: فإني أكتب إليك آمرك أن ترد علىٰ المسلمين مظالمهم فتراجعني ولا تعرف بعد مسافة ما بيني وبينك، ولا تعرف أحداث الموت، حتىٰ لو كتبت إليك أن أردد علىٰ مسلم مظلمة شاة، لكتبت أرددها عفراء أو سوداء، فانظر أن ترد علىٰ المسلمين مظالمهم ولا تراجعني[4] ويبدو في هذا القرار دقة متناهية في تحديد الشيء المرغوب فيه من المركزية واللامركزية وما حداه هنا إلىٰ تبني

(١) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر (ص٣٢٣).
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لا بن عبد الحكم (ص٦٣).
(٣) الإدارة في العصر الأموي، نجدة الخماش (ص١٠٧).
(٤) الطبقات (٥/ ٣٨١).

اللامركزية من مصلحة للأمة، وهذا موقف آخر فيه دلالة علىٰ رغبة عمر في إتباع اللامركزية فقد كتب إلىٰ عدي بن أرطاة يقول: أما بعد: فإنك لن تزال تعنّي إلي رجلًا - أي: يتعبه بإرساله إليه - من المسلمين في الحر والبرد، تسألني عن السنة، كأنك إنما تعظمني بذلك، وأيم الله لحسبك بالحسن، يعني - الحسن البصري - فإذا أتاك كتابي هذا فسل الحسن لي ولك وللمسلمين(١). فكان عمر يؤثر اللامركزية وعدم مراجعته في المسائل الروتينية طالما هناك من يثق بعلمه، مثل الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، فالحسن أهل لا ن يسأل لعمر، ولعدي الوالي وللمسلمين كافة(٢)، وفي هذا الموقف لفتة عمرية في تقدير وتبجيل واحترام العلماء الربانيين كالحسن البصري وإنزاله مقامه اللائق به، فالأمم تنهض عندما تحترم علمائها الربانيين وتنزلهم المنازل التي يستحقونها.

لقد مارس عمر مبدأ الموازنة بين المركزية واللامركزية وكانت له معايير وعوامل تدفعه إلىٰ أي شئ منها يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- ارتباط الموقف أو الإجراء بمصلحة عامة أو خاصة.

٢- أهمية الأمر الذي سيحدد فيه ممارسة المركزية أو اللامركزية فالإجراء الذي يتعلق بالقتل والصلب مثلًا حري أن تكون المركزية فيه أصلح.

٣- مستجدات الأمور مما لم يرد في القرآن أو السنة فهي من الأهمية بمكان.

٤- مراعاة البعد الجغرافي بين الخليفة والولاة.

٥- مراعاة الوقت وما قد ينجم عن ذلك من ضرر قد يصل إلىٰ الموت.

٦- وجود من يعتمد عليه ويطمئن له ولعلمه ويثق به.

٧- التأثير علىٰ سرعة وسلامة الإنجاز في العمل.

---

(١) المصدر نفسه (ص٣٢٤)، حلية الأولياء (٥/ ٣٠٧).
(٢) المصدر نفسه (ص٣٢٤).

٨- مراعاة منح الثقة للقضاة والولاة والعمال[(١)].

في ظل هذه المعايير جمع عمر بن عبد العزيز في ممارسته الإدارية بين المركزية واللامركزية، بالموازنة بينهما، وتحديد الدرجة الملائمة في ممارسته لكل منهما، وبذلك يتوافق عمر مع منظري وعلماء الإدارة في إدراك أبعاد هذا المبدأ[(٢)].

ثامنًا: مبدأ المرونة في إدارة عمر بن عبد العزيز:

مارس عمر بن عبد العزيز المرونة في التفاهم والحوار والفكر وتنفيذ الأوامر والتقيد بها ومن تلك الشواهد، ما رویٰ ميمون بن مهران: أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز قال: يا أبت ما يمنعك أن تمضي لما تريد من العدل؟ فو الله ما كنت أبالي لو غلت بي وبك القدور في ذلك. قال: يا بني إنما أروض الناس رياضة الصعب، وإني لا أريد أن أحيي الأمور من العدل، فأؤخر ذلك حتىٰ أخرج معه طمعًا من طمع الدنيا فينفروا لهذه ويسكنوا لهذه[(٣)]. وقال عمر: ما طاوعني الناس علىٰ ما أردت من الحق، حتىٰ بسطت لهم من الدنيا شيئًا[(٤)]، فقد أبدىٰ بهذا الإعلان منذ توليه الخلافة، أن تحقيق الأهداف يتطلب شيئًا من المرونة والتغاضي، فليس الأمر كما يرىٰ ولده بأن لا مانع لديه من أن تغلي بهم القدور في سبيل تحقيق العدل، بصرف النظر عن أي اعتبار أخر[(٥)]. وهذا موقف آخر مع ابنه عبد الملك وإليك ما دار بينهم من حوار:

الابن: ما يؤمنك أن تؤتىٰ في منامك، وقد رفعت إليك مظالم لم تقضىٰ حق الله فيها؟

---

(١) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر (ص٣٢٦).

(٢) المصدر نفسه (ص٣٢٦).

(٣) سيرة عمر لابن الجوزي (ص٨٨).

(٤) المصدر نفسه (ص٨٨).

(٥) النموذج الإداري المستخلص (ص٣٢٨).

الأب: يا بني إن نفسي مطيتي، إن لم أرفق بها لم تبلغني، إني لو أتعبت نفسي وأعواني لم يك ذلك إلا قليلًا حتىٰ أسقط ويسقطوا، وإني لاحتسب في نومتي من الأجر مثل الذي أحتسب في يقظتي، إن الله جل ثناؤه لو أراد أن ينزل القرآن جملة لا نزله، ولكنه أنزل الآية والآيتين حتىٰ أسكن الإيمان في قلوبهم. يا بني... مما أنا فيه أمر هو أهم إلي من أهل بيتك (الأمويين) هم أهل القدرة والعدد وقبلهم ما قبلهم، فلو جمعت ذلك في يوم واحد خشيت انتشاره علي ولكني أنصف من الرجل والاثنين، فيبلغ ذلك من وراءه فيكون أنجح له[(١)] في الآثار السابقة، يقدم لنا عمر فقهه الحاذق في إدارة الحركات الإصلاحية التجديدية وتسيير البرامج التي تستهدف إسقاط الظلم والاستغلال ونشر العدل والمساواة[(٢)]. ففي قوله: إني لو أتعبت نفسي وأعواني لم يك ذلك إلا قليلًا حتىٰ أسقط ويسقطوا. فبين رَحِمَهُ اللهُ: إن طاقة الإنسان محدودة، وأن القابلية علىٰ تحمل الجد الصارم لها حدودها هي الأخرىٰ، والإنسان في تقبله لالتزاماته في حاجة ضرورية إلىٰ وقت كاف لتمثل هذه الالتزامات من الداخل وتحويلها إلىٰ مبادئ وقيم ممزوجة بدم الإنسان وأعصابه، ومتشكلة في بنيته وخلاياه، وبدون هذا سوف لن تجتاز هذه الالتزامات حدود الإنسان الباطنية، وستظل هناك مكدسة علىٰ أعتاب الحس الخارجي وطالما ظل هذا التكديس يزداد ثقلًا يومًا بعد يوم، فسوف يأتي يوم لا محالة يسقط فيه الإنسان تحت وطأة هذا الثقل المتزايد غير المتمثل[(٣)]... ومما يلفت النظر عبارته:.. ولكني أنصف الرجل والاثنين فيبلغ ذلك من وراءه فيكون أنجح له.

إن عمر هنا يؤكد علىٰ أهمية الإنجاز وعلىٰ دوره في تحقيق - الإصلاح

---

(١) سيرة عمر لابن الجوزي (ص١٠٦).

(٢) ملامح الانقلاب (ص١٧٣).

(٣) ملامح الانقلاب (ص١٧٣).

والتجديد - فكثيرون هم أولئك الذين طرحوا أقوالًا أعلنوا فيها عن عزمهم علىٰ أحداث ثورة حقيقية انقلاب يجتث الجذور العفنة ويبدأ الزرع من جديد، ولكن هؤلاء ما لبثوا أن سقطوا وسقطت مبادئهم لانهم: طرحوا أقوالًا... أما عمر هذا المصلح الكبير والفقيه الحاذق، فإنه يريد أن يطرح أفعالًا، ولا يطرحها بالعنف والإكراه ودونما تخطيط، وإنما لينصف الرجل والاثنين فيبلغ ذلك من وراءهما حتىٰ يسري الإصلاح في نفوس الأمة أنىٰ كانت، سريان الضياء في الظلام. ثم إن عمر هذا الذكي المرن لم يشأ أن يخرج شيئًا إلا ومعه طرف من الدنيا يستلين به القلوب[(١)]، ولا يمكن لا حد أن يقول أن هذا يمثل تنازلًا من عمر بن عبد العزيز عن أهداف إصلاحاته الشاملة صوب إصلاح جزئي يقوم علىٰ الترقيع... لأن ما عرفنا عمر منذ حمل مسئولية أمته، يسعىٰ إلىٰ التنازل، ولو شبرًا واحدًا، عن الأهداف التي طرحها القرآن الكريم والسنة، ولكنه هنا يقدم فقه الأسلوب الحيوي الذي تتأتىٰ به تلك الأهداف كاملة... إن الضغط المستمر يولد الانفجار، ومهما كان سخف هذا الانفجار وعبثه فإنه لا بد وأن يحرق ويدمر، وإذا كان بإمكان القادة والمسئولين تجاوز هذا الحريق والدمار عن طريق الالتزام أسلوب حيوي ينسجم وبنية الإنسان النفسية، فلماذا لا يسلكوه[(٢)] ؟ فعندما قال له أبنه عبد الملك يا أمير المؤمنين: أنفذ لأمر الله وإني جاشت بي وبك القدور فماذا كان جواب الخليفة المرن: يا بني: إن بادهت الناس بما تقول أحوجوني إلىٰ السيف ولا خير في خير لا يحيا إلا بالسيف لا خير في خير لا يحيا إلا بالسيف[(٣)]. إن خليفة بهذا المرونة وبهذا الذكاء لا يمكن أن يجزع عن أهدافه يومًا[(٤)].

---

(١) المصدر نفسه (ص١٧٤).
(٢) ملامح الانقلاب (ص١٧٤).
(٣) الكامل في التاريخ نقلًا عن ملامح الإنقلاب (ص١٧٥).
(٤) ملامح الانقلاب (ص١٧٥).

ومما مضىٰ يتضح أدلة مرونة عمر في إدارته فيما يتعلق بتنفيذ السياسة العامة، سياسة إقامة العدل ونشر الإسلام، وبناء دولة العقيدة(١)، وإليك هذه الشواهد في تنفيذ مبدأ المرونة:

١- فلا يحملنك استعجالنا إياك أن تؤخر الصلاة في ميقاتها:

خرج عمر علىٰ حرسه يومًا، فقال: أيكم يعرف هذا الرجل الذي بعثناه إلىٰ مصر؟ قالوا: كلنا نعرفه - وكان قد كلف رجلًا بمهمة إلىٰ مصر قبل وقت ليس ببعيد - قال: فليذهب إليه أحدثكم سنًا فليدعه - قال: وذلك في يوم جمعة، فذهب إليه الرجل فظن الرسول أن عمر بن عبد العزيز استبطأه فقال له: لا تعجلني حتىٰ أشد علىٰ ثيابي، فشد عليه ثيابه، فأتىٰ عمر، فقال: لا روع عليك، إن اليوم يوم الجمعة، فلا تبرح حتىٰ تصلي الجمعة، وقد بعثناك لا مر عجلة من أمر المسلمين فلا يحملنك استعجالنا إياك أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها(٢)، فأبدىٰ عمر في هذا الموقف مرونة في التنفيذ، رغم أنه رسل مندوبه لا مر يهم المسلمين إنجازه علىٰ عجل(٣).

٢- هلا أقمت حتى تفطر ثم تخرج:

استدعىٰ عمر بن عبد العزيز عامله علىٰ خراسان، فما كان من العامل إلا أن أسرع بالمغادرة إلىٰ الخليفة تنفيذًا لا مره وعندما وصل إلىٰ مقر الخلافة في دمشق ورأىٰ الخليفة ملامح التعب والإجهاد علىٰ وجهه، سأله: متىٰ خرجت؟ فقال: في شهر رمضان، فقال له عمر: قد صدق من وصفك بالجفاء!! هلا أقمت حتىٰ تفطر، ثم تخرج(٤).

---

(١) النموذج الإداري (ص٣٢٩).
(٢) سيرة عمر لابن الجوزي (ص١٠٦).
(٣) النموذج الإداري (ص٣٣٠).
(٤) تاريخ الطبري نقلًا عن النموذج الإداري (ص٣٣٠).

٣- لا تعنت الناس ولا تعسرهم ولا تشق عليهم:

ذكر ابن سعد أن - ميمون بن مهران - وكان علىٰ ديوان دمشق، قال: ففرضوا لرجل زمِن[(١)]، فقلت: الزمن ينبغي أن يحسن إليه فأما أن يا خذ فريضة رجل صحيح فلا. فشكوني إلىٰ عمر بن عبد العزيز، فقالوا له: إنه يتعنتنا ويشق علينا، ويعسرنا. قال: فكتب إلي: إذا أتاك هذا فلا تعنت الناس ولا تعسرهم، ولا تشق عليهم فإني لا أحب ذلك[(٢)]، فكتب إليه عمر انطلاقا من مبدأ المرونة وتسهيل الأمور.

٤- المرونة في الحوار والتفاهم:

فقد كان الحوار الهادي ومقارعة الحجة بالحجة أسلوبه في حواره ومناظراته - كما مر معنا مع الخوارج - فقد حدث أن: دخل علىٰ عمر أناس من الحرورية، فذاكروه شيئًا، فأشار إليه بعض جلسائه أن يرعبهم، ويتغير عليهم فلم يزل عمر بن عبد العزيز يرفق بهم حتىٰ أخذ عليهم، ورضوا منه أن يرزقهم ويكسوهم ما بقي فخرجوا علىٰ ذلك، فلما خرجوا ضرب عمر ركبة رجل يليه من أصحابه، فقال: يا فلان إذا قدرت علىٰ دواء تشفي به صاحبك، دون الكي فلا تكوينه أبدًا[(٣)]، وأبدىٰ مرونة في كافة أساليب التعامل معهم[(٤)].

٥- المرونة الفكرية:

كان عمر يتحلىٰ بالمرونة الفكرية، متجنبًا الجمود والتشدد، فقد حدث - كما مر معنا - أن أرسل عمر يزيد بن أبي مالك، والحارث بن محمد، ليعلما الناس السنة وأجرىٰ عليهم الأرزاق، فقبل يزيد ولم يقبل الحارث وقال: ما

---

(١) **الزَمِن**: هو المبتلي بالعاهة.
(٢) الطبقات (٥/ ٣٨٠).
(٣) سيرة عمر لابن الجوزي (ص٧٦، ٧٨).
(٤) النموذج الإداري (ص٣٣١).

كنت لا خذ علىٰ علم علمنيه الله أجرًا، فذكر ذلك لعمر، فقال: ما نعلم بما صنع يزيد بأسًا، وأكثر الله فينا مثل الحارث[١]. فلم يتخذ موقفًا محددًا تجاه العالمين، رغم اختلاف موقفهما تجاه قبول الأجر علىٰ تعليم الناس، فأيد أخذ الأجر علىٰ التعليم، وأنه لا بأس فيه، ثم دعا الله أن يكثر من أمثال الحارث، فاتضحت مرونته في تأييد الموقفين في آن واحد، رغم اختلافهما ويأتي ذلك في إطار ما عبر عنه عن قناعته التامة، أن مبدأ المرونة مطلوب وضروري حتىٰ قال: ما يسرني لو أن أصحاب محمد ﷺ لم يختلفوا، لا نهم لو لم يختلفوا، لم تكن رخصة[٢]. وقال: ما يسرني باختلاف أصحاب النبي ﷺ، حمر النعم[٣] فهذه أدلة علىٰ تطبيق عمر لمبدأ المرونة في إدارته ولم تكن المرونة عائقًا لتنفيذ القرارات، وتحقيق الأهداف المرسومة، والوصول إلىٰ المرامي والتطلعات[٤].

تاسعًا: أهمية الوقت في إدارة عمر بن عبد العزيز:

كان عمر بن عبد العزيز يقضي جل وقته، أن لم يكن كله في تسيير أمور الدولة أوفي عمل فيه مصلحة الأمة أوفي أداء حق الله من العبادة، فكان يقضي ليلته في الصلاة والمناجاة وكان لا يكلم أحدًا بعد أن يوتر[٥]، وفي إطار اغتنام الوقت نسب إلىٰ عمر قوله: إن الليل والنهار يعملان فيك - أي في الإنسان - فاعمل فيهما[٦]، وكان يغتنم الوقت في الأعمال الصالحة وفي سرعة التوجيه والبت السريع في الأمور واتخاذ القرارات الإدارية، وتلافي كل من شأنه تأخير أو عمل أو مصلحة، فإن أهم الأدلة علىٰ ذلك ما كان منه من سرعة إجراء لإصدار

---

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص١٣٧).
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٢٧٥).
(٣) الطبقات (٥/ ٣٨١).
(٤) النموذج الإداري (ص٣٣٢).
(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٢١٠، ٢١١).
(٦) الإدارة في التراث الإسلامي (١/ ٢٧٩) البرعي وعابدين.

ثلاثة قرارات، تحدث عنها ابن عبد الحكم ورواها قائلًا: فلما دفن سليمان - وكان دفنه عقب صلاة المغرب - دعا عمر بدواة وقرطاس، فكتب ثلاثة كتب، لم يسعه فيما بينه وبين الله آ أن يؤخرها، فأمضاها من فوره، فأخذ الناس في كتاباته إياها هنالك في همزه يقولون: ما هذه العجلة؟ أما كان يصبر إلىٰ أن يرجع إلىٰ منزله؟ هذا حب السلطان. هذا الذي يكره ما دخل فيه، ولم يكن بعمر عجلة ولا محبة لما صار إليه، ولكنه حاسب نفسه ورأىٰ أن تأخير ذلك لا يسعه، وكان الكتاب الأول عن أمر لا يمسه هو شخصيًا في شيء، بقدر ما يمس المسلمين المجاهدين في القسطنطينية بعد أن أصابهم من الجوع والضنك، وأشتد بهم الأمر أمام عدوهم فأمر برجوع مسلمة بن عبد الملك من القسطنطينية ورفع الحصار فقد رأىٰ عمر أنه لا يسعه فيما بينه وبين الله آ أن يلبي شيئًا من أمور المسلمين، ثم يؤخر قفلهم ساعة، فذلك الذي حمله علىٰ تعجيل الكتاب[1]، حقًا إن الحال الذي كان عليه مجاهدوا القسطنطينية لا يحتمل التأخير في قرار عودتهم علىٰ الإطلاق فكان الإجراء المناسب في الوقت المناسب[2]، وكتب بعزل أسامة بن زيد التنوخي وكان علىٰ خراج مصر فعزله لظلمه وغشمه وتسلطه، كما كتب بعزل يزيد بن أبي مسلم عن إفريقية لظلمه[3]، وكان عمر يهتم بالوقت من حيث اختيار الوقت المناسب لإعلان التوجيهات أو القرارات الإدارية وسهولة إبلاغها، فكان حين يستخدم البلاغة لا بلاغ الناس يراعي الوقت الأكثر ملائمة سواء من حيث كثرة المجتمعين أم من حيث قدسية المكان وحرمته، وبالتالي زيادة الاهتمام بما يكون فيه، ألا هو الموسم السنوي موسم الحج ليخطب في المسلمين أو يكتب إلىٰ المسلمين في يوم حجهم الأكبر

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحكيم (ص٣٢).
(٢) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر (ص٣٣٧).
(٣) المصدر نفسه (ص٣٣٧، ٣٣٨).

بما يراه علىٰ قدر كبير من الأهمية من أمورهم، إذ يتحقق باختيار ذلك الوقت المناسب أمرين، أحدهما: نشر التوجيه أو القرار أو الإجراء في أكبر عدد من المسلمين، من كل بلد من بلدانهم، والثاني سرعة الانتشار الذي يحققها إعلان القرار أو التوجيه في هذا الجمع في ذلك الوقت(١).

ومن ذلك كتابه إلى أهل الموسم الذي جاء فيه: أما بعد: فإني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام والبلد الحرام، ويوم الحج الأكبر إني بريئ من ظلم من ظلمكم، وعدوان من اعتدىٰ عليكم، أن أكون أمرت بذلك أو رضيته أو تعمدته إلا أن يكون وهمًا مني، أو أمرًا خفي علي لم أتعهده وأرجو أن يكون ذلك موضوعًا عني مغفورًا لي إذا علم مني الحرص والاجتهاد، ألا وإنه لا إذن علىٰ مظلوم دوني وأنا معول كل مظلوم، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم، وقد صيرت أمره إليكم حتىٰ يراجع الحق وهو ذميم، ألا وإنه لا دولة بين أغنيائكم، ولا أثرة علىٰ فقرائكم في شيء من فيئكم، ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به خاصًا أو عامًا من هذا الدين فله ما بين مائتي دينار إلىٰ ثلاث مائة دينار علىٰ قدر ما نوىٰ من الحسنة وتجشم من المشقة، رحم الله امرءًا لم يتعاظمه سفر يجيئ الله به حقًا لمن وراءه، ولولا أن أشغلكم عن مناسككم لرسمت لكم أمورًا من الحق أحياها الله لكم وأمورًا من الباطل أماتها الله عنكم، وكان الله هو المتوحد بذلك فلا تحمدوا غيره، فإنه لو وكلني إلىٰ نفسي كنت كغيري والسلام(٢). فهذا كتاب عظيم من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في محاربة الظلم وإقرار العدل فهو قد سعىٰ جاهدًا في رد المظالم التي عرف عنها، ولكنه يتوقع أن هناك مظالم لم تصل إليه، فكتب هذا الكتاب وأعلنه في موسم الحج الذي يضم وفودًا من أغلب بلاد

---

(١) المصدر نفسه (ص٣٣٩).
(٢) حلية الأولياء (٥/ ٢٩٢- ٢٩٣).

المسلمين، لتبرأ ذمته من مظالم خفية لم تبلغه، وأعلن في هذا الكتاب براءته من الولاة الذين يقع منهم شيء من الظلم، وربط طاعتهم بطاعة الله تعالىٰ، فهو بهذا يجعل كل فرد من أفراد الأمة رقيبًا علىٰ أمير بلده، يسعىٰ في تثبيته إذا استقام وفي تقويمه إذا أنحرف...

ومن أروع ما جاء في هذا الكتاب تخصيص مبلغ من المال لمن يسعىٰ في إصلاح أمور الأمة، وفي ذلك ضمان النفقة لمن أراد أن يسافر من أجل ذلك حتىٰ لا يفقد به التفكر في تامين تلك النفقة، ثم يختم كتابه بشكر الله جلا وعلا علىٰ ما وفقه إليه من الإصلاح الذي تحقق علىٰ يديه، وهذا مثل من الإخلاص القوي لله تعالىٰ بحيث يتلاشىٰ حظ النفس ولا يكون إلا لطف الله جل وعلا وتوفيقه ومعونته[(١)]. فهذا دليل علىٰ تطبيق عمر لمبدأ تحري ومراعاة أهمية الوقت، حيث لم يقتصر عمر في إدارته للوقت علىٰ اغتنام الوقت وإدراك أهميته، بل كانت إدارة كاملة لكل مقتضيا ت اغتنام الوقت وكل ما يتعلق به من ضرورة سرعة اتخاذ القرارات والتوجيه في الأوقات المناسبة والعمل علىٰ تلافي التأخير وأسبابه ودوافعه[(٢)].

عاشرًا: مبدأ تقسيم العمل في إدارة عمر بن عبد العزيز:

كان عمر بن عبد العزيز قد أشار بصراحة إلىٰ مبدأ تقسيم العمل ومهام المسئولية للدولة، فقد كان في كتابه كتبه إلىٰ عقبة بن زرعة الطائي، بعد أن ولاه خراج خراسان:... إن للسلطان أركانًا لا يثبت إلا بها، فالوالي ركن، والقاضي ركن، وصاحب بيت المال ركن، والركن الرابع أنا - يعني الخليفة[(٣)].

هذا من حيث التقسيم الرئيسي العام، فبالإضافة إلىٰ الأركان الرئيسية لا

(١) التاريخ الإسلامي (١٦/ ١٥١).
(٢) النموذج الإداري (ص٣٤٠).
(٣) تاريخ الطبري نقلًا عن النموذج الإداري (ص٣٤٢).

دارته وهي: الولاية ويشملها الوالي للإقليم، والقضاء ويمثله القاضي، ومالية الدولة ويمثلها الوالي للإقليم، والقضاء ويمثله القاضي، ومالية الدولة ويمثلها رجل أو صاحب بيت المال والرابع السلطة العليا للدولة رجل الدولة أو الخليفة ويمثلها أمير المؤمنين، إلا أن هناك تقسيمات فرعية لمهام الدولة منها ما يتعلق بإمارة الجهاد، فقد كان منصور بن غالب علىٰ ولاية الحرب(١)، وعلىٰ الصائفة كل من الوليد بن هشام، وعمرو بن قيس السكوني(٢). وقسم أخر وهو ما يتعلق بالأمن الداخلي، إذا أستعمل عمر بن يزيد بن بشر الكلبي علىٰ الشرطة(٣)، وولىٰ الحرس عمر بن مهاجر بن أبي مسلم الأنصاري، وحاجبه حبيش مولاه وأنشأ نقاط العبور وولىٰ عليها، مثل جواز مصر وكان عليها عمر بن رزيق الأيلي، وهي ما يعرف الآن بنقاط الجمارك(٤)، وقسم ثالث يختص بالكتابة (الكتاَب)، ومنهم ليث بن أبي رقية أم الحكم بنت أبي سفيان(٥) والخاتم، وعليه نعيم بن سلامة(٦)، وقسم يتولىٰ متابعة الشؤون المالية، وله تفريعات منها الخراج ومن ولاته علىٰ الخراج عقبة بن زرعة الطائي(٧)، والصدقات إذ وليها لعمر عبد الله بن عبد الرحمن بن عتبة القرشي(٨). وهي تمثل مؤسسة النقد في الوقت الراهن وليها لعمر بن أبي حملة القرشي(٩)،

(١) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص٧١).
(٢) تاريخ خليفة (ص٣٢٤).
(٣) المصدر نفسه (ص٣٢٤).
(٤) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص٣٤٤).
(٥) تاريخ خليفة (ص٣٢٤).
(٦) تاريخ خليفة (ص٣٢٥).
(٧) تاريخ الطبري نقلًا عن النموذج الإداري (ص٣٤٤).
(٨) أمراء دمشق في الإسلام (ص٤٨).
(٩) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم (ص٢٩٥).

وكذلك الخراج المركزي وكان عليه صالح بن جبير الغداني[(١)]، وأما في مجال التعليم والتثقيف فقد أنشأ عمر مجالس التعليم الدائمة في المساجد، وكلف من يقوم بالتفقيه والتعليم المتنقل في البداية، كما كلف أناسًا بالدعوة إلىٰ الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام دور الإفتاء إذ جعل الفتيا في مصر إلىٰ ثلاث فقهاء[(٢)]. بالإضافة إلىٰ ما سبق فقد كان هناك ولايا ت أخرىٰ، مثل ولاية الصلاة وولاية الحج وتسيير أموره، والبريد وغير ذلك مما لم يسعفنا المقام بالإحاطة والتفصيل له وهكذا كان عمر بن عبد العزيز يطبق مبدأ تقسيم العمل في دولته[(٣)]، فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ رجل دولة من الطراز الأول.

هذا وقد كان عمر بن عبد العزيز في كثير من الأحيان يعطي الولاة الحق في تعيين وزرائهم، وتشكيل مجالس شوراهم، ولهم حق الإشراف علىٰ جيش الولاية، والحفاظ علىٰ الأمن الداخلي في الولاية، والنفقات اللازمة لكل ولاية مع الأشراف والمتابعة.... الخ، هذه بعض الملامح والمعالم من فقه عمر بن عبد العزيز في إدارته للدولة.

---

(١) تاريخ خليفة (ص٣٢٤).
(٢) البداية والنهاية نقلًا عن النموذج الإداري (ص٣٤٤).
(٣) النموذج الإداري (ص٣٤٥).

+

الآثار عن عمر في الاعتصام بالكتاب والسنة
وموقفه من أهل الأهواء والبدع وأهل الذمة

▪ الآثار عن عمر في وجوب لزوم الجماعة.

٢٠٧/ ١- ابن الجوزي قال: قال ابن مهدي: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن الأوزاعي، قال: قال عمر بن عبد العزيز: «إذا رأيت قوما يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم علىٰ تأسيس ضلالة»(١).

٢٠٨/ ٢- ابن عبد الحكم قال: قال عمر بن عبد العزيز: سنّ رسول الله ه وولاة الأمر من بعده سننا، الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة علىٰ دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر في أمر خالفها، من اهتدىٰ بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاّه الله ما تولىٰ وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا(٢).

٢٠٩/ ٣- ابن عبد الحكم أن عمر كتب رسالة إلىٰ الخوارج وفيها: «... أقسم بالله لو كنتم أبكاري من أولادي ورغبتم عما فرشنا للعامة فيما ولينا لدفقت دماءكم أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة... »(٣).

---

(١) ابن الجوزي سيرة عمر (ص٨٦)، والإمام أحمد في الزهد (ص٤٠٨-٤١٠)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٣٥)، والدارمي في السنن (١/ ٩١)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٣٨).

(٢) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٤٠).

(٣) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٧٥)، وابن الجوزي سيرة عمر (ص٩٦).

التعليق:

تدل الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في هذا المبحث علىٰ لزوم الجماعة وترك التفرق. ولاشك أن ميزة أهل السنة والجماعة كونهم متفقين غير متفرقين ولذا تجد التوافق العجيب بينهم وإن باعدت بينهم الديار والأزمان، لأن مصدر تلقي العقيدة عندهم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولأن الاجتماع علىٰ الحق هو مطلبهم وغايتهم، فمن اهتدىٰ بمنهجهم هُدي ومن استبصر بها بصر، وقد أمرنا الله تبارك وتعالىٰ بالاجتماع وترك التفرق قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]، وبرأ الله نبيه ﷺ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم:٣٢].

وقال ﷺ : «**إن الله يرضىٰ لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**»(١).

ولزوم جماعة المسلمين والحرص علىٰ الحق هو ديدن أهل السنة والجماعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - في بيان أهمية هذا الأصل-: «وهذا الأصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعا، وأن لا يتفرق هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالىٰ به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة وخاصة»(٢).

وإذا كان الاجتماع علىٰ الحق وأهله بهذه المنزلة فمن هم الجماعة المعنية بهذه المنزلة الرفيعة والنجاح الموفور في الدنيا والآخرة؟

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ -في بيان هذه الجماعة-: «اختلف الناس في معنىٰ الجماعة علىٰ خمسة أقوال:

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٣٧٥- ٣٧٦)، رقم (١٧١٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٣٥٩).

أحدها: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام.

الثاني: جماعة أئمة العلماء المجتهدين.

الثالث: جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا علىٰ أمر.

الرابع: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا علىٰ أمير.

الخامس: الجماعة هي الصحابة علىٰ الخصوص»[(١)].

وهذا ما كان يراه عمر بن عبد العزيز رحمه الله كما تبين من الآثار وكما ذكر ذلك عنه الشاطبي[(٢)]، ويدل علىٰ هذا أن إجماعهم حجة، والتمسك بسنتهم والسير علىٰ نهجهم من أسمَىٰ المطالب، فالمتمسك بما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان هم الجماعة في أي زمان وفي أي مكان، ومن خالف ما عليه أصحاب محمد ﷺ فهو خارج عن الجماعة، لأن الله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[النساء:١١٥].

وقد حذر الرسول ﷺ أصحابه من مخالفة سبيل المؤمنين والخروج عن جماعتهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية**»[(٣)]. وروىٰ الترمذي من حديث الحارث بن الحارث الأشعري فذكر حديثا طويلا وفيه: «... وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: السمع والطاعة، والجهاد،والهجرة، والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[(٤)].

ويتبين مما أثر عن عمر أنه كان يقصد بالعامة في تلك الآثار: «**الجماعة**»

(١) الاعتصام للشاطبي (ص٤٤٨- ٤٥١).

(٢) المصدر السابق (ص٤٤٨-٤٥١).

(٣) البخاري مع الفتح (١٣/ ٥)، رقم (٧٠٥٣)، ومسلم (٤/ ٥٤٩)، رقم (١٨٤٩) واللفظ له.

(٤) البخاري مع الفتح (١٣/ ٣١٦).

بدليل وصفه من خرج عنها بالضلال، ووصفه من تركها بأنه قد اتبع غير سبيل المؤمنين وهو من الهالكين، كما بين للخوارج أنهم لو كانوا أولاده من صلبه ثم خرجوا عن جماعة المسلمين وإمامهم لدق رقابهم قربة لله تعالىٰ.

وهذا منه رَحِمَهُ اللَّهُ تطبيق لنص الحديث الشريف كما في «صحيح مسلم» أنه ﷺ قال: **«من أتاكم وأمركم جميع علىٰ رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»**[(١)].

وكان السلف الصالح رضوان الله تعالىٰ عليهم يحثون علىٰ لزوم الجماعة ويحذرون من الخروج عليها حرصًا منهم علىٰ اتباع الكتاب والسنة، وتقديرًا للعواقب، وتجنبًا للفتنة ودرءًا للمفسدة وحقنًا لدماء المسلمين، وهذه كلها يجب علىٰ المسلم مراعاتها.

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن المؤمن العاقل يحتاط لدينه فالفتن علىٰ وجوه كثيرة، قد مضىٰ منها فتن عظيمة نجا منها أقوام، وهلك فيها أقوام باتباعهم الهوىٰ، وإيثارهم للدنيا فمن أراد الله تعالىٰ به خيرًا فتح له باب الدعاء والتجأ إلىٰ مولاه الكريم، وخاف علىٰ دينه وحفظ لسانه وعرف زمانه، ولزم الحجة الواضحة والسواد الأعظم...»[(٢)].

ويبدو مما تقدم أن الراجح في الجماعة التي يراها عمر أنهم هم الصحابة رضوان الله عليهم، ومن سار علىٰ نهجهم، واقتفىٰ آثارهم، وهذا هو الحق، لأن تلك الأقوال كلها تصدق علىٰ الصحابة، وتصدق علىٰ من سار علىٰ نهجهم.

ومن المهم ذكره هنا أن هذه الجماعة التي يقصدها عمر باقية إن شاء الله تعالىٰ إلىٰ قيام الساعة روىٰ البخاري عن المغيرة بن شعبة قال: سمعت رسول

---

(١) مسلم (٤/ ٥٥٠) رقم (١٨٥٢).

(٢) الآجري في الشريعة (ص٥١-٥٢).

الله ﷺ يقول: «**لا يزال من أمتي قوم ظاهرين علىٰ الناس حتىٰ يأتيهم أمر الله**»[(١)] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله مبينا أمر هذه الجماعة وهذه الطائفة-: «ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أوّلًا فأوّلًا، إلىٰ أن لا يبقىٰ إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا جاء أمر الله»[(٢)].

▪ الآثار الواردة عنه في اتباع الكتاب والسنة:

٢١٠/ ١- ابن عبد الحكم قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز كتب: «أما بعد: فإني أوصيكم بتقوىٰ الله ولزوم كتابه والاقتداء بسنة نبيه وهديه[(٣)]،... وليس لأحد في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ أمر ولا رأي إلا إنفاذه والمجاهدة عليه[(٤)]... فإن الذي في نفسي وبغيتي في أمر أمة محمد ﷺ أن تتبعوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأن تجتنبوا ما مالت إليه الأهواء والزيغ البعيد، من عمل بغيرهما فلا كرامة ولا رفعة له في الدنيا والأخرىٰ، وليعلم من عسىٰ أن يذكر له ذلك، ولعمري لأن تموت نفسي في أول نفس أحب إلىٰ من أن أحملهم علىٰ غير اتباع كتاب ربهم وسنة نبيهم التي عاش عليها من عاش وتوفاه الله عليها حين توفاه - إلا أن يأتي علي وأنا حريص علىٰ اتباعه - وإن أهون الناس علي تلفًا وحزَنًا لمن عسىٰ أن يريد خلاف شيء من تلك السنة...»[(٥)].

٢١١/ ٢- ابن عبد الحكم قال: قال عمر بن عبد العزيز إن الله فرض فرائض وسن سننا من أخذ بها لحق ومن تركها محق[(٦)].

(١) البخاري مع الفتح (١٣/ ٤٤٢)، رقم (٧٤٥٩).
(٢) البخاري مع الفتح (١٣/ ٢٩٥).
(٣) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٦٥).
(٤) المصدر السابق (ص٦٨).
(٥) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٧١).
(٦) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٣٩).

٢١٢/ ٣- ابن عبد الحكم قال: قال عمر بن عبد العزيز: يا ليتني عملت فيكم بكتاب الله وعملتم به، فكلما عملت فيكم بسنة وقع مني عضو، حتىٰ يكون آخر شيء منها خروج نفسي(١).

٢١٣/ ٤- ابن عبد الحكم قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ الخوارج «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ هؤلاء العصابة الذين خرجوا، أما بعد: فإني أدعوكم إلىٰ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ...»(٢).

٢١٤/ ٥- ابن سعد قال: أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا عبد الله ابن يونس الثقفي عن سيار أبي الحكم قال: لما وُلي عمر بن عبد العزيز خرج إلىٰ المسجد فصعد المنبر وحمد الله فأثنىٰ عليه ثم قال: أما بعد: فإنه ليس بعد نبيكم نبي ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب، ألا إن ما أحل الله حلال إلىٰ يوم القيامة، وما حرم الله حرام إلىٰ يوم القيامة، ألا إني لست بقاض ولكني منفذ ألا إني لست بمبتدع ولكني متبع(٣).

٢١٥/ ٦- ابن عبد الحكم قال: قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة علىٰ دين الله ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر في أمر خالفها...(٤)، قال عبد الله بن عبد الحكم فسمعت مالكًا يقول: وأعجبني عزم عمر في ذلك.

التعليق:

إن الآثار التي وردت عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله في هذا المبحث تحث علىٰ اتباع الكتاب والسنة ولزومهما، وبذل الجهد والطاقة في تطبيقهما، وإن

---

(١) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص١٣٠).
(٢) المصدر السابق (ص٧٥)، وانظر الطبري تاريخ الأمم والملوك (٦/ ٥٥٥).
(٣) الطبقات (٥/ ٣٤٠).
(٤) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٤٠).

أدىٰ ذلك إلىٰ قطع الأعضاء وإزهاق النفس، كما تبين المنهج الذي يسير عليه عمر في دعوة أهل البدع إلىٰ الالتزام بالكتاب والسنة.

ولا شك أن ما ذهب إليه هنا من اتباع الكتاب والسنة والتحاكم إليهما في موارد النزاع وتحكيمهما في كل صغير وكبير، والرضا بذلك، والانقياد إليه، هو أصل الدين وأساسه، ومن الواجبات عند كل مسلم أن يقر بأن أصول الدين الإسلامي وفروعه لا تعلم إلا من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وبهذا كله جاءت النصوص والأدلة وعليه قامت البراهين والشواهد، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور:٥١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقد خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: «**يا أيها الناس: إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**» قالوا: يا رسول الله ومن يأبىٰ؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبىٰ**»(٢).

ومن آثار السلف الصالح في ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ...»(٣).

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٣/ ٩٣)، والحاكم (١/ ٩٣).
(٢) البخاري مع الفتح (١٣/ ٢٤٩) رقم (٧٢٨٠).
(٣) المصدر السابق (١٣/ ٢٤٩).

فاتباع الكتاب والسنة من الأمور التي اتفق عليها سلف هذه الأمة وهي أعظم نعمة أنعم الله بها عليهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قطُّ أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات أن الرسول ﷺ جاء بالهدىٰ ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم... من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعىٰ إليه هدي إلىٰ صراط مستقيم، فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدي به... وسنة رسول الله ﷺ تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه...»(١).

وعندما ضعف اتباع الكتاب والسنة عند أهل الأهواء والبدع، وقعوا في حيرة من أمرهم، واستبدلوا باتباع الكتاب والسنة اتباع الفلاسفة الوثنيين، والهنود وغيرهم من أهل الضلال. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإنما اختلف أهل الكلام لما أعرضوا عن الكتاب والسنة، فلما دخلوا في البدع وقع الاختلاف، وهكذا طريق العبادة عامة ما يقع فيه من الاختلاف إنما هو بسبب الاعراض عن الطريق المشروع فيقعون في البدع فيقع فيهم الخلاف»(٢).

وقال الحافظ ابن حجر - مبينًا حيرة المتكلمين، وتعنتهم، ونبذهم الكتاب والسنة، وراء ظهورهم فقال: واشتد إنكار السلف لذلك «يعني علم الكلام»... وسببه أنهم تكلموا فيما سكت عنه الكتاب والسنة وتوسعوا فيه، ومعلوم أنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر شيء من الأهواء، وقد توسع من تأخر عن القرون الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتىٰ مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة

---

(١) الفتاوىٰ (١٣/ ٢٨- ٢٩).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٢٧٤).

أصلًا يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل، ولو كان مستكرها، ثم لم يكتفوا بذلك حتىٰ زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف، وإن لم يكن منه بد فليكتف بقدر الحاجة ويجعل الأول المقصود بالأصالة. والله الموفق(١).

▪ الآثار عن عمر في تجريد المتابعة للنبي ﷺ:

٢١٦/ ١- ابن أبي شيبة قال: محمد بن بشر قال: حدثنا عبيد الله بن الوليد عن عبيد بن الحسن، قال: قالت الخوارج لعمر بن عبد العزيز: تريد أن تسير فينا بسيرة عمر بن الخطاب؟ فقال: ما لهم قاتلهم الله؟! والله ما زدت أن أتخذ رسول الله إمامًا(٢).

٢١٧/ ٢- البلاذري: قال: كتب عمر بن عبد العزيز: «مروا أهل الصلاح يتذاكروا السنن في مجالسهم ومساجدهم وأسواقهم»(٣).

٢١٨/ ٣- محمد بن نصر المروزي قال: قال الأوزاعي قال عمر بن عبد العزيز: لا عذر لأحد بعد السنة في ضلالة ركبها يحسب أنها هدىٰ(٤).

٢١٩/ ٤- ابن عبد البر قال: حدثنا عبد الوارث، نا قاسم نا أحمد بن زهير، نا الحوطي، نا إسماعيل بن عياش، عن سوادة بن زياد، وعمرو بن مهاجر، عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلىٰ الناس أنه: لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ(٥).

---

(١) البخاري مع الفتح (١٣/ ٢٥٣).
(٢) ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٧٣٩).
(٣) أنساب الأشراف (٨/ ١٦٠).
(٤) السنة (ص٣١).
(٥) ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٨١)، ومحمد بن نصر المروزي في السنة (٣١).

التعليق:

الآثار الواردة عن عمر في هذا المبحث تدل علىٰ تجريد المتابعة للنبي ﷺ وتجريد المتابعة له ﷺ هي الشرط الثاني من شروط قبول الأعمال عند الله تعالىٰ، وهي حقيقة شهادة أن محمدا رسول الله. يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا يكون العبد متحققًا بـ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ إلا بأصلين عظيمين: أحدهما: متابعة الرسول ﷺ، والثاني: الإخلاص للمعبود»[(١)].

وهذا الذي أثر عن عمر رَحِمَهُ اللَّهُ تدل عليه الآيات الكثيرة والأحاديث الصحيحة وأقوال السلف الصالح. فمن الآيات الدالة علىٰ تجريد المتابعة للنبي ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران:٣١]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء:٦٥]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب:٢١].

ومن الأحاديث الصحيحة الدالة علىٰ تجريد المتابعة للنبي ﷺ حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد**»[(٢)]، وفي رواية: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(٣)]، وحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة الثلاثة الذين جاءوا إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما ذكر لهم ذلك فكأنهم تقالُّوها فلما سمع النبي ﷺ بما أزمعوا عليه قال لهم: «**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم**

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٩٥).

(٢) مسلم بشرح النووي (٤/ ٣٧٩)، رقم (١٧١٨)، والبخاري (٥/ ٣٠١) رقم (٩٦٩٧)، واللفظ لمسلم.

(٣) لفظ مسلم انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٤/ ٣٨٠).

وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(١)].

ومما أثر عن السلف الصالح في تجريد المتابعة للنبي ﷺ ما تقدم ذكره من الآثار عن عمر بن عبد العزيز، وقول أبي الدرداء رضي الله عنه: «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»[(٢)]، وعن الأوزاعي رحمه الله قال: كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله[(٣)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في حقيقة المتابعة للنبي ﷺ: «فمحمد ﷺ أرسل إلىٰ كل أحد، من الإنس والجن كتابيهم وغير كتابيهم في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة في عقائده وحقائقه، وطرائقه، وشرائعه، فلا عقيدة إلا عقيدته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا طريقة إلا طريقته، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا يصل أحد من الخلق إلىٰ الله وإلىٰ رضوانه وجنته وكرامته، وولايته إلا بمتابعته ظاهرًا وباطنا في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، في أقوال القلب، وعقائده، وأحوال القلب وحقائقه، وأقوال اللسان، وأعمال الجوارح»[(٤)].

فمتابعته ﷺ واتباعه في أمره ونهيه والاقتصار علىٰ ذلك هو سبيل المؤمنين وطريق الموحدين الذين أنعم الله عليهم من الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.

▪ الآثار عن عمر في الحرص على لزوم السنة والذب عنها:

٢٢٠/ ١- ابن عبد الحكم قال: قال: سليمان بن داود الخولاني، أن عمر بن عبد العزيز كان يقول: يا ليتني قد عملت فيكم بكتاب الله، وعملتم به، فكلما

(١) البخاري مع الفتح (٩/ ١٠٤)، رقم (٥٠٦٣).
(٢) رواه اللالكائي (١/ ٩٩)، رقم (١١٤، و١١٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٧١) رقم الأثر (٤٨)، والحلية (٦/ ١٤٢).
(٤) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٤٣٠- ٤٣١).

عملت فيكم بسنة وقع مني عضو حتىٰ يكون آخر شيء منها خروج روحي[(١)].

٢٢١/ ٢- الفسوي قال: حدثنا ابن بكير قال: حدثني الليث، قال: حدثني عبد العزيز، عن عبيد الله بن عمر، عن عبد الله بن عبيد الله بن عاصم خال عمر بن عبد العزيز أنه قال: قدمنا علىٰ عمر بن عبد العزيز حين استخلف قال: وجاءه الناس من كل مكان قال: فجلس علىٰ المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه... وقال: والله لو لا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقا[(٢)].

٢٢٢/ ٣- ابن عبد الحكم قال: قال عمر بن عبد العزيز:... ألا لا سلامة لامرئ في خلاف السنة...[(٣)].

٢٢٣/ ٤- ابن سعد قال: أخبرنا سعيد بن عامر، عن حزم بن أبي حزم قال: قال عمر بن عبد العزيز في كلام له: فلو كان كل بدعة يميتها الله علىٰ يدي وكل سنة ينعشها الله علىٰ يدي ببضعة من لحمي حتىٰ يأتي آخر ذلك علىٰ نفسي كان في الله يسيرًا[(٤)].

٢٢٤/ ٥- الآجري قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: نا أبو موسىٰ محمد بن المثنىٰ، قال: نا مؤمل بن إسماعيل، قال: نا سفيان الثوري، قال: حدثني شيخ - قال مؤمل: زعموا أنه أبو رجاء الخراساني - أن عدي بن أرطأة كتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز: إن قبلنا قوما يقولون: لا قدر، فاكتب إلي برأيك، واكتب إلي بالحكم فيهم فكتب إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ عدي بن أرطأة. أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإني أوصيك

(١) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص١٣٠).
(٢) الفسوىٰ في المعرفة والتاريخ (١/ ٥٧٤).
(٣) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٤٢).
(٤) الطبقات (٥/ ٣٤٣).

بتقوىٰ الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه وترك ما أحدث المحدثون مما قد جرت سنته وكفوا مؤنته. فعليكم بلزوم السنة فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق...»(١).

التعليق:

يظهر مما سبق نقله عن عمر بن عبد العزيز أنه كان من أحرص الناس علىٰ لزوم السنة والتمسك بها والذب عنها، بل إنه قد وظَّف الخلافة لخدمة السنة. وهذا المنقول عنه هو ما عليه السلف الصالح، والآثار المروية عنهم كثيرة جدًا في هذه المسألة فمنها:

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشىٰ إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ»(٢).

وقول ابن عباس رضي الله عنهما: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر»(٣).

وقول الأوزاعي لمخلد بن الحسين: «يا أبا محمد إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فلا تظنن غيره ولا تقولن غيره، فإن محمدًا إنما كان مبلغًا عن ربه»(٤).

ومنها رسالة أسد بن موسىٰ، قال ابن وضاح وكتب أسد بن موسىٰ إلىٰ أسد بن الفرات رسالة وفيها: «...وادع إلىٰ السنة حتىٰ يكون لك في ذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك، إن حدث بك حدث فيكونوا أئمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلىٰ يوم القيامة كما جاء في الأثر، فاعمل علىٰ بصيرة ونية وحسبة،

---

(١) الآجري في الشريعة (١/ ٤٤٣-٤٤٤)، وسنن أبي داود (٤/ ٢٠٢).
(٢) الإبانة لابن بطة (٢/ ٢٤٦).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٩٦)، والفقيه والمتفقه (١/ ١٤٥).
(٤) الفقيه والمتفقه (١/ ١٤٩).

فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر، فتكون خلفا من نبيك ﷺ فأحْيِ كتاب الله وسنة رسوله فإنك لن تلقىٰ الله بعمل يشبهه...»[(١)].

ويكفي في بيان حرص عمر علىٰ العمل بالسنة قوله: «لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقا».

ومن تتبع سيرة السلف الصالح رحمهم الله تعالىٰ في حرصهم علىٰ لزوم السنة والذب عنها والدفاع عنها لوجد بغيته المقصودة وما أثر عن عمر في هذا المبحث يشفي الغليل وينير السبيل والله الموفق.

▪ الآثار عن عمر في الأمر بالتمسك بما عليه الفطرة

٢٢٥/ ١- ابن سعد: قال: أخبرنا قبيصة بن عقبة، قال: أخبرنا سفيان، عن جعفر بن برقان، قال: جاء رجل إلىٰ عمر بن عبد العزيز فسأله عن شيء من الأهواء فقال: الزم دين الصبي في الكُتّاب والأعرابي، والْهَ عما سوىٰ ذلك[(٢)].

التعليق:

إن هذا الأثر الوارد عن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يُلْمَحُ منه أنه يرىٰ أن العباد مخلوقون علىٰ الدين القويم، وأن الانحراف عنه طارئ وحادث، وهذا ما دل عليه القرآن الكريم، قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[الروم:٣٠].

ودلت عليه السنة الصحيحة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**» ثم يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم[(٣)].

---

(١) البدع لابن وضاح القرطبي (ص٣٦).

(٢) ابن سعد في الطبقات (٥/ ٣٧٤)، والدارمي في السنن (١/ ٧٠٣)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٤٣).

(٣) البخاري مع الفتح (٣/ ٢١٩)، رقم (١٣٥٨)، ومسلم (٦/ ١٥٧-١٥٨)رقم (٢٦٥٨).

فالفطرة السليمة تقر بخالقها وتحبه وتتذلل له وتخلص له الدين وفيها قوة موجبة لذلك، وكذلك تقر بشرعه وتؤثر هذا الشرع علىٰ غيره. فهي تعرف هذا الشرع وتشعر به مجملًا ومفصلًا بعض التفصيل، فجاءت الرسل تذكرها بذلك وتنبهها عليه وتفصله لها وتبينه، وتعرفها الأسباب المعارضة لموجب الفطرة المانعة من اقتضائها أثرها[(١)].

ولا شك أن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يُلَمِّح بقوله: الزم دين الصبي الذي في الكُتّاب والأعرابي والْهَ عمّا سوىٰ ذلك تلك الفطرة السليمة التي لم تدنسها الأهواء ويؤيد ذلك ما مثل به رَحِمَهُ اللَّهُ من دين الصبي الذي بدأ يتعلم في الكتاب وهو بلا شك علىٰ فطرته السليمة، فلو سئل مثلًا عن علو الله تبارك وتعالىٰ لأجاب بالإثبات، وكذلك الأعرابي السليم الفطرة، فلو سئل عن ربه لأجاب بأنه تعالىٰ عال علىٰ خلقه، فأمر رَحِمَهُ اللَّهُ من سأله عن الأهواء بأن يلتزم الفطرة، وأن لا يتدخل في متاهات أهل الأهواء الذين استبدلوا الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير.

والذي نَلْمَحُهُ عن أثر عمر هنا هو أرجح الأقوال في معنىٰ الفطرة المقصودة في قوله تعالىٰ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠] فقد اختلف العلماء في المراد بالفطرة في هذه الآية إلىٰ عدة أقوال، ذكرها الإمام ابن عبد البر في التمهيد[(٢)]، كما ناقشها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وتلميذه ابن القيم[(٣)]، ثم رجح شيخ الإسلام وابن القيم القول بأن الفطرة هي الدين الذي ولد عليه الإنسان وهو دين الإسلام الحنيف، ولا يعني هذا أن الطفل يولد وهو عارف بالدين وإنما المقصود أن الطفل يولد علىٰ نوع من الجبلة ويكون متهيئًا لقبول الحق طبعًا وطوعًا لو خلته شياطين الإنس والجن وما يختار لم يختر غير

(١) شفاء العليل (ص٦٢٩- ٦٣٠).
(٢) انظر التمهيد (١٨/ ٩٤).
(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٦٧)، وشفاء العليل من (ص٥٥٩- ٦٠٠).

الإسلام، وهذا ما يلمح عن أثر عمر رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «الزم دين الصبي الذي في الكُتّاب والأعرابي»؛ لأن الصبي والأعرابي بعيدان عن تنطع أهل الأهواء متمسكان بما ولدا عليه من الفطرة السليمة. وقد بدأ الصبي يتعلم، وهو أمر ينمي فطرته ويرشدها.

ولا شك أن الأدلة السابقة من الكتاب والسنة وهذا الأثر الوارد عن عمر رَحِمَهُ اللَّهُ كل ذلك يعتبر ردًا علىٰ المتكلمين ومن انتحل مذهبهم في معرفة الله وأن أول واجب علىٰ المسلم هو النظر، قال الإيجي: «النظر في معرفة الله تعالىٰ واجب إجماعًا»[(١)]، أو أن أول ما أوجب الله علىٰ المسلم هو: النظر المؤدي إلىٰ معرفة الله تعالىٰ[(٢)]، أو القصد إلىٰ النظر الصحيح[(٣)]، أو أن أول الواجبات هو الشك لأن النظر بعده[(٤)]، إلىٰ ما هنالك من سفسطة أهل الكلام، ولا يعني هذا أن السلف الصالح يحرمون النظر مطلقًا وإنما يجيزون النظر في الشيء الذي لا يحصل العلم به إلا بالنظر. فيجب النظر في مسائل النزاع التي لا يعلم الحق فيها إلا بالنظر فإذا أراد معرفة الحق فيها وجب عليه النظر. فالنظر يجب في حال دون حال وفي شخص دون شخص. فوجوبه من العوارض التي تجب علىٰ بعض الناس في بعض الأحوال لا من اللوازم العامة[(٥)]. فالعلم بمعرفة الله ضروري، ولو كان نظريًا لكان علىٰ الرسل أول ما يدعون إلىٰ النظر، وهذا مما علم فساده من دين الإسلام فإن كل كافر إذا أراد الدخول في دين الإسلام أول ما يؤمن بالشهادة فلو قال: أنا أقر بالخالق لم يكن بذلك مسلمًا، ولو قال: أنا أعرف الله

---

(١) المواقف في علم الكلام لعضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ص٢٨).
(٢) شرح الأصول الخمسة (ص٣٩) لعبد الجبار الهمداني.
(٣) انظر: الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني (ص٢٥).
(٤) انظر: شرح المقاصد لمسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني (ص٢٧٠).
(٥) مجموعة الرسائل الكبرىٰ لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٣٤٧- ٣٤٩).

أنه رب العالمين ورازقهم ومدبرهم لم يصر بذلك مسلما، فمعرفة الله فطرية حاصلة لجمهور الخلق(١).

والمقصود: أن معرفة الله تعالىٰ فطرية بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠] حيث فسرت الفطرة بالدين في الآية وكذلك في الحديث حيث قال عليه الصلاة والسلام: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه**» ولم يقل عليه الصلاة يمسلمانه لأن الطفل مولود علىٰ الإسلام، والمتكلمون أو جبوا النظر والاستدلال بطريق خاص وضعوه ومنعوا حصول المعرفة للخالق سبحانه وتعالىٰ قبل النظر في الآيات الكونية والنفسية، ومن باب أولىٰ لا يكون فيها ميل إلىٰ عبادة الله ﷻ أو محبته أو تعظيمه. فالقلوب ليست مفطورة علىٰ المعرفة وإنما المعرفة تنشأ بالاستدلال، وهذا الخلط والبعد عن الصواب ناتج عن عدم إدراكهم أن المعرفة ثابتة في القلوب، وأنها مما فطر عليها الخلق وأن البحث عنها إنما هو من باب تحصيل الحاصل وأن الأنبياء إنماجاءوا بدعوة الناس إلىٰ العبادة، ولم يدعوهم إلىٰ المعرفة ولا إلىٰ وسائلها أو مقدماتها، وأن ما كان من ذلك فإنما لزيادة المعرفة، وتوضيحها لا إلىٰ تحصيلها وتأسيسها. والسلف الصالح مجمعون علىٰ أن العباد مفطورون علىٰ معرفة خالقهم وأن إتمام معرفتهم أو تصحيحها لا يحتاج إلىٰ غير طرق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهو ما جاءوا بتقريره وتأكيده.

▪ الآثار عن عمر في التمسك بأخبار الآحاد في العقيدة.

٢٢٦/ ١- أبو زرعة قال: وحدثني عبد الرحمن بن إبراهيم، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن يحيىٰ بن الحارث، عن أبي سلام، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ صاحب دمشق، أن سل أبا سلام عما سمع من ثوبان - مولىٰ رسول

(١) مجموعة الرسائل الكبرىٰ (٢/ ٣٤٨).

الله ﷺ - في الحوض، فإن كان يثبته فاحمله علىٰ مركبة من البريد[1].

٢٢٧/ ٢- وقال: أخبرني يحيىٰ بن صالح الوحاظي قال: حدثنا محمد بن مهاجر، عن العباس بن سالم، عن أبي سلاَّم أنه دخل علىٰ عمر بن عبد العزيز فقال: لقد شققت عليَّ يا أمير المؤمنين، قال: ما أردت ذاك، ولكن أحببت أن تشافهني بحديث ثوبان في الحوض[2].

٢٢٨/ ٣- ابن عبد الحكم قال: قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة علىٰ دين الله ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر في أمر خالفها، من اهتدىٰ بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولىٰ وأصلاه جهنم وساءت مصيرا[3].

قال عبد الله بن عبد الحكم فسمعت مالكًا يقول: وأعجبني عزم عمر في ذلك.

التعليق:

يتبين مما أثر عن عمر رحمه الله فيما تقدم من الآثار أخذه بأخبار الآحاد في العقيدة، حيث اكتفىٰ بخبر أبي سلام فقط، مع أنه وحده. كما تبين آنفًا، وكما تبين أيضًا في تلك الآثار منهج أهل السنة والجماعة في التثبت في الأحاديث. ويتضح في الأثر الثالث منها تمسكه رحمه الله بأخبار الآحاد في العقيدة وذلك في قوله: «سن رسول الله وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها اعتصام بكتاب الله» فلم يفرق رحمه الله بين السنة الآحادية، وغيرها من السنن كما لم يفرق بين هذه السنن سواء كانت في باب الاعتقاد أو العبادات أو المعاملات وإنما بين أن الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة علىٰ دين الله ليس لأحد تبديلها ولا النظر في

(١) أبو زرعة في التاريخ (ص١٦٤).
(٢) المصدر السابق (ص١٦٤).
(٣) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٤٠).

أمر خالفها، وبين أن الأخذ بها هو سبيل المؤمنين من حاد عنه تولاه الله ما تولىٰ وأصلاه جهنم وساءت مصيرا، ولا شك أن الأخذ بأخبار الآحاد في العقيدة هو مذهب السلف الصالح حيث تلقوا أحاديث الصفات والعقائد ودوّنوها في مؤلفاتهم موقنين بصحتها، عالمين يقينا بأن رسول الله ﷺ جاء بها كما جاء بالصلاة والزكاة، والتوحيد كصنيع الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في «صحيحه»[١]، وغيره من أئمة السلف، وذلك لأن الذين نقلوا هذه الأحاديث الآحادية في العقيدة هم الذين نقلوا لنا جميع علوم الشريعة فيلزم من رد بعض أخبارهم وقبول البعض التفريق بين متماثلين، وإلحاق الطعن بالصحابة والسلف وعدم الثقة بأخبارهم مع ما عرف من ورعهم وتثبتهم، وتحريهم للصدق، إلىٰ غير ذلك مما ينافي سوء الظن بهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «جمهور أهل العلم من جميع الطوائف علىٰ أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقا له أو عملا به أنه يوجب العلم وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة ومالك، والشافعي، وأحمد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك، ولكن كثيرا من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء وأهل الحديث والسلف علىٰ ذلك وهو قول الأشعرية...»[٢].

وخبر الواحد الذي نقصده ضمن كلام عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ السابق هو خبر الواحد الصحيح المحفوف بالقرائن وهو يفيد العلم بلا شك عند عامة السلف. قال أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ اللهُ: «إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الثقات والأئمة وأسنده خلفهم عن سلفهم إلىٰ رسول الله ﷺ وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم. هذا قول عامة أهل

(١) البخاري مع الفتح (١٣/ ٢٣١- ٢٤٤).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٣٥١، ٣٥٢).

الحديث والمتقنين من القائمين علىٰ السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدرية، والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت، ولم يقفوا علىٰ مقصودهم من هذا القول»(١).

وقد استدل المثبتون لأخبار الآحاد في العقيدة بأدلة كثيرة جدًا منها:

١- أننا نعلم يقينًا أن النبي ﷺ كان يبعث أفرادا من الصحابة إلىٰ مختلف البلاد ليعلموا الناس دينهم كما أرسل عليًّا، ومعاذًا، وأبا موسىٰ إلىٰ اليمن في نوبات مختلفة. ونعلم يقينًا أيضًا أن أهم شيء في الدين إنماهو العقيدة فهي أول شيء كان أولئك الرسل يدعون الناس إليه، وقد كان كل منهم أرسل منفردا فلو كانت أخبار الآحاد لا تثبت بها العقائد لكان عمل رسول الله ﷺ في غير موضعه وحاشاه، فظهر بطلان هذا القول وثبت وجوب الأخذ بخبر الآحاد في العقائد(٢).

٢- أن القول بعدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة مخالف لجميع أدلة الكتاب والسنة التي نحتج بها نحن، والقائلون بعدم كون السنة الآحادية ليست حجة في العقيدة، وذلك لعمومها وشمولها لما جاء به رسول الله ﷺ عن ربه سواء كان عقيدة أو حكما فتخصيص هذه الأدلة بالأحكام دون العقائد تخصيص بدون مخصص وذلك باطل، وما لزم منه باطل فهو باطل(٣).

٣- قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، أي لا تتبعه ولا تعمل به، ومن المعلوم أن المسلمين لم يزالوا من عهد الصحابة يقْفون أخبار الآحاد ويعملون بها ويثبتون بها الأمور الغيبية والحقائق الاعتقادية مثل بدء

---

(١) نقله عنه السيوطي في صون المنطق (ص١٦٠- ١٦١).

(٢) انظر وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة للألباني ط. دار العلم (ص١٠- ١٢).

(٣) المصدر السابق (ص٨).

الخلق وأشراط الساعة، بل يثبتون بها لله تعالىٰ الصفات فلو كانت لا تفيد علما ولا تثبت عقيدة لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الإسلام كلهم قد قَفَوْا ما ليس لهم به علم، وهذا مما لا يقوله مسلم(١).

وقد ذكر العلماء قديمًا وحديثًا حججًا كثيرة في الأخذ والاحتجاج بأخبار الآحاد في العقيدة منهم فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، وفضيلة الشيخ الدكتور عمر سليمان الأشقر وغيرهم كثير.

■ الآثار عن عمر في الاعتصام بسنة الخلفاء الراشدين.

٢٢٩/ ١- أبو نعيم الحافظ قال: حدثنا حبيب بن الحسن، ثنا جعفر ابن محمد الفريابي، حدثنا قتيبة بن سعيد، ثنا عرعرة بن البرنْد، عن حاجب بن خليف البرجمي، قال: شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وهو خليفة فقال في خطبته: ألا إن ما سن رسول الله ﷺ وصاحباه فهو دين نأخذ به وننتهي إليه، وما سن سواهما فإنا نرجئه(٢).

٢٣٠/ ٢- ابن عبد الحكم قال: وذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب إلىٰ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: من عمر بن عبد العزيز إلىٰ سالم بن عبد الله أما بعد: فقد ابتليت بما ابتليت به من أمر هذه الأمة من غير مشاورة مني، ولا إرادة يعلم الله ذلك، فإذا أتاك كتابي هذا، فاكتب إلي بسيرة عمر بن الخطاب في أهل القبلة وأهل العهد، فإني سائر بسيرته، إن أعانني الله علىٰ ذلك والسلام(٣).

٢٣١/ ٣- عبد الرزاق قال: عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار، عن عون بن عبد الله، قال: قال لي عمر بن عبد العزيز أعدلان عندك عمر وابن عمر؟ قال:

---

(١) الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام (ص٥٠).

(٢) أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٩٨)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص٢٨٨).

(٣) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص١٠٧)، وأبو نعيم في الحلية (ص٢٨٤).

قلت: نعم. قال: إنهما لم يكونا يكبران هذا التكبير(١).

٢٣٢/ ٤- أبو زرعة الدمشقي قال: حدثني آدم حدثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، قال: قال رجل لعمر بن عبد العزيز: طلقت امرأتي وأنا سكران، قال الزهري، فكان رأي عمر بن عبد العزيز أن يجلده ويفرق بينه وبين امرأته حتىٰ حدثه أبان بن عثمان (عن أبيه): ليس علىٰ المجنون ولا السكران طلاق، فقال عمر: تأمروني وهذا يحدثني عن عثمان بن عفان؟ فجلده وردَّ إليه امرأته(٢).

٢٣٣/ ٥- ابن عبد الحكم قال: قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا الأخذ بها اعتصام بكتاب الله، وقوة علىٰ دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر في أمر خالفها، من اهتدىٰ بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها، واتبع غير سبيل المؤمنين، ولاه الله ما تولىّٰ وأصلاه جهنم وساءت مصيرا(٣).

التعليق:

إن الآثار الواردة عن عمر في هذا المبحث تبين اعتصامه رَحِمَهُ اللهُ بسنة الخلفاء الراشدين وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالتمسك بسنته وبسنتهم عند حدوث الاختلاف فقال: «**اتقوا الله وعليكم بالسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًّا، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»(٤).

---

(١) عبد الرزاق في المصنف (٢/ ٦٦).
(٢) أبو زرعة في التاريخ (١/ ٥٠٩)، وانظر: ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٣١)، والبخاري مع الفتح (٩/ ٣٩١).
(٣) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٤٠).
(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وفي مسند الإمام أحمد وجامع الترمذي، عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنا عند النبي ﷺ جلوسا فقال: «**إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار إلىٰ أبي بكر وعمر...**»[(١)].

هذا وقد اختلف العلماء في اجتماع الخلفاء الأربعة هل هو إجماع أو حجة مع مخالفة غيرهم من الصحابة أم لا؟ فيه روايتان عن الإمام أحمد[(٢)]، وهذا فيما يتعلق بالأحكام.

أما العقائد فيتضح من الآثار السابقة عن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ أنه يرىٰ وجوب الأخذ بسنة الخلفاء الراشدين ويحرم الخروج عما أجمعوا عليه، ولا ريب أنه يقصد بسنتهم ما يتعلق بالاعتقاد لأنه أصل الدين، «ولأن الصحابة قد تنازعوا في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانا، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم علىٰ إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلىٰ آخرهم، لم يسوموا أدلتها تأويلًا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلًا، ولم يبدوا لشيء منها إبطالًا، ولا ضربوا لها أمثالًا، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها علىٰ مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمرا واحدا، وأجروها علىٰ سنن واحد، لم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عضين، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه»[(٣)]. ولذا يرىٰ عمر إجماعهم حجة وهو الحق، فهم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة.

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٦١٠)، ومسند أحمد (٥/ ٣٨٥).

(٢) انظر: ابن القيم إعلام الموقعين (٤/ ١١٨ – ١٥٦)؛ فقد فصّل في هذه المسألة بما فيه الكفاية.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/ ٤٩).

أما ما يتعلق بالأحكام فيظهر مما أثر عن عمر أنه كان يعتصم بسنتهم كذلك، ويرجع إلىٰ أقوالهم عند النزاع، وهذا ما دل عليه الحديث الشريف: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي...**» فعض عمر علىٰ سننهم بالنواجذ، وأخذ بها في الحكم علىٰ أهل القبلة وأهل العهد، كما أخذ بها في العبادات، والمعاملات، وقد أولىٰ الخليفة الأول والثاني أبابكر وعمر جل اهتمامه، وعدَّ الأخذ بسنتهم أخذًا بسنة الرسول ﷺ كما أخذ بسنة الخليفة الثالث فور سماعه وطبَّق تلك السنة، واعتصم بسنة الخليفة الرابع في معاملة الخوارج حيث ناظرهم وكتب إليهم فلما تمادوا حاربهم، وقضىٰ علىٰ أموالهم وذراريهم وأسراهم بقضاء الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، بل يرىٰ عمر أن من خرج عن سنة رسول الله ﷺ وسنة خلفائه الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهو خارج عن سبيل المؤمنين، وهو من الفرقة الهالكة، وكل ما سنه الخلفاء الراشدون فإنه من سنته ﷺ لأنهم إنما سنوه بأمره ولا يكون في الدين واجبا إلا ما أوجبه ولا حراما إلا ما حرمه ولا مستحبا إلا ما استحبه ولا مكروها إلا ما كرهه ولا مباحا إلا ما أباحه[2].

واتباع سنة الخلفاء الراشدين في العقائد والأحكام هو ما عليه السلف الصالح وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

(١) انظر معاملته مع الخوارج في طبقات ابن سعد (٥/ ٣٥٧- ٣٥٨).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٢٨٢).

$ +

الأيام الأخيرة في حياة عمر بن عبد العزيز ووفاته ؟

١- أخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز:

كانت أخر خطبة خطبها بخناصرة، فقال فيها: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثًا ولن تتركوا سدىٰ وإن لكم معادًا ينزل الله فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض، ألا وأعلموا أنما الأمان غدًا لمن حذر الله وخافه، وباع نافذا بباق، وقليلًا بكثير وخوفًا بأمان ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك حتىٰ ترد إلىٰ خير الوارثين؟ وفي كل يوم تشيعون غاديا ورائحًا إلىٰ الله قد قضىٰ نحبه وانقضىٰ أجله، فتعيبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد، قد فارق الأحبة، وخلع الأسباب فسكن التراب وواجهالحساب، فهو مرتهن بعمله، فقير إلىٰ ما قدم غني عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه وأيم الله إني لا قو لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي، فأستغفر الله وأتوب إليه، وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه، وما منكم أحد يسعه ما عندنا إلا وودت أنه سداي ولحمتي، حتىٰ يكون عيشنا وعيشه سواء، وأيم الله أن لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش، لكان اللسان مني به ذلولًا عالمًا بأسبابه، ولكنه مضىٰ من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، يدل فيها علىٰ طاعته، وينهىٰ عن معصيته، ثم رفع طرف ردائه فبكىٰ حتىٰ شهق وأبكىٰ الناس حوله، ثم نزل فكانت إياها لم يخطب بعدها حتىٰ مات رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

---

(١) تاريخ الطبري (٧/ ٤٧٥).

٢- سقيه السم:

اختلفت الروايات عن سبب مرض وموت عمر بن عبد العزيز فعلىٰ حين تذكر الروايات أن سبب مرضه وموته هو الخوف من الله تعالىٰ والإهتمام بأمر الناس كما روي عن زوجته فاطمة بنت عبد الملك وكما ذكر إبن سعد في الطبقات عن ابن لهيعة(١)، إلا أنه قد ذكر سبب أخر لموته وهو أنه سقي السم وذلك أن بني أمية قد تبرموا وضاقوا ذرعًا من سياسة عمر بن عبد العزيز التي قامت علىٰ العدل وحمتهم من ملذاتهم وتمتعهم بميزات لا ينالها غيرهم، بل جعل بني أمية مثل أقصىٰ الناس في أطراف دولة الإسلام ورد المظالم التي كانت في أيديهم وحال بينهم وبين ما يشتهون، فكاد له بعض بني أمية بوضع السم في شرابه(٢). وهذا ليس من المستبعد أو المستغرب أن يعمد أحد هؤلاء إلىٰ سقيه السم ليتخلص منه وليكن ذلك عن طريق خادمه الذي يقدم له الطعام والشراب، فقد روي أنهم وعدوا غلامه بألف دينار وأن يعتق إن هو نفذ الخطة فكان الغلام يضطرب كلما هم بذلك، ثم إنهم هددوا الغلام بالقتل إن هو لم يفعل، فلما كان مدفوعًا بين الترغيب والترهيب حمل السم فوق ظفره، ثم لما أراد تقديم الشراب لعمر قذف السم فيه ثم قدمه إلىٰ عمر فشربه ثم حس به منذ أن وقع في بطنه(٣). وعن مجاهد قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: ما يقول الناس في؟ قلت: يقولون إنك مسحور. قال: ما أنا بمسحور ثم دعا غلامًا له فقال له: ويحك ما حملك علىٰ أن تسقيني السم؟ قال: ألف دينار أعطيتها وعلىٰ أن أعتق، قال: هات الألف فجاء بها فألقاها عمر في بيت المال. وقال: أذهب حيث لا يراك أحد(٤) فالسبب المباشر لمرضه وموته فهو كما ذكرت الروايات كان

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤٣)، الحلية (٥/ ٣٤٢).
(٢) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤٣).
(٣) سيرة عمر لابن الجوزي (ص٣١٦، ٣١٧).
(٤) تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٠).

بسبب سقيه السم(١)، ففي عفوه عن غلامه الذي وضع له السم وتسبب في قتله وهو قادر علىٰ أن يقتله شر قتلة وفي عدم إستفهامه من الغلام عن من أمره بوضع السم وقد كان يستطيع إرغام الغلام والاعتراف بذلك ثم يأمر بالقصاص منهم جميعًا، مثل عجيب في العفو وسبب ذلك لأنه كان يوقن أن ما عند الله خير وأنه إن عفا عنه حصل له الثواب من الله تعالىٰ علىٰ عفوه، وإن انتصر منه فأقام عليه الحد لم يأثم ولكنه لا يحصل علىٰ أجر العفو ونظرًا إلىٰ أن أغلىٰ شيء عنده في هذه الحياة أن يرتفع رصيده من الحسنات فإنه قد فضل العفو علىٰ انتصاره للنفس(٢).

٣- شراء عمر موضع قبره:

بلغ من تواضع عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ أنه عندما ذكروا له ذلك الموضع الرابع في حجرة عائشة والتي فيها قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فقالوا: لو دنوت من المدينة حتىٰ تدفن معهم قال: والله لا يعذبني الله عذابًا - إلا النار فإني لا صبر بي عليها - أحب إلي من أن يعلم الله من قلبي أني أراني لذلك أهلًا(٣).

ويأبىٰ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلا أن يشتري موضع قبره من ماله الخاص وذلك بسبب ورعه ومحاسبته الشديدة لنفسه، فقد جاءت الروايات أنه قال لمن حوله - وهو في مرض موته - إشتروا من الراهب موضع قبري فقال له النصراني: والله يا أمير المؤمنين إني لأتبرك بقربك وجوارك وإنها لخيرة أن يكون قبرك في أرضي، قد أحللتك ويأبىٰ عمر قائلًا: إن بعتموني موضع قبري وإلا تحولت عنكم ثم دعا بالثمن الذي إختلفت الروايات في مقداره فقيل: دينارين، وقيل: ستة، وقيل: ثلاثين، دعا بالثمن فوضعه في يد النصراني فقال أصحاب

---

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤٤).
(٢) التاريخ الإسلامي (١٦/ ٢٢٩).
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٣٢١ - ٣٢٤)، فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤٥).

الأرض: لولا أنا نكره أن يتحول عنا ما قبلنا الثمن[١].

٤- وصيته لولي عهده يزيد بن عبد الملك:

كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ يزيد بن عبد الملك - وهو في مرض الموت - قائلًا: بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر - أمير المؤمنين - إلىٰ يزيد بن عبد الملك، السلام عليك:

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإني كتبت إليك وأنا دنف[٢] من وجعي وقد علمت إني مسئول عما وليت يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئًا يقول تعالىٰ فيما يقول: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾ [الأعراف:٧] فإن يرضىٰ عني الرحيم فقد أفلحت ونجوت من الهول الطويل، وإن سخط علي فيا ويح نفسي إلىٰ ما أصير أسأل الله الذي لا إله إلا هو، أن يجيرني من النار برحمته، وأن يمن علي برضوانه والجنة. وعليك بتقوىٰ الله والرعية الرعية، فإنك لن تبقىٰ بعدي إلا قليلًا حتىٰ تلحق باللطيف الخبير[٣].

وجاء في رواية:... فإن سليمان بن عبد الملك، كان عبدًا من عباد الله، قبضه الله واستخلفني وبايع لي من قبله، وليزيد بن عبد الملك إن كان من بعدي، ولو كان الذي أنا فيه لاتخاذ أزواج، أو اعتقاد أموال كان الله قد بلغ بي أحسن ما بلغ بأحد من خلقه ولكني أخاف حسابًا شديدًا ومسألة لطيفة، إلا ما أعان الله عليه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. لقد نصح عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لولي عهده يزيد بن عبد الملك ما وسعه النصح وبذل ما يقدر عليه من التخويف والتهديد من عاقبة الأمر مع ضرب الأمثلة والإعتبار بالسابقين

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٣٢٢- ٣٢٣).

(٢) **دنف**: برأه المرض حتىٰ أشفىٰ علىٰ الموت.

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٣١٨- ٣١٩)، فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤٧).

فقد نصح وبلَغ أتم البلاغ[1].

٥- وصيته لأولاده عند الموت:

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد أفغرت أفواه ولدك من هذا المال، فلو أوصيت بهم إليَ وإلىٰ نظرائي من قومك فكفوك مؤونتهم، فلما سمع مقالته: قال: أجلسوني فأجلسوه فقال: قد سمعت مقالتك يا مسلمة، أما قولك: إني قد أفغرت أفواه ولدي من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقًا هو لهم ولم أكن لأعطيهم شيئًا لغيرهم، وأما ما قلت في الوصية فإن وصيتي فيهم: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾[الأعراف:١٩٦]. وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما صالح فسيغنيه الله، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال علىٰ معصية الله ادع لي بني، فأتوه فلما رآهم ترقرقت عيناه، وقال: بنفسي فتية تركتهم عالة لا شيء لهم -وبكىٰ-: يا بني إني قد تركت لكم خيرًا كثيرًا، لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقًا يا بني إني قد مثلت بين الأمرين: إما أن تستغنوا وأدخل النار، أو تفتقروا إلىٰ أخر يوم الأبد وأدخل الجنة، فأرىٰ أن تفتقروا إلىٰ ذلك أحب إلي، قوموا عصمكم الله، قوموا رزقكم الله[2]. وجاء في رواية: أن عمر وصىٰ مسلمة أن يحضر موته وأن يلي غسله وتكفينه، وأن يمشي معه إلىٰ قبره، وأن يكون مما يلي إدخاله في لحده، ثم نظر إليه وقال: انظر يا مسلمة بأي منزل تركتني، وعلىٰ أي حال أسلمتني إليه الدنيا فقال له مسلمة: هذه مائة ألف دينار، فأوصي فيها بما أحببت، قال: أو خير من ذلك يا مسلمة؟ أن تردها من حيث أخذتها، قال مسلمة: جزاك الله عنا خيرًا يا أمير والله لقد ألنت قلوبًا قاسية، وجعلت لنا ذكرًا في الصالحين[3].

---

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٤٧).

(٢) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص١١٥، ١١٦)، التاريخ الإسلامي (١٦/ ٢٢٠).

(٣) سيرة عمر لابن عبد الحكم (ص١٢٢، ١٢٣)، التاريخ الإسلامي (١٦/ ٢٢٢).

وفي الأثرين الماضيين دروس وعبر ففي الخبر الأول مثل من ورع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ حتىٰ في وصيته لأولاده بعد موته، حيث لم يرض لنفسه أن يفارق الدنيا وقد حمل ذمته شيئًا لا يدري علىٰ أي وضع يكون تنفيذه، فربما تصور أنه لو أوصىٰ بهم أحد أقاربه لأعطاهم من مصدر لا يحل، فيلحقه بذلك شيء من الإثم، فلجأ إلىٰ الله تعالىٰ وفوض أمرهم إليه، لقد تصور في معاملة أولاده وقوعه بين أمرين: أن يغنيهم في الحياة الدنيا، وذلك يمنحهم شيئًا من المال العام للمسلمين، فيتعرض بذلك للفحات النار، أو أن يكتفي بالإنفاق عليهم من المورد القليل الحلال الخالي من الشبهات فيتعرض بذلك لنفحات الجنة، فاختار الطريق الأخير مع ثقته أن لن يضيعهم وقد أشار إلىٰ أنه ترك لهم السمعة العالية، حيث سيكونون موضع إحترام وعطف جميع المسلمين وأهل الذمة، وأكرم بذلك من تركة إنها تركة عظيمة لا تقدر بها أموال الدنيا عند أصحاب الأفكار النيرة والعقول المبصرة، وفي قوله: (إنما ولد عمر بين رجلين: إما رجل صالح فسيغنيه الله وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال علىٰ معصية الله) لفتة جليلة إلىٰ معية الله تعالىٰ لأوليائه بالحفظ أخذًا من قول الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف:١٩٦]، وإشارة إلىٰ أن الأمر المهم أن يبذل الوالد أقصىٰ جهده في تربية أولاده علىٰ الصلاح ليحفظهم الله تعالىٰ، وليس المهم أن يسعىٰ في جمع المال لهم حتىٰ يغتنوا من بعده، لا نهم إن لم يكونوا صالحين فسيكون ذلك المال عونًا لهم علىٰ معصية الله تعالىٰ(١).

وأما في الأثر الثاني يوجه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ابن عمه مسلمة بن عبد الملك إلىٰ التحري في اكتساب المال، ويبين له أن إنفاق المال بالصدقة أو الهدية لا يجعله حلالًا، بل لا بد من التحري في كسبه، فإذا لم يكن للإنسان

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٦/ ٢٢٢).

حق فيه وجب عليه أن يرده إلىٰ مستحقيه، ولا يبرئ ساحته أن يتصدق به أو يهديه[(١)].

٦- وصيته إلى من يغسله ويكفنه:

عن رافع بن حفص المدني أن عمر قال لرجاء: إذا أنا مت وغسلتموني وكفنتموني وصليتم علي وأدخلتموني لحدي، فاجذب اللبنة من عند رأسي، فإن رأيت وجهي إلىٰ القبلة فاحمدوا الله وأثنوا عليه، وإن رأيت قد زويت عنها، فاخرج إلىٰ المسلمين ماداموا عند لحدي حتىٰ يستوهبوني من ربي، قال: فلما وضع في لحده وقبل باللبن علىٰ وجهه جذبت اللبنة من عند رأسه فإذا وجهه إلىٰ القبلة فحمدنا الله وأثنينا عليه[(٢)].

٧- كراهته تهوين الموت عليه:

قال عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن يخفف عني سكرات الموت لا نه آخر ما يرفع للمؤمن من الأجر[(٣)].

وفي رواية: ما أحب أن يخفف عني سكرات الموت لا نه آخر ما يكفر به عن المرء المؤمن[(٤)].

٨- حاله لما احتضر:

لما احتضر عمر بن عبد العزيز، قال: أخرجوا عني فلا يبقين عندي أحد. وكان عنده مسلمة بن عبد الملك، فخرجوا وقعد مسلمة وفاطمة زوجه أخت مسلمة علىٰ الباب فسمعوه يقول: مرحبًا بهذه الوجوه ليست وجوه إنس ولا

---

(١) المصدر نفسه (١٦/ ٢٢٢).
(٢) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز (٢/ ٦٤٤، ٦٤٥).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٦٤٨).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٦٤٨).

بوجوه جان[(١)]، وجاء في رواية:... قالت فاطمة بنت عبد الملك: كنت أسمع عمر يقول في أيا م مرضه: اللهم أخف عنهم موتي ولو ساعة من نهار، فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده، وجلست في بيت بيني وبينه باب، فسمعته يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[القصص:٨٣]. ثم هدأ فجعلت لا أسمع له صوتًا ولاحسًا ولا كلامًا. فقلت لوصيف كان يخدمه: لو دخلت علىٰ أمير المؤمنين فدخل وصاح، فقمت ودخلت عليه وقد أقبل بوجهه إلىٰ القبلة وأغمض عينيه بإحدىٰ يديه وأغمض فمه بالأخرىٰ، ومات رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]. وجاء في رواية: أن عمر بن عبد العزيز لما كان مرضه الذي هلك فيه قال لهم: أجلسوني، فأجلسوه، ثم قال: أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه وأحد النظر فقالوا له: إنك لتنظر نظرًا شديدًا، فقال إني لأرىٰ حضرة ليست بإنس ولا جن ثم قبض[(٣)]. وكان نقش خاتمه: عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله.

٩- تاريخ وفاته:

توفي الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر ليال بقين من رجب سنة (١٠١هـ) علىٰ أصح الروايات وأستمر معه المرض عشرين يومًا وتوفي بدير سمعان من أرض المعرة بالشام بعد خلافة إستمرت سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيا م وتوفي وهو إبن تسع وثلاثين سنة وخمسة أشهر وعلىٰ أصح الروايات وكان عمره لما توفي أربعين سنة[(٤)].

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٦٥٢).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٦٥٣).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٦٥٤).

(٤) تاريخ القضاعي (ص٣٦٣).

١٠- الأموال التي تركها عمر بن عبد العزيز:

اختلفت الروايات علىٰ مقدار تركة عمر بن عبد العزيز حين توفي، ولكن الروايات متفقة علىٰ قلة التركة وانعدامها[(١)]، ومن هذه الروايات ما رواه عمر بن حفص المعيطي قال: حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قال: قلت كم ترك لكم من المال؟ فتبسم وقال: حدثني مولىٰ لنا كان يتولىٰ نفقته، قال: قال لي عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُاللَّهُ حين أحتضر: كم عندك من المال؟ قلت أربعة عشر دينارًا، قال: فقال تحتملون بها من منزل إلىٰ منزل، فقلت: كم ترك من النحلة؟ قال: ترك لنا نحلة ستمائة دينار ورثناها عنه عن اختيار عبد الملك، وتركنا إثني عشر ذكرًا وست نسوة، فقسمناها علىٰ خمس عشرة[(٢)]. والصحيح أن الذكور الذين ورثوه هم أحد عشر ذكرًا، لوفاة ابنه عبد الملك قبله[(٣)]. وقال ابن الجوزي: أبلغني أن المنصور قال لعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: عظني. قال: مات عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُاللَّهُ وخلف أحد عشر ابنًا، وبلغت تركته سبعة عشر دينارًا كفن منها بخمسة دنانير، وثمن موضع قبره ديناران وقسم الباقي علىٰ بنيه وأصاب كل واحد من ولده تسعة عشر درهمًا، ومات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابنًا فقسمت تركته وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف، ورأيت رجلًا من ولد عمر بن عبد العزيز قد حمل في يوم واحد علىٰ مائة فرس في سبيل الله آ ، ورأيت رجلًا من ولد هشام يتصدق عليه[(٤)]. وما مضىٰ يظهر لنا جليا أن المال الذي ورثه عمر بن عبد العزيز من أبيه – وهو مال كثير– أخذ في التناقص حتىٰ توفي رَحِمَهُاللَّهُ و رَضِوَاللَّهُعَنْهُ[(٥)].

---

(١) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٥٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ١١٨).

(٢) سيرة عمر لابن الجوزي (ص٣٣٧).

(٣) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٥٥).

(٤) سيرة عمر لابن الجوزي (ص٣٣٨).

(٥) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٥٦).

١١- ثناء الناس على عمر بن عبد العزيز بعد وفاته:

أ- مسلمة بن عبد الملك: حين توفي عمر ورآه مسجىً قال يرحمك الله لقد لينت لنا قلوبًا قاسية وأبقيت لنا في الصالحين ذكرًا[(١)].

ب- فاطمة بنت عبد الملك: فعن وهيب بن الورد، قال: بلغنا أن عمر بن عبد العزيز لما توفي جاء الفقهاء إلىٰ زوجته يعزونها، فقالوا لها: جئناك لنعزيك بعمر، فقد عمت مصيبة الأمة، فأخبرينا يرحمك الله عن عمر: كيف كانت حاله في بيته؟ فإن أعلم الناس بالرجل أهله. فقالت: والله ما كان عمر بأكثركم صلاة ولا صيامًا ولكني والله ما رأيت عبدًا لله قط أشد خوفًا لله من عمر، والله إن كان ليكون من المكان الذي ينتهي إليه سرور الرجل بأهله، بيني وبينه لحاف، فيخطر علىٰ قلبه الشيء من أمر الله، فينتفض كما ينتفض طائر وقع في الماء، ثم يشجب، ثم يرتفع بكاؤه حتىٰ أقول: والله لتخرجن نفسه فأطرح اللحاف عني وعنه، رحمة له وأنا أقول: يا ليتنا كان بيننا وبين هذه الإمارة بعد المشرقين، فوالله ما رأينا سرورًا منذ دخلنا فيها[(٢)].

جـ- الحسن البصري: لما أتىٰ الحسن موت عمر بن عبد العزيز قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا صاحب كل خير[(٣)].

حـ- مكحول: ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز.

د- يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز[(٤)]، كأن النار لم تخلق إلا لهما[(٥)].

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٣٢٩).
(٢) البداية والنهاية نقلًا عن ملامح الانقلاب (ص٥٦).
(٣) فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٥٣).
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي نقلًا عن ملامح الانقلاب (ص٥٥).
(٥) صفة الصفوة (٣/ ١٥٦).

س- بكاء الرهبان عليه: عن الأوزاعي قال: شهدت جنازة عمر بن عبد العزيز، ثم خرجت أريد مدينة قنسرين فمررت علىٰ راهب فقال: يا هذا أحسبك شهدت وفاة هذا الرجل قال: فقلت له: نعم فأرخىٰ عينيه فبكىٰ سجامًا، فقلت له: ما يبكيك ولست من أهل دينه؟ فقال: إني لست أبكي عليه، ولكن أبكي علىٰ نور كان في الأرض فطفئ(١).

و- ملك الروم وبطارقته: بعث عمر بن عبد العزيز وفدًا إلىٰ ملك الروم في أمر من مصالح المسلمين، وحق يدعوه إليه، فلما دخلوا إذا ترجمان يفسر عليه وهو جالس علىٰ سرير ملكه، والتاج علىٰ رأسه والبطارقة علىٰ يمينه وشماله والناس علىٰ مراتبهم بين يديه، فأدىٰ إليه ما قصدوه له فتلقاهم بجميل وأجابهم بأحسن الجواب، وانصرفوا عنه في ذلك اليوم، فلما كان في غداة غد أتاهم رسوله، فدخلوا عليه، فإذا هو قد نزل عن سريره ووضع التاج عن رأسه، وقد تغيرت صفاته التي شاهدوه عليها كأنه في مصيبة، فقال: هل تدرون لماذا دعوتكم؟ قالوا: لا قال: إن صاحب مصلحتي التي تلي العرب جاء في كتابه في هذا الوقت: أن ملك العرب الرجل الصالح قد مات، فما ملكوا أنفسهم أن بكوا، فقال: ألكم تبكون، أو لدينكم أو له؟ قالوا: نبكي لا نفسنا ولديننا وله قال: لا تبكوا له، وأبكوا لا نفسكم ما بدا لكم، فإنه خرج إلىٰ خير مما خلف، وقد كان يخاف أن يدع طاعة الله فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافته، لقد بلغني من بره وفضله وصدقه ما لو كان أحد بعد عيسىٰ يحيىٰ الموتىٰ لظننت أنه يحيي الموتىٰ، ولقد كانت تأتيني أخباره باطنًا وظاهرًا فلا أجد أمره مع ربه إلا واحدًا بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه، ولم أعجب لهذا الراهب الذي ترك الدنيا وعبد ربه علىٰ رأس صومعته، ولكني عجبت من هذا الذي صارت الدنيا تحت قدمه فزهد فيها، حتىٰ صار مثل الراهب، إن أهل

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٣٣١).

الخير لا يقبون مع أهل الشر إلا قليلًا[١].

١٢- ما نسب إليه من كرامات عند موته:

يحكىٰ ويقال عن حسين القصار قال: كنت أجلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز، فمررت يومًا براع وفي غنمه نحو من ثلاثين ذئبًا حسبتها كلابًا، فقلت له: يا راعي ما ترجوه بهذه الكلاب كلها؟ فقال: يا بني إنها ليست كلابًا إنما هي ذئاب. قلت: يا سبحان الله ذئب في غنم لا يضرها، فقال: يا بني إذا صلح الرأس فليس علىٰ الجسد من بأس[٢]. ويبدو أن مثل هذه القصص من المبالغات وإلا في عهد النبوة وقيا م الدولة في المدينة وعهد الخلافة ولم نسمع بأن الذئاب كانت ترعىٰ مع الغنم. وقد رئيت له منامات صالحة وتأسف عليه الخاصة والعامة، لاسيما العلماء والزهاد والعباد[٣].

١٣- ما قيل فيه من رثاء:

أ- كثير عزّة قال فيه:

عمّت صنائعه فعم هلاكه ... فالناس فيه كلهم مأجور
والناس مأتمهم عليه واحد ... في كل دار رنَة وزفير
يثني عليك لسانك من لم توله ... خيرًا لأنك بالثناء جدير
ردَت صنائعه عليه حياته ... فكأنه من نشرها منشور

ب - وقال جرير:

ينعى النعاة أمير المؤمنين لنا ... يا خير من حج بيت الله واعتمرا
حملت أمرًا عظيمًا فاصطلعت به ... وقمت فيه بأمر الله يا عمرا

---

(١) مروج الذهب (٣/ ١٩٥)، فقه عمر بن عبد العزيز (١/ ٥٤).
(٢) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز (٢/ ٦٧٠).
(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٧١٨).

الـشمس كاسـفة ليـست بطالعـة تبكـي عليـك نجـوم الليـل والقمـرا

جـ- وقال محارب بن دثار:

لـو أعظـم المـوت خلقًـا أن يواقعـه لعدلـه لـم يـصبك المـوت يـا عمـر
كم من شريعة عدل قد نعشت لهم كـادت تمـوت وأخـرى منـك تنتظـر
يا لهف نفسي ولهف الواجدين معي علـى العـدول التـي تغتلهـا الحفـر
وأنـت تتـبعهم لـم تـأل مجتهـدًا سـقيا لهـا سـنن بـالحق تفتقـر
لـو كنـت أملـك والأقـدار غالبـة تـأتي رواحًـا وتبيانًـا وتبتكـر(١)

---

(١) المصدر نفسه (١٢/ ٧١٩).